أدب الخواص

في المختار من بلاغات قبائل العرب
وأخبارها وأنسابها وأيامها

تأليف

الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي
(٣٧٠-٤١٨هـ)

الجزء الأول

أعدَّه للنشر

حمد الجاسر

بإشراف: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

الرياض - المملكة العربية السعودية

أدب الخواص

في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها

تأليف

الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي

(٣٧٠-٤١٨هـ)

الجزء الأول

أعَدَّه للنشر

حمد الجاسر

بإشراف: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

الرياض - المملكة العربية السعودية







بسم الله الرحمن الرحيم



أدب الخواص
في المختار من بلاغات قبائل العرب
وأخبارها وأنسابها وأيامها

المقدمـــة

هذا الكتاب : يُعتبر هذا الكتاب — إذا صح أنَّ مؤلفه تمكن من إكماله وِفق الخُطَّة التي رسمها في مقدمته — من أوْسع الكتب التي أُلِّفَت عن الشعر العربي من حيث الاختيار والجمع وذكر تراجم مشاهير الشعراء ، مع أخبار القبائل وأنسابها ، فقد جاء في أوله : (وينبغي لك يا قارىء الكتاب إن كنت تُحب الشعر أن تَعْتَدَّهُ مختار أشعار القبائل ، فإنْ كُنْتَ تحب الأخبار تمثله مُؤلفاً في سير الجاهلية والإسلام ، ومقصوداً بالأغرب فالأغرب من المعارف والآثار ، وان كنت تحب اللغة تصورته كتاباً مُرْتبطاً لكثير من عقائلها ومن الشواهد عليها ، وإن كنت تُحِبُّ النَّسَبَ — وهو أصعب علوم العرب — احتسبته سياقَةَ جماهير الأنساب ، وذكراً لجمل من معارف الأشراف ، وأيقنت أنك لو أردت أن تُصَنِّفَ منه مِئِيْن من الكتب لأمكنك ، لأنك تأتي إلى أخبار إياس بن مُعاوية — مثلاً — فتجد في بابه من أخباره عند ذكر مُزَيْنَةَ ما لو أفردته مؤلفاً لما كان معيبا)[1] . فهو على هذا يشبه كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذريّ من بعض الوجوه ، ويمتاز عليه بكونه جعل الشعر أساساً يقوم عليه الكتاب .

ترجمة المؤلف : هو أبو القاسم الحُسين بن علي بن الحسين المغربي ، ويعرف بابن الوزير ، وبالوزير أيضاً . نشأ من أصل مَغْمُور ، برز منه رجال كانوا ذَوِي طموح ، فاستمالوا بعض شعراء عصرهم على الإشادة بذكرهم ، وتولوا أعمالا كانت سبباً في شهرتهم ، ومنهم عليٌّ والد المؤلف الذي وزر للحاكم الْعُبَيْديّ فقتله — على ما سيأتي — وقد كان للفرس في القرن الرابع الهجري نفوذ وصولة في شؤون الخلافة العباسية ، حيث استولى بَنُو بُوَيه على كل شؤونها ، وأصبح الخليفة الْعُوبةً بيدِ السلطان البويهيِّ ، ليس له من الخلافة سوى الاسم ، ولهذا فليس غريباً أن نرى المغربيَّ الأب — بل كُلَّ أسرته — تنتسب إلى الفرس ، بل وتأتي بنسب طويل

---

(١) ٦٣/٦٤ (الأصل) .

يضارع نسب البويهيين حتى يلتقي معهم بالجد الثاني عشر لمعز الدولة أحمد بن بويه الجد الثالث عشر ليوسف بن بَحْرٍ أعلى الأسماء العربية في نسب البيت المغربي[٢] ، الذي قد يكون هو أو أبوه أول من دخل الإسلام ، والذي ينبغي أن يكون من أهل القرن الثاني الهجري . وانتساب البيت المغربي إلى الفرس ، ثم القرب من البويهيين من الأمور التي تحمل على القول بخمول أصله ، أما الانتساب إلى (يَزْدجُرْد) آخر ملوك الفرس ، فلعلَّ الغاية منه مباهاة البويهيين في شرف الأصل ، مع التقرب إليهم ، في زمن دالت فيه دولة العرب ، وتمزقت أوصالها بسيطرة الأعاجم على كل جزء من أجزائها ، ولهذا فلا غرابة في أن نرى الشاعر المكيَّ العربي التهاميَّ يتقرب إلى صاحبنا مؤلف هذا الكتاب بقوله :

حِكْمَةُ آبائِكَ منْ فارِسٍ كَسَوْتَها لَفْظَ قُرَيْش الْبطَاحْ[٢]

ولا غرابة أيضاً أن نجد صاحبنا يورد في آخر هذا الجزء نسب ملوك الفرس مُتَّصِلاً بنُوْحٍ استطراداً لا محل له .

ابن المغربي لم يكن مغربياً : يقول ابن خلكان[٢] : ورأيت في بعض المجاميع انه لم يكن مغربياً ، وانما أحد أجداده — وهو علي بن محمد — كانت له ولاية في الجانب الغربي ببغداد ، وكان يقال له المغربي ، ثم بعد ذلك نظرت في كتابه «أدب الخواص» فوجدت في أوله : وقد قال المتنبي ، وإخواننا المغاربة يسمونه المتنبّه فأحسنوا :

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوْه في شَبِيْبَتِهِ فَسَرَّهُمْ، وأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ

فهذا يدلُّ على أنه مغربي حقيقة انتهى . واستدلال ابن خلكان بكلمة (اخواننا المغاربة) على أنه مغربي حقيقة استدلال في غير موضعه ، فما أكثر ما يقول المرء : اخواننا قاصداً الأخوة في الدين أو الجوار أو غيرهما من الأمور ، والمغربي قال في أول كتاب «أدب الخواص» أيضاً : (وقال بعض عامّة بلدنا الحلبيين في قصة له : رُبَّ كِلْمَة ، أزالَت نِعْمَة) . ويؤيد كون أصل

(١) أنظر ذلك النسب في «تاريخ ابن خلكان» ١٧٧/٢ وفي ترجمته في «تاريخ حلب» لابن العديم ج ٥ ص ١٤ (مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت) وقارن بينه وبين نسب البويهيين عند ابن خلكان ١٧٤/١ .

(٢) ديوان التّهامي ص ٢٨ .

(٣) ابن خلكان ٧٣/٢ .

هذا البيت من العراق أمران : (أ) انتسابه إلى الفرس ، (ب) صلة بعض رجاله ببعض العراقيين ، فخال أبيه هارون بن عبد العزيز الأوراجي الذي مدحه المتنبي بقصيدته التي مطلعها :

أَمِنَ ازدِيارَكِ في الدُّجَى الرُّقباءُ   إذْ حيثُ كنْتِ من الظلام ضِياءُ

وجدُّ أبي القاسم المغربي لأمه محمد بن ابراهيم بن جعفر النعماني[1] عراقي أيضاً . وما لنا نذهب بعيداً والمغربي نفسه قد أوضح هذا فقال فيما نقله ابن العديم[2] : (قرأتُ في رسائل ابن المغربي نسخة كتاب كتبه ليعرض **بالسدة**[3] القادرية وقد طعن عليه بالدار الخليفية في مذهبه .. وانكار الاسم المغربي المشهور به) . ثم أورد من تلك الرسالة قول المغربي : (فإن كان يُظَنُّ أنَّ ما وُسِمْتُ به من النسب المستعار يحملني على الازورار ، فإنَّ الأمر بِضِدِّهِ ، إذْ كان أصلي من البصرة ، وانتقل سلفي عنها في فتنة البُرَيْدِي إلى بغداد ، وكان جدّ أبي — وهو أبو الحسن علي بن محمد — يخلف على ديوان المغرب فَنُسِبَ به إلى المغربي ، وولد له جَدِّي الأدنى ببغداد ، في سوق العطش ، ونشأ وتقلد أعمالاً كثيرة منها تدبير محمد بن ياقوت عند استيلائه على أمر المملكة ، وكان خال أبي وهو أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي الذي مدحه المتنبي متحققاً بصحبة محمد بن رائق ، فلما لحقه ما لحقه وهو بالموصل سار جدّي وخالُ أبي إلى الشام ، والتقيا بالإخشيد ، وأقام والدي وعمي بمدينة السلام ، وهما حَدَثان إلى أن توطدت أقدام شيوخهما بتلك البلاد ، وأنفذ الإخشيد غلامه المعروف بفاتكٍ المجنون الممدوح المشهور فحملهما ومن يليهما الى الرحبة وسار بهما على طريق الشام إلى مصر ، فأقامت الجماعة هناك ، الى أن تجددت قوة المستولي على مصر فانتقلوا كلهم وحصلوا في خدمة سيف الدولة أبي الحسن بن حمدان مدة حياته ، واستولي جدي على أمره استيلاءً تشهد به مدائح أبي نصر ابن نُبَاتَةَ فيه[4] ، ثم غلب أبي من بعده على أمره وأمر ولده غلبةً تدل عليها مدائح أبي العباس

(١) ١٧٧/٢ .

(٢) ١٦/٥ (مخطوط) .

(٣) السُّدَّةُ الدار والمقصود هنا دار الخلافة نسبة للخليفة العباسي القادر بالله أحمد بن اسحاق ابن المقتدر (٣٣٦/ ٤٢٢ هـ) الذي قدم ابن المغربي بغداد وهو الخليفة .

(٤) ابن نباتة : يعني عبد العزيز بن عُمَر السعدي (٣٢٧/٤٠٥) من شعراء سيف الدولة ابن حمدان ، له ديوان شعر مطبوع .

النامي[1] فيه ، ثم شجر بينهما ما يتفق مثله بين المتصاحِبَيْن في الدنيا ، ففارقه من الرحبة وانحدر من الأنبار ، قاصداً مدينة السلام . فلما حصل بالأنبار وجد العراق مضطرباً ، وبهاء الدولة — رحمه الله — في أول أمره غالباً ، فَخُوِّفَ من المقام فركب مغرراً الى الشام ، فتمكن من تعرف أخبارنا وافتكاك اسارنا ، فإنا كنا بِحَلَب مُعَوَّقِيْنَ من بعده ، فلقي بمصر الحظوة التي عرفت ، ولكنها ما اتفقت فإن ختامها كان سُمّاً زُعافاً ، وعقباها كان بواراً واجتياحاً) انتهى .

تاريخ ولادة المغربي : يجمع مؤرخوه على أنه وُلِدَ سنة سبعين وثلاثمائة ، وينقل ابن خلكان[2] وابن العديم[3] عن خط والده ما نصه : (ولد — سلمه الله وبلَّغه مبلغ الصالحين— أول وقت طلوع الفجر ، من ليلة صباحها يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبعين وثلاث مِئة) . أما ما جاء في كتاب «لسان الميزان»[4] من أنه ولد سنة ٣٩٠ ، فهو تصحيف ونبه على ذلك الشيخ محسن الأمين[5] .

أين ولد ؟ : ذكر ابن الأثير وابن كثير[6] وغيرهما أنه ولد بِمصْر ، ولكن هذا القول لا يتفق مع ما ذكر صاحب كتاب «الإشارة إلى مَن نال الوزارة»[7] من أن أباه كان من أصحاب سيف الدولة عليّ بن حمدان ، وأنه وصل إلى الدولة — بقصد دَوْلَةَ مصر العُبَيْدية — في جُمَادَى سنة احدى وثمانين وثلاث مئة ، أي بعد ولادة أبي القاسم باثني عشر عاماً ، ومعروف أنَّ ابنَ حمدان من حَلب ، ولأبي القاسم المغربيّ شعرٌ أورده ياقوت في «معجم البلدان»[8] يقول فيه :

حَنَّ قَلْبي إلى معالم (بَابِلا) — حنينَ الْمُوَلَّه الْمَشغُوْفِ

---

(١) النامي : هو أحمد بن محمد الدارمي المصيصي (٣٠٩/ ٣٩٩) من معاصري المتنبي ومدح سيف الدولة ، ترجمه ابن خلكان والعماد الأصفهاني .

(٢) ١٧٣/٢ .

(٣) ١٧/٢ .

(٤) ٣٠١/٢ .

(٥) «رجال الشيعة» ٦/٢٧ .

(٦) «الكامل» : ٣٣١/٩ «البداية والنهاية» ٢٣/١٢ «رجال الشيعة» ٧/٢٧ .

(٧) ص ٤٨ .

(٨) «معجم البلدان» رسم (بابِلاَ) .

مَطْلِبَ اللَّهْوِ والْهَوَى وكِنَاسِ الْـ ـخُرْدِ الْعِيْنِ والظِّبَاءِ الْهِيْفِ
حَيْثُ شَطًّا (قُوَيْق) مَسْرَحُ طَرْفي والأسامي مُؤانسي وأَلِيْفِي
لَيْسَ مَنْ لم يسل حَنِينا إلى الأو طان — إن شَتَّت النَّوى — بظريف
ذَاكَ من شِيْمة الكرام ومن عَهْـ ـدِ الوفاء المُحَبَّبِ المَوْصُوفِ

بَابِلاً التي ذكرها في ضواحي حلب ، مما يدل على أنه عاش أول حياته هناك وما تقدم في رسالة المغربي يدل على ذلك ، وأصرح منه قول ابن العديم عنه[1] : (ولد بحلب في سنة سبعين وثلاث مئة ، وكان أبوه وجدُّه من كُتّاب سيف الدولة وحصل بعد موت سيف الدولة بين أبيه وبين سعد الدولة أبي المعالي نَبْوةٌ أوجبت انفصاله عنه ، فَعَوّق أبو المعالي أبا القاسم بحلب مع جماعة من أهل بيته ، وسار أبوه بعد ذلك إلى مصر فانتقل أبو القاسم بعده) انتهى .

وانتقال المغربي الأبِ إلى مِصْرَ حَدَّدَ زمنه صاحبُ كتاب «الاشارة إلى من نال الوزارة»[2] فقال : (كان علي بن الحسين المغربي من أصحاب سيف الدولة علي بن حمدان وخواصه ، ووصل إلى الدولة في جمادى سنة احدى وثمانين وثلاث مئة واستخدم في كتابة منجوتكين ، ونظر الشام ، وتدبير الرجال والأموال في سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة واتصل بعد ذلك بخدمة الامام الحاكم ، فكان هو وولده أبو القاسم من جلسائه ، وكانت له وجاهة وتقدمة منزلة) انتهى . وعلى هذا يكون وصول المغربي الأب إلى مصر بعد ولادة ابنه بإحدى عشرة سنة .

ويظهر أن المترجم لم يُعَوَّق في حلب طويلاً ، فقد أورد مترجموه فيما نقلوه عن أبيه — فيما كتب على مختصر ابنه «تهذيب اصلاح المنطق» انه ألفه قبل استكماله سبع عشرة سنة . ومفهوم الكلام أنه ألفه وهو بمصر ، فكأنه انتقل اليها فيما بين سنتي ٣٨١ و٣٨٧ .

حياته : لا نستطيع أن نتبين شيئاً من معالم حياته في أولها ، ولا شك أنه نشأ كما ينشأ ذوو النعمة والترف حقبة وجيزة منها ، حينما كان في حلب وكان أبوه من خاصة سيف الدولة الحمداني ورجال دولته ، وفي كلام ابن المغربي اشارات تدل على ذلك كقوله في «أدب

---

(١) ١٤/٥ .
(٢) : ص ٤٧ .

الخواص» : (أيام الصبا التي عذرتني في قلة الحزم) — ص ٦٥ الأصل.

كما أن شعره المتقدم يدل على ذلك ، ويظهر أن النكبة التي حلّت بأبيه وأقاربه — وشملته على صغر سنه — أثرت في نفسه تأثيراً جعله ينصرف إلى الجِدّ وهو في أول العقد الثاني من عمره كما يفهم من كلام أبيه عنه[١] : (واستظهر القرآن وعدة من الكتب المجودة في اللغة والنحو ، ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم ، ونظم الشعر ، وتصرّف في النثر ، وبلغ من الخط ما يقصر عنه نظراؤه ومن حساب المولّد والْجَبْرِ والمقابلة وجميع الأدوات إلى ما يشتغل بدونه الكاتب ، وذلك كله قبل استكماله أربع عشرة سنة) . بل اشتغل في التأليف قبل بلوغه سنّ العشرين — كما سيأتي — والواقع أن هذا يدل على فرط الذكاء .

ويدل على شدة طموحه وتطلعه إلى معالي الأمور منذ صغره ما ذكره ابن القارح عنه في رسالته التي كتبها إلى أبي العلاء المعريّ فأجابه عليها برسالة «الغفران» قال[٢] : (وبلغني عن مولاي الشيخ أنه قال — وقد ذكرت له — : أعرفه خبراً ، هو الذي هجا أبا القاسم .. فذلك منه — أدام الله عزه — رائع[٣] لي ، خوفاً أن يستشر طبعي .. ثم سافرت إلى مصر ولقيت أبا الحسن المغربي فألزمني أن لزمته لزوم الظل .. فقال لي سراً : أخاف همة أبي القاسم أن تنزو به إلى أن يُوْرِدَنَا وِرْداً لاصَدَر عنه ، فإن كانت الأنفاسُ مما يُحْفَظُ ويُكْتب فاكتبها واحفظها وطالعني بها . فقال لي يوماً : ما ترضى بالخمول الذي نحن فيه ! فقلت : وأيّ خمول هنا ؟! تأخذون من مولانا — خلد الله ملكه — في كل سنة ستة آلاف دينار ، وأبوك من شيوخ الدولة ، وهو معظَّم مكرم ؟! فقال : أريد أن تُصار إلى ديواننا[٤] الكتائب والمواكب والمقانب ، ولا أرضى أن يُجْرَى علينا كالولدان والنسوان ! ! فأعدت ذلك على أبيه فقال : ما أخوفني أن يُخَضَّبَ أبو القاسم هذه من هذه ، وقبض على لحيته وهامته ، وعلم أبو القاسم بذلك فصار بيني وبينه وقفة قال : أنت جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ) انتهى . ومع أن ابن القارح من أعدائه إلا أن ما نقله عنه يدل على عدم استقرار نفسه ، وشدة تطلعه إلى حياة أفضل من الحياة

---

(١) ابن العديم ١٧/٥ وابن خلكان ١٧٣/٢ .

(٢) رسالة «الغفران» ص ٥١ .

(٣) كذا ويظهر أن الصواب : (رادع) .

(٤) كذا عند ابن العديم ١٨/٥ وفي رسالة «الغفران» : أبوابنا .

التي كان يعيشها في كَنَفِ والده وهو وزير الحاكم ، وسيبدو أثر عدم ذلك الاستقرار بعد قتل أبيه .

ومع أن الزمن الذي عاشه في مصر فيما بين سنة قدومه اليه إلى سنة ٤٠٠ حيث قتل أبوه وأقاربه ، لا يتجاوز عشرين سنة إلا أنه أخصب سني حياته من الناحية العلمية ، ففيه تفرغ للدراسة والطلب ، ثم للجمع والتأليف . ولعل من الصواب القول بأن مؤلفاته كلها تعود إلى هذه الحقبة من حياته ، إذ بقيتها أمضاها غارقاً في السياسة غير مستقر على حال من الأحوال .

وقد أشار في رسالته التي وجهها للخليفة العباسي يتنصل فيها عما نسب إليه من انحراف وزيغ في العقيدة إلى طرف من حياته في أول نشأته فقال : [1] (ثم أرجع الى ذكر الدين ، فإني نشأت وغُذّيت بكتب الحديث وحفظ القرآن ، ومثافنة[2] الصلحاء ، ومجالسة العلماء ، ووالله ما رأيت قطُّ بتلك البلاد مأدبةً ولا وليمة إلا لِعرسٍ ، ولا كنت متشاغلاً إلا بعلمٍ أو دين ، ولقد سلمْت لي من جزازات كتبي ما هو اليوم دالٌّ على تشاغلي بالدِّيْن الْقَيِّم ، واستمراري على النهج الأسلم ، لأنه ليس من كتاب من كتب السنة إلا وقد أحطت به رواية ، ورمته دراية ، وها هنا اليوم نسختان من « مُوَطَّإِ مالك » سماعي من جهتين ، وعليهما خطوط الشيخين ، « والصحيحان » لمسلم والبخاري « وجامع سفيان » ، ومسانيد عدة عن التابعين ، ولي — وأحمد الله — إملاءاتٌ عدة في تفسير القرآن وتأويله وتخريجات من الصحاح المذكورة ، وسمعت كتاب المزني[3] عن الطحاوي عن المزني ، واما الأحاديث المنثورة التي كنت أبكر بكور الغراب لاستماعها ، وأطَّرِحُ رتبة الدنيا في مزاحمة أشياعها ، فأكثر من أن تحصى ، فكيف يظن بمثلي ممن ظهر تماسكه ان كان لم يظهر باطنه تَعَلُّقٌ بالهباء المنثور ، وتمسك بالضلال والزور) .

ويورد ابن العديم من أسماء شيوخه[4] :

---

(١) ابن العديم ١٧/٥ .

(٢) في الأصل (ومناقبة) وثافنْتُ الرجل مُثافنة : أي صاحبته لا يخفى عليّ شيء من أمره . انظر اللسان (ثفن) .

(٣) يظهر أنه سقط من الكلام شيء ، فالطحاوى أحمد بن محمد — ابن أخت المزني وصاحب المؤلفات المعروفة — توفي سنة ٣٢١ وفي «لسان الميزان» : (علي من حدثه به عن الطحاوي) .

(٤) ١٦/٥ .

١ — اباه علي بن الحسين

٢ — جعفر بن الفضل بن الفرات الوزير

٣ — جنادة بن محمد الأزدي

٤ — محمد بن عيسى.. العراقي

٥ — علي بن لؤلؤ الحلبي

٦ — علي بن الحسن بن يزيد الحلبي

٧ — محمد بن الحسين اليمني

٨ — الميمون بن حمزة الحسيني

٩ — علي بن منصور الحلبي ابن القارح

١٠ — علي بن عبدالله المادراني

١١ — محمد بن الحسين التنوخي

١٢ — محمد بن محمود بن أحمد العسقلاني

١٣ — محمد بن ابراهيم التميمي

١٤ — علي بن ابراهيم الدهكي

١٥ — الموسوي قاضي مكة أبو جعفر

١٦ — ابن الكلابي راوية أبي فراس

١٧ — يحيي بن علي الاندلسي امير المغرب

١٨ — محمد بن عبد الملك التاريخي

١٩ — علي بن نصر بن الصباح

وله شيوخ آخرون غيرهم — على ما ذكر ابن العديم — ومنهم من ورد ذكره في مؤلفاته كالحافظ عبد الغني بن سعيد[1] ، وغيره . وفي «لسان الميزان»[2] انه سمع صحيح البخاري من الحافظ أبي ذرّ .

وذكر من مشايخه أحمد بن ابراهيم ابن فراس .

وسَرْدُ أسماء بعض شيوخه قد يعين في معرفة اتجاهه وميوله الفكرية عند دراسة أحوال هؤلاء الشيوخ . وكذا ما ذكر من الكتب التي درسها ، ولكن لا يغيب عن البال أن تأثره بالكتب الدينية منها قد يكون ضعيفاً ، وان كان متديناً كما يتضح ذلك فيما بقي من مؤلفاته ، فكتابه «أدب الخواص» كان الباعث له على تأليفه — فيما ذكر في مقدمته — إثبات الإعجاز في القرآن الكريم — لا من حيث الصَّرْفة وحدها — بل يضاف اليها القياس والاستدلال ، ومن طريق الحسّ .

وهو شيعي المذهب ، وعندما يذكر أبابكر الصديق يذكره بلقبه (ابن أبي قحافة) ولا يترضّى عنه ، بينما يصلي على غيره ، وهو لم يشر في رسالته التي وجهها إلى سُدَّةِ الخلافة إلى ما

(١) «أدب الخواص» ص ٦٣ .
(٢) ٣٠١/٢ .

يفهم منه تشيعه من قريب أو بعيد ، ويظهر أنه تأثر بمذهبه هذا حينما كان في مصر ، وان كان يفهم عراقة بيته في التشيع مما أورده صاحب كتاب «أعيان الشيعة»[1] من أن أمه فاطمة بنت محمد بن ابراهيم النعماني صاحب كتاب «الْغَيبة النعمانية» وليس يعنينا من هذا الجانب إلا ما نستشف به ناحية من نواحي حياته الأولى ، وهي حياة غريبة كل الغرابة في وفرة ما أُلف فيها من المؤلفات مما يدل على اتجاهه اتجاهاً تاماً إلى العلم وهذا في حَدِّ ذاته غريب أيضاً من امرىء يعيش رَبيب قصور الترف والنعمة .

وجانب آخر جدير بالبحث ، له صلة بحياته العلمية هو عنايته — وهو الْعَجميُّ النِّجَارِ ، المفاخِرُ بذلك — بكلٍّ ما يتصل بالعرب من لغة ونسب وشعر وأخبار وغيرها ، عنايةً قلّ أن يضارعه فيها أحد ، حتَّى من علماء العرب الأقحاح باستثناء ابن دريد ، الذي يظهر أن المترجم تأثر بكتبه تأثراً جعله حينما يتحدث عن بعض المباحث اللغوية يقول :[2] (نحن في إيراده كالنائبين عن أبي بكر رحمه الله) .

وقد يكون لنشأته أثرٌ في ذلك ، فقد ولد ونشأ في حلب ، في كنف الدولة الحمدانية ، وهي دولة عربية ، للعرب وآدابهم عند رجالها منزلة عالية ، ومثل هذا يقال عن الدولة الفاطمية ، ثم تلقيه العلم من علماء اتجهوا اتجاهاً تاماً للعلوم العربية البحتة كالحافظ عبد الغني بن سعيد الْحَجْرِيّ الأزدي وجُنادة بن محمد الأزدي وغيرهما .

وليس من المستبعد — وهو الذي توفرت له كل الأسباب إبّان اشتغاله في التأليف — ان تُوَفَّر له مواد بعض مؤلفاته فيتولى الاختيار والتبويب والسبكّ مع أن ما وصل الينا من مؤلفاته ليس من الكثرة بالدرجة التي تبعث على الاستغراب ولكنها تستدعي الاعجاب بغزارة مادتها العربية .

وقاتل الله السياسة فقد حرمتنا من عالم لو سلم منها لكان لنا من مؤلفاته ذخيرة لم يخلفها لنا غيره من العلماء في موضوعها .

---

(١) ٧/٢٧ .

(٢) «أدب الخواص» الأصل ١٢٩/٦٦ .

ثم ننتقل إلى الجانب الثاني من حياته حيث انصرف عن العلم وغرق في بحر السياسة المضطرب .

عاش المغربيُّ في مصر قرابة عشرين عاماً منصرفاً إلى العلم ، دراسةً وتأليفاً ، حتى كان عام ٤٠٠ حيث تغير الخليفة الفاطميُّ الحاكِمُ على أبيه فقتله ، وقتل اثنين من أبنائه ، وقتل أخاه ، والحاكم — كالدَّهْرِ — قُلَّبٌ كَثِيْرُ التَّغَيُّر ، وله في ذلك أخبارٌ تتجاوز حدَّ الإغراب ، ولكنها حقيقة . أما القول بأن لصاحبنا أبي القاسم يداً في ذلك — على ما جاء في كلام ابن القارح في رسالته للمغربي — فقد كفانا ابنُ العديم مؤونةَ تزييفه إذ قال : (وقد كان بين أبي القاسم ابن المغربي وبين علي بن منصور ما يوجب أن لا يقبل قوله فيه) ثم نقل عن خط الوزير قوله : (أنشدني علي بن منصور إنْ صدق) وأضاف : (فيدل على ما ذكرته من حولها) كما نقل من ثَلْبِ ابن القارح للوزير ما ورد في رسالته[1] . التي كتبها للمعريِّ فأجابه برسالة «الغفران» .

ولعل من أبرز جوانب حياة ابن المغربي انتشار صيته وهو في أول شبابه ، مما دفع المعريَّ إلى أن يكاتبه ويثني عليه ، ثم تمتد الصلة بعد وفاته فيرثيه ، ولا أدري أيصح أن يوصف المعريُّ بتملق ذوي المقامات من الوجهاء كما فعل أيضاً مع ابن حصينة السُّلَمي الذي شرح ديوانه على أن شعره ليس في المرتبة التي تحمل مثل أبي العلاء على قراءته فضلاً عن شرحه ، وعلى كل حال فهذا جانب من حياة المعريّ يُعْنى بها دارسوه ، أما صلة ابن المغربي بالمعريِّ فقد نشأت بعد أن انتقل ابن المغربي من حلب إلى القاهرة وبعد أن ألف وهو في الرابعة عشر من عمره كتاباً دعاه كتاب «المُنخَل» جرد فيه كتاب «اصلاح المنطق» لابن السكيت ، فاختصره ورتب ما يحتاج منه الى ترتيب ، وبعث منه نسخة إلى أبي العلاء فكتب إليه أبو العلاء رسالتين من رسائله ، ويحسن أن نشير إلى السبب الذي دعا ابن المغربي إلى اختصار هذا الكتاب وان نورد ما جاء في طرة احدى نسخه[2] :

(قال ابو القاسم ابن المغربي : رأيت اختصار هذا الكتاب من صنعة أبي يوسف مؤلف الأصل في ١٨٠ ورقة من الخط الذي فيه الكتاب مئتان وستون ورقة ، مبتدئاً فيه بباب فِعْلٍ

---

(١) ١٩/٥ .

(٢) نسخة مكتبة دير الاسكوريال في اسبانيا المخطوطة سنة ٤٨٦هـ رقم ٦٠٥ .

وفَعَلَ ، باختلاف معنى مجرد الألفاظ ، فتأملته فوجدته أسقط أبواباً كثيرة منها باب فَعيلة وفعلت وأفعلت ، باختلاف معنى مجرد الألفاظ وغيرهما من أبواب الكتب فوقع لي أنَّ أَبا يوسف اختصره بحذف ما قَدَّرَ أن الحاجة لا تكاد تدفع إليه في كل وقت ويكثر استعماله وهو غير مُغْنٍ عن الكتاب شيئاً ، ثم رأيته مختصراً في نسخة أخرى ، منحولة إليه ، فيها ١٦٠ ورقة ، من تقدير الكتاب .. فاذا هو على الطريق الأول في حذف أبواب على كمالها واطراح كثير من تفصيلها ، مخالفة للنسخة الأولى ، ثم رأيته مختصراً لأبي يوسف ، يعقوب بن سعيد بن بيان الكاتب ، في ٤٥ ورقة ، من الورق الذي الكتاب منه ٥٠٠ ورقة ، فرأيت الوادي جرى فغم على القرى ، وتأملته فوجدته قد حذف ثلاثة أرباع الكتاب ، وجاء .. الباقي كل مالا يمكن معه تأمله من الترتيب ، فعرفت غرضه ، وهو انه شاء حذف ما حفظه ، من غير ذا الكتاب ، واثبات ما انفرد به ، وهو غير مستوعب للفائدة ، ولا مقصور على شيء من بنْية الكتاب ، فأمّا من أهل زماننا هذا ، فكل من قرأ منه عشر ورقات قال : أريد أن اختصره فأخل ، وخبط في عشواء واستخل به عما كان أعْوَدَ عليه من حفظ جملة الكتاب ، ورأيت أيضاً رجلاً بمصر قد هَمَّ بصنعه شعراً ، ورأيت منه كراسة واحدة شاهدت بعض الرؤساء وقد قال له : انه يدفع اليه مئة دينار عند اتمامه الكتاب .

ولقد حاجاني فيه بعض المنتحلين لصناعة الكتاب ، فراهنت معه أنني أُتمِّمُ نظمه كله في خمسة أيام ، ثم لم يقدم .. وأردتُ بحَلْبِ هذا الكلام كله ليعرف قدر ما صنعناه ، وليس يظهر إلا بعد تبحر وتنفيذ من أديب يتوخَّى فهمه) . وفي طرة الكتاب كلام للوزير العالم الأندلسي أبي مروان ابن حيان في الثناء على هذا المختصر ، لا نطيل بذكره ونكتفي بتلخيص ما جاء في مقدمة ابن المغربي عن طريقته فيه ، قال : (وسقته على ثلاثة أجزاء فالجزء الأول أمثلة الأسماء ، والثاني أمثلة الأفعال ، والثالث اللفيف . فأما أمثلة الأسماء فبدأت فيها بِفَعَل ، على ما يوجبه القياس ، وبما يتبعه ، ويتعلق به ، ثم بِفَعْلٍ ، ثم بِفُعْلٍ ، ثم على الترتيب وقرنت بكل باب ما يتبعه .. وقصدت إلى ما كان في بابين مكرراً فجعلته في باب واحد مفرداً ..

وحملني هذا التفريع أن اخترعت وضع أبواب لم تكن ، لأني لم أرَ مَزْجَ شَيءٍ من الألفاظ بغيره ، ثم سقت أمثلة الأفعال على الترتيب بنحو ما رتبت به أمثلةَ الأسماء فوزعتها وفرقت بينها وسميتها بأسماء لم تكن لها ، مثل باب لَيْس ، وباب المذكر والمؤنث ، وباب العدد ، وباب

المراعي ، وباب الضَّربِ في الأرض ، وباب ضرب الأعضاء وعدة أبواب يوقف عليها .. واعتمدت ان جعلت الأبواب المديدة الطول مُجَزَّأةً على حروف المعجم لتكون أقرب للمبتغي .. ومبلغ أبواب هذا المختصر مئتان وثمانية عشر بابا ، فالزيادة على أبواب الأصل مئة وسبعة أبواب) . ثم ذكر انه يروي الكتاب عن الوزير ابي الفضل (جعفر بن الفضل قال قرأت على أبي القاسم عيسى بن موسى بن عيسى بن مهدي سنة ٣٢٩ بفسطاط مصر قال : أنا أبو الفوارس داود بن محمد المزوروذي[1] ، قال قرأت على ابي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت جميع كتابه في اصلاح المنطق . وأخبرني به شيخنا أبو أسامة جنادة بن محمد الأزديُّ الهرويُّ ، وقرأت عليه المختصر والأصل في نسخة واحدة نحو عشر مرات ، قال لي : قرأت على أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري صاحب « تهذيب اللغة » بهراة عن أبي الفضل المنذريّ عن أبي شعيب الحرانيِّ عن أبي يوسف قال لي أبو أسامة أيضاً : حدثنا أبو المغيرة أحمد بن محمد الرُّسْتمِيُّ ، عن أبي بكر أحمد بن محمد المقدمي عن المازجي عن أبي يوسف ، وعن نسخة الرواية عن أبي أسامة ، عولت ، ومنها اختصرت وتنخلت) .

هذا الاستطراد حول الكتاب قصدنا منه تبيين جانب من حياة ابن المغربي ، قد يكون مجهولاً ، وهو عنايته باللغة العربية من صغره ، بحيث بلغ مبلغاً جعله يستدرك على أحد أئِمَّتِها ويكمل نقص كتابه ، ولم أر أحدا من مترجميه ذكر أنه من علماء اللغة ، ونجد على بعض مؤلفاته وصفه بالكاتب كمخطوطة كتاب « الإيناس » في المتحف البريطاني ، وصِفَةُ الكاتب في عهد ابن المغربي وما يقرب منه يقصد بها من يتولى كتابة الرسائل في الدواوين ، ولا يتولاها في ذلك العهد إلا من نال قدرا وافرا في علم اللغة العربية ، ولهذا كثيرا ما يطلق هذا الوصف على اللُّغَوِيِّين .

ولعلَّ تَمَكُّنَ ابن المغربيِّ في اللغة هو الذي حَمَلَ الْمَعَرِّي ليكتب إليه رسالتيه المعروفتين اللتين ملأهما بالكلمات الْغَرِيبة وهما « الرسالة الإغريضية » و« الرسالة الْمَنيحية » .

وقد أورد صاحب « الذخيرة »[2] له رسالة تَدُلُّ على شغفه بالغريب من المفردات اللغوية ،

---

(١) مَرْوَرُوذِي : نسبة إلى مَرْو الرُّوذ وهي مدينة قريبة من مرو الشاهجان أشهر مدن خراسان . خرج منها خلق من أهل الفضل ينسبون : مَرْوَرُوذِي ومَرُّوذِي . أنظر « الأنساب » للسمعاني و« معجم البلدان » .

(٢) ق ٤ ص ٤٨٠ وما بعدها .

بل على سعة علمه ، وطول باعه في علوم اللغة كلها .

ونجد من الأمثلة على سعة اطلاع ابن المغربي وتعمقه في المباحث اللغوية ، نصوصاً كثيرة في كتابيه « أدب الخواص » و « الايناس » كما نجد أمثلة أخرى في كتب غيره . قال ياقوت[1] : وبخط الوزير المغربي : الدهناء عند البصريين مقصور ، وعند الكوفيين يقصر و يمد .. وقال : قرأت بخط ابن مختار اللغوي المصري مما نقله من خط الوزير المغربي : قَسَا — منوناً ، وقساء — ممدوداً ، موضع ، وقسا موضع ، غير منون ، هذا ما نص عليه ولم يحتجّ . انتهى .

وفي « تبصير المنتبه »[2] : (وبكسر الشين المعجمة : بشر بن منقذ الشني قال الرضيّ الشاطبي : رأيته بخط الوزير المغربي مجوداً بالكسر ، وغيره يقوله كالجادَّة) ، وأورد ابن بسام فصولاً[3] تدل على تبحُّره في كثير من علوم عصره ، وهي غريبة في موضوعها .

وكان ذا عناية كبيرة بتجويد خطه واتقانه ، وهو يرى ذلك من الوسائل التي يتوقف عليها الفهم التام لما يتضمنه الكتاب ، فقد جاء في طرة كتابه « الايناس » ما هذا نصه مما هو منقول من خط المؤلف نفسه[4] : (متى نسخ هذا الكتاب ناسخٌ غير ضابط انعكس الغرض ، فصار هداه ضلالة بالحقيقة ومتى كتب أيضاً بَـأْجاً واحِداً[5] ولم يفرق بين فصوله مَرَج والتبس ، وصعب اخراج ما يراد منه) .

ولا شك أن لصلة ابن المغربي بالعالمين المشهورين الحافظ عبد الغني بن سعيد وجنادة ابن محمد وهما عربيان صَلِيْبَةً من الأزد ، أكبَر الأثر في اهتمامه بالعلوم العربية من لغة وأدب — وانساب وغيرها ، ولو طالت هذه الصلة لكان لابن المغربي في ذلك شأنٌ آخر غير ما نعرفه عنه الآن .

وهذان العالمان هما أبرز شيوخ ابن المغربي ، وكان بينهما صداقة وتآلف فقد ذكر ابن خلكان عن جنادة انه كان مكثراً من حفظ اللغة ، غارقاً بوحشيِّها ومستعملها ، لم يكن في زمانه مثله

(١) « معجم البلدان » : الدهناء ، قسا .

(٢) : ص ٨٥ .

(٣) « الذخيرة » القسم الرابع ص ٤٧٨ وما بعدها .

(٤) البَأْجُ — هنا المجموع ، بحيث لم تُفْرد العناوين وحدها (أنظر كتاب « الايناس » تحقيق حمد الجاسر) .

في فَنّهِ ، وكان بينه وبين الحافظ عبد الغني بن سعيد ، وأبي الحسن علي بن سليمان المقريّ النحويّ الانطاكي مؤانسةٌ واتّحَادٌ كثير ، وكانوا يجتمعون في (دار العلم) وتجري بينهم مذاكرات ومفاوضات في الآداب ، حتى قتل الحاكمُ جُنَادَة والانطاكيَّ في ذي القعدة سنة ٣٩٩ ، واستتر الحافظ عبد الغني خوفاً على نفسه)[١] ولا شك ان ابن المغربي كان يحضر مجالس شيخيه ، أما سبب قتل جنادة فقد أورد ياقوت[٢] خبراً غريباً قال عن جنادة : (كان مجلسه بمصر في جامع المِقياس وهو الذي فيه العمود الذي يعتبرون به زيادة النيل من نقصه واتفق في بعض السنين ان النيل لم يزد زيادة تامة ، فقيل للحاكم حينئذ : إنَّ جنادة رجل مشؤوم يقعد في المقياس ، ويلقي النحو ، ويعزم على النيل ، فلذلك لم يزد ، وكان من حدة الحاكم وتهوره وما عرف من سوء سيرته لا يتثبت فيما يفعله ، ولا يبحث عن صحة ما يبلغه ، فأمر من ساعته بقتله ، فقتل — رحمه الله — ولكن ابن كثير قال في «البداية والنهاية» في حوادث سنة ٤٠٠ : (وبنى الحاكم دارا للعلم ، وأجلس فيها الفقهاء ثم بعد ثلاث سنين هدمها ، وقتل خلقاً كثيراً ممن كان فيها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير) . ويحدد الدكتور حسن ابراهيم حسن تاريخ انشاء هذه الدار في سنة ٣٩٥[٣] ،

ولو صح ما ذكره ياقوت فما الداعي لاستتار الحافظ عبد الغني ؟! لا أستبعد أن قتل جنادة شيخ ابن المغربي له صلة بقتل أبي المغربي وأخويه ، وان كان المؤرخون يفرقون بين زمن الحادثتين ، فيجعلون قتل جنادة في ذي القعدة من سنة ٣٩٩ وقتل آل المغربي في ذي القعدة من سنة ٤٠٠ هـ . ولا أستبعد أن الحادثتين وقعتا في زمان واحد ، وان جنادة قُتِل لصلته بآل المغربي ، وقد سبقت الإشارة فيما تقدم إلى أن زمن استقرار ابن المغربي وتفرغه للعلم واشتغاله في التأليف كان في الفترة التي قضاها في مصر ، وهي تقارب ثماني عشرة سنة (من ٣٨٢ إلى سنة ٤٠٠) وبقية حياة المغربي عاشها في قلق واضطراب وتنقل بين الشام والحجاز والعراق ، مما سنشير إليه فيما بعد .

---

(١) تاريخ ابن خلكان ٣٧٢/١

(٢) «معجم الأدباء» ٤٢٦/٢ ط أولى .

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢٨ .

والدارس لحياة ابن المغربي يجدها تنقسم إلى أربع فترات :

(١) : الفترة الأولى : ولادته ونشأته في حلب حوالي عشرة سنوات (من ٣٧٠ إلى ٣٨٢) .

(٢) : اقامته في مصر واشتغاله بالعلم ١٨ سنة (من سنة ٣٨٢ إلى سنة ٤٠٠) .

(٣) : هربه من مصر إلى الشام وسعيه لأخذ ثَأْره من الحاكم العُبيديّ وذلك لإنشاء دولة برئاسة أمير مكة أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسني ، وهذه الفترة لم تمتد أكثر من سبع سنوات . (من سنة ٤٠٠ إلى سنة ٤٠٧) .

(٤) : تنقله بين العراق والشام بعد اخفاق مساعيه حوالي ١١ سنة (من سنة ٤٠٧ إلى سنة ٤١٨) . وهي خاتمة مراحل حياته .

أما الفترة الأولى فقد أَلْمَعتُ إلى جوانب منها فيما تقدم ، وليست مهمة بالنسبة لحياة ابن المغربي والفترة الثانية هي أخصب أيام حياته انتاجاً واحفلها بما له من آثار ، وأطولها زمناً ، ودراستها هي أولى ما يُعْنى به من يحاول معرفة الجوانب الثقافية من حياة ابن المغربي .

وتأتي الفترة الثالثة ، حينما قتل الحاكم أباه وعَمَّه واثنين من اخوته حوالي سنة ٤٠٠ ، ولعله قتل شيخه جنادة بن محمد ومن معه في هذا العام ، ولا تسعفني المصادر التي بين يديَّ بمعرفة الأسباب التي دفعت الحاكم إلى ذلك ، وإن كان المؤرخون يوردون أسباباً واهية منها أن الحاكم يتصرف تصرف غير العاقل في كثير من أفعاله ، والذي يعنينا هو أن ابن المغربي هرب من مصر ، حينما حاول الحاكم قتله مع أهله ، وسعى بكل ما يستطيع من قوة لأخذ ثأره ويروى ابن العديم في «تاريخ حلب»[1] انه كتب إلى الحاكم كتاباً صدره بقوله :

وَأَنْتَ — وحَسْبِي أنتَ — تَعْلَم أنَّ لي ... لِسَاناً أمامَ الْمَجدِ يَبْني ويَهْدِمُ
وَلَيْسَ حَلِيماً من تُبَاسُ يَمِيْنُهُ ... فَيَرْضَى ، ولكن من تُعَضُّ فَيَحْلُمُ

لقد هرب ابن المغربي إلى الرملة — من بلاد فلسطين — والتجأ بالمتغلب عليها ، حسان بن مفرج بن دغفل بن جرَّاح الطائي وبنيه وبني عمه ، وسعى حتى أفسد ما بينهم وبين الحاكم ،

---

(١) ٢٥/٥ (المخطوطة) .

وحسن لهم مبايعة أمير مكة الحسن بن جعفر ، وتنصيبه خليفة لأنه لا مطعن في نسبه ، بخلاف الحاكم ، فوافقوه على ذلك ، ووجهوه إلى الحجاز فخرج حتى قدم مكة فأطمع صاحبها في الاستيلاء على الديار المصرية ، وحقق له سهولة الأمر ، فأصغى إلى ذلك وبايعه ، وبايعه شيوخ الحسنيين ، وحسّن له أخذ ما في الكعبة من فِضَّةٍ فضربه دراهم ، وتَلَقَّب بالراشد بالله ، وخطب بمكة لنفسه ، وسار الى ابن الجراح ، فلما قرب من الرملة تلقاه مُفَرِّجٌ وسائر العرب وسلموا عليه بصفته أمير المؤمنين ، وكان متقلداً سيفاً يزعم أنه ذو الفقار ، وبيده قضيب يزعم انه قضيب رسول الله (ص) وبين يديه ألف عبد من السود ، ونزل الرملة ، وبادر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العدل . وخُطِب له بالرملة وقلق الحاكم بسببه ، وخاف ، وأرسل إلى بني الجراح أموالاً كثيرة فاستمالهم بها فأَحَسَّ بذلك أبو الفتوح فقال للمغربي : غررتني بوعدك ، وأخرجتني من بلدي ونعمتي ، وجعلتني في أيدي العرب يبيعونني إلى الحاكم ، ولا آمن على نفسي ، ويجب أن تخلصني كما أوقعتني ، فانني راض عن الغنيمة بالإياب ، فشجعه المغربي ، ثم ركب أبو الفتوح إلى المفرج وقال له : فارقت نعمتي وكشفت في عداوة الحاكم صفحتي لسكوني إلى ذمامك وثقتي بقولك ، ولي في عنقك عهود ، وأرى حَسَّاناً ولدك أصَلح أمره مع الحاكم ، فأنا خائف من غدره ، وما أريد إلا العود إلى وطني فسيره المفرج إلى وادي القرى[1] حتى بلغ مأمنه .

وهكذا انهارت آمال ابن المغربي أمام أعمال الحاكم الذي استطاع أن يؤثر على آل الجراح أمراء قبيلة طيء حكام الرملة ونواحيها ، فقد أغدق عليهم الأموال حتى استمالهم ، وغير قلوبهم ، وفي الوقت نفسه كتب لابن المغربي كتاب أمان ملأه بالأيمان المغلظة وقد أورد ابن العديم الكتاب بنصه وذكر أن الحاكم كتبه بيده ، وأنَّ ابن المغربي توجه إلى العراق قبل وصول الكتاب اليه ، ولكننا نرى أنَّ المغربي أبْعد غَوراً من أن ينخدع بأمان الحاكم فهو لا يجهل ما يتصف به من سرعة التقلب وشدة الحقد .

ولعل مما يستغربه القارىء سرعة انقياد آل الجراح ثم مبادرة صاحب مكة للاستجابة لما طلب منه وكيف انخدع اولئك بأعمال ابن المغربي وهم يعرفونه طريداً طالبا للثأر ، ليس له

---

(١) ابن خلكان ١٧٤/٢ .

حول ولا قوة ، غير أن هذا الاستغراب يزول عندما يدرك القارىء :

(١) أن آل الجراح يحكمون الرملة وما حولها حكماً بَدَوِيّاً ، اذ قبيلة طيء في ذلك الزمن كانت من أقوى القبائل نفوذاً في تلك النواحي ، وقد ظن آل الجراح بأنهم سيجدون لدى هذا الخليفة الجديد أكثر مما يجدونه من الحاكم ، والبدوي بطبعه ميال إلى سرعة التقلب وقديماً وصفوه بأنه مثل (القِرِليِّ ، إن رأى خيراً تَدَلَّى ، أو رأى شراً تعلىّ)[١] .

وهكذا شأن آل الجراح فقد وجدوا من هبات الحاكم ومواعيده السخية ما رأوه خيراً لهم من صاحب مكة الذي اتضح لهم من حالته وقلة ما في يده أنه سيكون عبئاً ثقيلاً عليهم .

(٢) أما صاحب مكة فقد كان بحاجة إلى قوة يتخذ منها وسيلة للضغط على الحاكم الذي كانت سياسته نحو ولاة مكة مذبذبة ، فقد قتل أحمد بن أبي العلاء احد رجال أمير مكة هذا الحسن بن جعفر بدعوى أنه كان ينقل الأخبار اليه كما ان سلفه المُعز سبق أن بعث إلى مكة في سنة ٣٦٧ أميراً من رجاله ، والحسن لا يأمن أن يكرر الحاكم الأمر وهو الذي لا يستقر على حال ، ولا تؤمن بوادره ، يضاف إلى ذلك أن إمارة مكة في ذلك العهد يتنازعها طائفتان من السُّليمانيّين احداهما الأسرة التي منها الحسن والأخرى آل أبي الطيب الذين سرعان ما عين الحاكم زعيمهم أبا الطيب اميرا في مكة عندما علم بعصيان الحسن بن جعفر[٢] ..

(٣) يظهر أن الحسن هذا ليس رجل دولة فبينما كان الخليفة العباسي القادر يتقرب إليه فيكاتبه مرغباً له بالطاعة ويعده بمؤازرته وابقاء الإمرة في بنيه اذا هو ينحرف عنه ويتزلف إلى الحاكم بمصر ، ويرسل اليه كتب[٣] الخليفة العباسي .

(٤) ثم إن اقدام الحسن بن جعفر على أخذ ما في الكعبة من هدايا يدل على عدم تبصره بالعواقب ، ولا يعنينا الآن من كل ما تقدم سوى ما له صلة بابن المغربي الذي لم يقف شؤمه عند حد إخفاقه في مسعاه ، بل تعدَّى ذلك إلى ايجاد كثير من القلاقل في الشام (فلسطين

---

(١) العقد الثمين ٧٦/٤ .

(٢) قال ابن منظور : وروي في أسجاع ابنة الخُسِّ : «كن حذراً كالقرليّ ، إن رأى خيراً تدلى وإن رأى شراً تولى» والقرلى : طائر صغير من طيور الماء يصيد السمك يقال إنه إذا أبصر سمكة في قعر البحر انقض عليها كالسهم . أنظر اللسان (قرل) .

(٣) العقد الثمين ٧٧/٤ .

ونواحيها) والحجاز وكان من نتائج فشله قتل الشاعر المعروف علي بن محمد التهامي المكي الحسني الذي انضم إلى حركة ابن المغربي تلك ، وذهب برسائل من حسان بن مفرج بن الجراح إلى عرب ليبية ليثيرهم ضد الحاكم فقبض عليه وحبس ، ثم قتل في الحبس في مصر سنة ٤١٦ .

لم يجد ابن المغربي بُدًّا من الهرب نحو العراق ، ولعله فعل ذلك بدافعين :

أحدهما : ما يعرفه من العداء بين الدولتين العباسية ببغداد ، والعُبيدية بمصر وثانيهما صلته بالبويهيين المسيطرين على شؤون الدولة العباسية ، فهم من الفرس ، وهو يلتقي معهم في نسبهم ، ولما وصل بغداد اتصل بوزير البويهيين فخر المُلْك أبي غالب محمد بن علي بن خلف[1] واتصاله بفخر الملك يدل على انه وصل بغداد سنة ٤٠٧ أو قبلها ، لأن فخر الملك قد قتل في هذه السنة ، ويظهر أن الشؤم يتابع ابن المغربي ، فحينما علم الخليفة العباسي القادر بالله بقدومه أمر فخر الملك بإبعاده ، مُتّهماً إياه بأنه ما جاء إلا لإفساد الدولة ، فذهب به الوزير فخر الملك إلى واسط ، حيث وجد هناك قرواش بن المقلد العُقَيْلي ، فسار معه من واسط إلى الموصل ، ولكن الخليفة القادر بالله لم يدعه يستقر لدى قرواش بن المقلد أمير الموصل الذي ولاه الوزارة .

ويظهر أن ابن المغربي تردّد على قرواش ، فقد ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤١١ أن قرواشا قبض عليه ، وطالبه بمال ، وان ابن المغربي خدع قرواشاً ووعده بمال له في الكوفة وبغداد ، فأخرجه من الحبس وتركه ، كما ذكر ابن الأثير أيضاً في حوادث ٤١٦ ان الخليفة القادر بالله أرسل إلى قرواش يأمره بإبعاد المغربي وكان عنده ، وأشار إلى أن سبب ذلك أن الخليفة القادر بالله عزل علي بن أبي طالب عن نقابة الكوفة ، وهو صهر ابي القاسم المغربي ، فأنكر المغربي ما جرى على صهره ، ومن هذا يظهر أن ابن المغربي اتصل بقرواش قبل توليه الوزارة وبعده لأنه تولى الوزارة قبل سنة ٤١٦ ، فقد نقل ابن العديم[2] عن تاريخ الصابي قوله : وفي شهر رمضان من سنة ٤١٤ قبض على ابي علي الرخجي ، وتقلد وزارة شرف الدولة[3]

(١) «تاريخ حلب» ٥/الورقة ٣٦ و«الكامل» لابن الأثير ٣٣٢/٩ .

(٢) تاريخ حلب ٥ — ٩ .

(٣) هو الحسين بن خلشاد بن عضد الدولة البويهي (٣٩٣ — ٤١٦ هـ) وملك خمس سنين .

أبو القاسم ابن المغربي ، وأشار ابن الأثير الى توليه الوزارة في هذه السنة ، وأورد ابن العديم عن شيخه أبي الْيمن الكِنْديّ وغيره أن وزارة ابن المغربي كانت في رمضان سنة خمس عشرة واربعمائة[1] .

ويذكرون أنه تولى الوزارة بغير خلعَة ولا لقب[1] ولا فارق الدُّرَّاعة ، ويورد ابن العديم لأبي عبدالله الخيمي أحد شعراء بغداد في وزارة ابن المغربي قوله :

ويلي وويحي وويهي على ملوك (بويه)
يا ضيعة الملك ...[2] ويا بكائي عليه
يا مغربيُّ رُوَيْدا كيف اهتديت اليه ؟
سلبته كلَّ حَليٍ في جيده ويديه
سياسة الملك لَيْسَتْ ما جاء عن (سيْبَويه)

ولكن هذا الشاعر رتق ما فتق بعد أن تولى ابن المغربي في آخر حياته الوزارة لابن حسان صاحب ديار بكر فقال :

يا معجز الله الذي قد حلَّ في أعلا محل
لما رأيت الملك في هون ومضيعة وقلّ
أكبرت نفسك أن تُدبّـ ـر أَمْرَ مُلْكٍ مُضْمَحل

لم يطل بقاء ابن الوزير في وزارة البويهيين ، ومع أنه تولاها والخليفة قد أظهر الرضا عنه بعدما كتب له كتاباً مطولاً أورده ابن العديم ، يظهر فيه مخالفته لما عليه العبيديون من عقيدة ، ويوضح له صلته بالعراق وأهله ، إلا أن الحالة العامة في بغداد كانت على درجة سيئة من الفوضَى وعدم استقرار الأمور وضعف موارد الدولة ، وتسلط قواد الجند من الأتراك والديلم وغيرهم تسلطاً أزال ما للخلافة من هيبة . ويفصّل ابن الأثير[3] خبر عزل ابن المغربي بما

---

(١) كذا قال ابن الأثير وابن العديم مع أن هذا الأخير ذكر عن ابن المغربي : (الملقب بالكاكلمل ذي الجلالتين) تاريخ حلب ١٤/٥ .

(٢) كلمة غير واضحة في المخطوط .

(٣) : ج ٩ — ٣٣٥ .

ملخصه : وفي سنة ٤١٥ تأكدت الوحشة بين الأثير عنبر الخادم ومعه الوزير ابن المغربي وبين الأتراك ، فاستأذنا من شرف الدولة ابن بويه في الانتزاح إلى بلد يأمنان فيه فقال : أنا أسير معكما ، فساروا ومعهم جماعة من مقدمي الديلم إلى السندية ، وبها قرواش فأنزلهم ثم ساروا كلهم إلى أوانا ، فلما علم الأتراك بذلك أرسل قوادهم يعتذرون فكتب إليهم ابن المغربي : إني تأملت ما لكم من (الجامكيات) فإذا هي ست مئة ألف دينار وعملت دخل بغداد فاذا هو أربع مئة ألف فإذا اسقطتم مئة ألف دينار تحملت الباقي . فقالوا نسقطها فاستشعر منهم المغربي فهرب إلى قرواش ، فكانت وزارته عشرة أشهر وخمسة أيام ..

ويظهر أن ابن المغربي تولى وزارة قرواش وأنه جرى عليه ما جرى من حبس ومصادرة بعد خروجه من الوزارة في بغداد ، اذ ليس من المعقول أن يعود إلى قرواش مرة أخرى بعد الذي جرى عليه منه .

ويذكر ابن الأثير[1] ان الفتنة التي وقعت في الكوفة بين العلويين والعباسيين التي أدت إلى صرف علي بن أبي طالب عن نقابة الكوفة ، وهو صهر ابن المغربي كانت في سنة ٤١٥ ، وان الخليفة أرسل القاضي ابا جعفر السمناني برسالة إلى قرواش يأمره بابعاد المغربي ، ففعل ، وان المغربي سار إلى ابن مروان بديار بكر ، ثم يعود مرة أخرى فيذكر في سنة ٦١٤ الخبر ، وعلى كل حال فقد كانت نهاية ابن المغربي انه خرج من الموصل ، وقصد ميَّافارقين ، واقام عند سلطانها أحمد بن مروان الكردي وزيراً له إلى أن توفي ، ويقول ابن خلكان : إن من سعادة ابن مروان انه وزر له وزيران كانا وزيري خليفتين أحدهما المغربي ، وكان وزير خليفة مصر ، وانفصل عنه وقدم على ابن مروان فوزر له مرتين[2] ويشير ابن العديم إلى أن ابن مروان أكرمه غاية الاكرام ، وأقطعه ضياعاً جليلة تقوم به وبمن وصل معه من حاشيته وأتباعه ، وأنه خوطب في التصرف ففعله بعد إباء شديد ، وكانت لبسته اذ ذاك المرقعة والصوف ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى غير ذلك اللباس وظهر أمره ، وانكشفت حاله ، ثم أورد فيه شعراً :

تبدل من مُرَقَّعة ونسك ... بأنواع المُمَسَّك والشُّفُوفِ

(١) ٩ — ٣٣٥ .

(٢) ابن خلكان ١٧٨/١ تحقيق الدكتور احسان عباس .

وعنّ له غزالٌ ليس يَحْوي هواه ولا رضاه بلبس صوفِ
فعاد أشدَّ ما كان انهتاكاً كذاك الدهر مُخْتَلف الصروفِ

وقال : إنه أقام هناك مدة طويلة في أعلى حال وأجل رتبة[1] .

ويفهم من كلام ابن العديم أنه سار بعد ذلك إلى الموصل ثم إلى بغداد أي بخلاف ما تقدم ، وأرجح الأقوال أنه لم يَعُد إلى تلك الجهات ، فقد توفي في ميّافارقين من ديار بكر ، وذلك في يوم الاحد ١١ رمضان سنة ٤١٨ هـ على ما ذكر ابن العديم وغيره ، وذكر صاحب « الذخيرة » أنَّ صاحب ميَّافراقين أحَسَّ منه تَغَيُّراً حتى استدعيَ الى بغداد لتولي الوزارة (فسقاه شربةً كانت آخر زاده) ونقل تابوته إلى الكوفة فدفن بالمشهد ، ويحلو لمؤرخيه وصفه بالدهاء حتى بعد موته فيروون أنه لكي يتمكّن من الدفن هناك بعث بكتب قبل وفاته خدع بها الأمراء والرؤساء الذين سيمر تابوته ببلادهم ، لئلا يتعرضوه ، وما أرى الامر يحتاج إلى خديعة .

ولكي يتصوَّر القاريء منزلة ابن المغربي في نفوس بعض علماء عصره وما بعده بيسر يحسن أن اختم هذا الفصل بكلام لابن بَسَّام المتوفي بعده بنحو قرن من الزمان (٥٤٢ هـ) وان كان قوله لا يخلو من مبالغة[2] : كان أبو القاسم نَجماً مطالعه الدُّول ، وبحراً عُبابه القول والعمل ، وروضةً تقوتُ القلوب نفحاتها ، وتُقيد الأبصار صفاتها وموصوفاتها ، أما العلماء فعيال عليه ، وأما العظماء فلعب في يديه ، وأما الأقلامُ فبعضُ شيعه وأنصاره ، وأما الأقاليم فبين إيراده واصداره ، وأما مكانه من العلم الحديث والقديم ، وسَبْقُه إلى غايتي المنثور والمنظوم ، واقدامه على المهالك ، وتلاعبه بالأملاك والممالك ، فاشهر من الصباح ، وأسير من الرياح) انتهى .

مؤلفات ابن المغربي : أشرت إلى أن أخصب أيام حياته في التحصيل والتأليف هي التي قضاها في مصر بين سنتي ٣٨١ و ٤٠٠ هـ ، وهي من عمره بين الحادية عشرة والثلاثين ، ولعله لم يكن مبالغاً في قوله في رسالته إلى الخليفة — التي تقدمت الإشارة اليها — من انصرافه إلى العلم انصرافاً تاماً في تلك الحقبة من عمره ، واذا استثنينا رسائله وديوان شعره من مؤلفاته جاز لنا القول بأنه ألفها وهو في مصر ، قبل أن يغرق في بحر السياسة بعد نكبته ، إذ من المستبعد أن

---

(١) تاريخ حلب ٥/٢٤ .

(٢) «الذخيرة» ق ص ٤ ٤٧٥ .

يتجه إلى التأليف خلال الخمسة عشر عاماً التي قضاها في التأليب على الحاكم الذي قتل أباه وذويه ، ولا في بقية حياته المضطربة التي لم يستقر في خلالها ، بل أمضاها مُطارداً بين بغداد والموصل وميافارقين .

ولئن كان المغربي قد شكا من ضياع كتب أهله بقوله : (كانت الكتب التي جمعها أسلافي ذهبت جميعاً بالشام)[1] وذلك أثناء النكبة التي حلت بهم في حلب فقد ذكر أيضاً في رسالته إلى الخليفة القادر ما يدل على ضياع كتبه في مصر حيث قال : (ولقد سلم لي من جزازات كتبي ما هو اليوم دال على تشاغلي بالدين القيم)[2] . ولكنه لم يذكر مما سلم سوى نسختين من «الموطا» بسماعه هو ، إذ هو محل الاستشهاد .

وليس من المعقول أن رجلاً يهرب من سطوة حاكم غشوم بالطريقة التي هرب بها المغربي يستطيع أن يتمكن من حمل كتبه معه ، وهذا يفسر لنا أن طرفاً من مؤلفات المغربي بقي في مصر إلى زمن متأخر .

فمن مؤلفاته :

١ — اختصار «الغريب المصنف» . نقل السيد محسن الأمين عن النجاشي أن من مؤلفاته اختصار غريب[3] المصنف ، وفي بعض المواضع : مختصر غريب الكلام ومعروف ان كتاب «الغريب المصنف» لأبي عبيد القاسم بن سلام .

٢ — اختيار شعر أبي تمام ذكر في «هدية العارفين» وفي «أعيان الشيعة»[4] .

٣ — اختيار شعر البحتري ذكره صاحب «هدية العارفين» وصاحب «اعيان الشيعة» .

٤ — اختيار «شعر المتنبي والطعن عليه» ذكره الخير الزركلي في «الأعلام» وذكر في «هدية العارفين» وفي «أعيان الشيعة»[5] .

---

(١) «أدب الخواص» ص ٦٤ .

(٢) ابن العديم ١٧/٥ .

(٣) «اعيان الشيعة» ١٧/٢٧ .

(٤) «رجال الشيعة» ١٧/٢٧ ، «الاعلام» ٢٦٧/٢ .

(٥) رجال الشيعة والاعلام .

٥ ــ «أدب الخواص» ــ هذا الكتاب ــ وهو الكتاب الذي وصل الينا الجزء الأول منه في مخطوطة وحيدة في مكتبة حسين جلبي في بورصة برقم ١٩ (مجموع) وقد اطلع ابن خلكان على الكتاب فذكره في مواضع من كتابه يحسن ايرادها :

أ ــ قال في ترجمة عبدالله بن طاهر الخزاعي ــ وذكر الوزير في «أدب الخواص» ان البطيخ الْعَبدِلاَّوِي الموجود بالديار المصرية منسوب إلى عبدالله المذكور[١] .

ب ــ وقال في ترجمة ابن عبد ربه ــ صاحب «العقد الفريد» : (وله من جملة قصيدة في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن :

بالمنذر بن محمد شَرُفَتْ بلادُ الأندَلُس
فالطير فيها ساكنٌ والوحش فيها قد أَنِس

قال الوزير في «أدب الخواص» : وقد روى أن هذه القصيدة شقّت عند انتشارها على أبي تميم المعز لدين الله وساءه ما تضمنته من الكذب والتمويه ، الى أن عارضها شاعره الإيادي التونسي بقصيدته التي أولها :

ربْعٌ لزينب قد دَرَسْ واعْتَاضَ عَنْ نُطْق خَرَسْ[٢]

جـ ــ وفي ترجمة الوزير جعفر بن حنزابة[٣] (٣٠٨/٣٩١) : (ذكر الوزير المغربي في «أدب الخواص» : كنت أحادث الوزير أبا الفضل جعفر وأجاريه شعر المتنبي فيظهر من تفضيله زيادة تنبّه على ما في نفسه ، خوفاً أن يُرَى بصورة من الغضب الحايل عن قول الصدق في الحكم العام ، وذلك لأجل الهجاء الذي عرض له به المتنبي) .

د ــ وفي ترجمة المتنبي : وذكر الوزير المغربي في كتاب «أدب الخواص» في جُعْفيٍّ أربعَ لغات فقال : يقال جعفيٌّ منوَّن مشدَّد ، وجعفيُّ مشدد غير منون ، ويقال جعفي غير مشدّد ، ويقال جُعْف بوزن فُعْل ، ثلاثياً من غير ياء النسبة[٤] .

---

(١) ٣/٨٨ .
(٢) ١/١١١ .
(٣) ١/٣٤٩ (الحنزابة هي الحِنْبَازة بلهجة أهل نجد) .
(٤) ١/٤٥٢ .

هـ ــ وقال في ترجمة ابن حمدان التغلبي وأقاربه[1] : (ونقلت نسبهم على هذه الصورة من كتاب «أدب الخواص» للوزير أبي القاسم الحسين ابن المغربي) انتهى. وقد أوصل نسبهم إلى تغلب، بينما الهمداني في «صفة جزيرة العرب» يذكر أنهم من موالي تغلب، ولا شكَّ أن المغربي أعلم منه بهذا الأمر لكونه عاش أول حياته في كنفهم، يضاف إلى هذا انه كان حاقداً على بعضهم فلو كان في نسبهم مغمز لذكره فقد ألف كتابه بعد انفصاله عنهم.

و ــ وقال في ترجمة المغربي نفسه[2] : (وأما هو فأمه بنت محمد بن ابراهيم بن جعفر النعماني، ذكره في «أدب الخواص»).

ز ــ وقال عن المغربي[3] أيضاً : نظرت في كتاب «أدب الخواص» فوجدت في أوله : وقد قال المتنبي ــ واخواننا المغاربة يسمونه المتنبه فأحسنوا ــ

أتى الزمان بنوه في شبيبته   فسرّهم، واتيناه على الهرم

.. ثم اعاد هذا القول بعينه لما ذكر النابغة الجعدي وشعره، وأنشد عن المتنبي :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه   ولو أنَّ ما في الوجه منه حراب

حـ ــ وقال :[4] (وسئل حسين بن بكر الكلابي النسابة عن السبب في اتضاع باهلة وغني عند العرب فقال : لقد كان بينهما غناء وشرف، ولم يضعهما إلا اشراف اخويهما عليهما بالمآثر، فدنئوا بالإضافة إليهما، ذكر ذلك الوزير ابو القاسم المغربي في «أدب الخواص»[4].

ونقل الحافظ الذهبي عن كتاب «أدب الخواص» في كتاب «المشتبه» ما نصه : (وبالفتح : أميم بن يلمع بن عابار ضبطه الوزير المغربي في كتاب «أدب الخواص». ونقل أيضاً : (وفي كتاب «أدب الخواص» للوزير أنه قرأ بخط شبل النسَّابة في عدة مواضع : شَهْل بن عمرو بن قيس في حِمْيَرَ أعجمها ثلاثا قال : وفوق الاعجام : ظاء. قال : ولا أدري ما

---

(١) ٢/١١٧.

(٢) ٢/١٧٧.

(٣) ٢/١٧٢.

(٤) ٤/٩١.

صحة ذلك[1] انتهى . ويظهر أن الذهبي نقل ما تقدم عن كتاب «الإكمال» لابن ماكولا ، وأنه هو الذين اطلع على كتاب «أدب الخواص» مما يدل على ان الكتاب كان منتشراً ومعروفاً في القرن الخامس الهجري ، اذ ابن ماكولا توفي سنة ٤٧٥ هـ (١٠٩٥م) .

وذكر المغربي نفسه كتابه هذا في مؤلفه : «الايناس» فقال : (وَضَبَّةُ عندي أشعر قبائل العرب على الجملة ، ولعلّ المختار من شعرهم وأخبارهم يَمُرُّ بك في «أدب الخواص» وقال : (المنذر بن ماء السماء ، وماء السماء أمه ، امرأة من النّمر ، وهو المنذر بن امرىء القيس ، وقد استقصينا الكلام على أنسابهم وأخبارهم في كتاب «أدب الخواص»[2] .

وسنعود للحديث عن هذا الكتاب .

٦ ـــ اشعار النساء : قال في «الايناس» : في الكلام على فاطمة بنت سعد بن سيل (وقد ذُكِر لها شعرٌ قالته ، كتبناه في موضعه من أشعار النساء) ، وسيرد له اسم كتاب النساء أيضاً .

٧ ـــ الالحاق بالاشتقاق ـــ ذكره في «تاج العروس»[3] و«هداية العارفين»[4] .

٨ ـــ الأنساب : وهو غير «الايناس» فقد قال في «أدب الخواص» عند ذكر طلحة بن عبدالله بن عوف ـــ : (وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف وقد استقصينا انسابهم في مواضعها من كتابنا الكبير)[5] .

٩ ـــ الإيناس بعلم الانساب : وصفه ابن خلكان بقوله : (مع صغر حَجمه كثير الفائدة ، ويدل على كثرة اطلاعه) . وقد نشر في مجلة «الكتاب العربي» بمصر ـــ ج ١٧ في سنة ١٩٦٥م بدون تحقيق ، وقدحققته وأعددته للنشر عن ثلاث مخطوطات جيّدة في المتحف البريطاني) وفي (دار الكتب المصرية) وفي (مكتبة جستربتي) في (دبلن) .

---

(١) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، ٢٤ و٧٠١ .

(٢) ص ٣٥ و٣٧ مخطوطة (دار الكتب) .

(٣) مادة ـــ أزد .

(٤) ٣٠٧/١ .

(٥) ص ١٧٧ (٨٩) .

١٠ ــ تفسير القرآن : قال ابن العديم[١] : وله كتاب في تفسير القرآن ، أحسن فيه على اختصاره ، انتهى . وسماه في « رجال الشيعة » « المصابيح في تفسير القرآن » وقال : ذكره ابن شهراشوب في « المعالم » واستظهر صاحب « الرياض » انه « خصائص علم القرآن »[٢] . وفي « هدية العارفين » سماه : « خصائص علم القرآن » .

١١ ــ الديوان : قال ابن خلكان : (المغربي هو صاحب الديوان الشعر والنثر) . وقد ذكر بروكلمان أن في مكتبة الامبروزيانا في ايطاليا قطعة من شعره برقم ١١٩ .

١٢ ــ زيادات « فهرست النديم » : وقد ذكره ياقوت في « معجم الأدباء » فقال في ترجمة القاسم بن محمد الأنباري .

(قرأت في كتاب « الفهرست » الذي تممه الوزير الكامل أبو القاسم المغربي ولم أجد هذا في النسخة التي بخط المصنف ، أو قد ذهب عن ذكري ، قال : ذكر أبو عمر الزاهد قال : أخبرني أبو محمد الأنباري ..) .

وفي ترجمة محمد بن جعفر المعروف بابن النجار الكوفي قال : (ونقلت من زيادات الوزير المغربي في « فهرست النديم » انه ولد سنة ٣١١ ..)[٣] .

١٣ ــ رسائله : ومنها رسالة في القاضي والحاكم[٤] . ورسالة في فنون مختلفة ــ أوردها ابن بسام في « الذخيرة » وقد ذكر ابن العديم أنه اطلع على الجزء الأول من رسائله ، مما يدل على أنها جمعت في كتاب ونقل احداها ــ كما تقدم .

١٤ ــ السياسة : ذكر استاذنا أبو الغيث الزركلي أنه مطبوع[٥] وقد ذكر لي الأستاذ عبد الكريم منجد في كتاب منه ان الدكتور سامي الدهان حققها وفي دار الكتب في القاهرة في

---

(١) ١٦/٥ .
(٢) ١٨/٢٧ .
(٣) ١٩٧/٦ و٤٦٧ ــ الطبعة الأولى .
(٤) « رجال الشيعة » ١٧/٢٧ و« هداية المصنفين » ٣٠٧/١ .
(٥) « الأعلام » ٢٦٦/٢ .

المجموع رقم ٧٧ رسالة في السياسة تقع من الورقة الـ٥١ إلى الـ٥٦ ، وهي الرابعة فيه (أي ٤ ورقات)[١] .

١٥ ــ سيرة النبي (ص) الجزء الثاني كان في المدينة ، ثم باعه الشيخ أمين بن حسن الحلواني بين الكتب التي باعها في هولندا وأول هذا الجزء . (أسماء الأعداء من اليهود) وقد ذكره (لندبرج) في فهرس تلك الكتب[٢] .

ولعل هذا الجزء من السيرة التي هذبها ابن هشام . في (دار الكتب الظاهرية) أجزاء من هذه السيرة (٢٢ إلى ٢٤) وهي من تجزئة الوزير أبي القاسم المغربي من ٣٠ جزءاً ــ على ما ذكر الدكتور يوسف العش في فهرس مخطوطات الدار «التاريخ وملحقاته»[٣] .

١٦ ــ العماد في النجوم . ذكره صاحب «هدية العارفين»[٤] .

١٧ ــ كتاب بني أسد : في الكلام على عبدالله بن الزبير في «الايناس» قال : (وذكره مستقصي في كتاب بني أسد ان شاء الله) وقد يكون قصد قسماً من كتاب «أدب الخواص»[٥] تحدث فيه عن تلك القبيلة ، كما سيأتي بعد هذا .

١٨ ــ كتاب بني ضُبَيْعة ، قال في «أدب الخواص» : (وخبر رؤساء ربيعة مستقصى في موضع اقتضت الحال ايراده فيه من كتاب بني ضبيعة ، رهط المسيّب بن علس ، ان شاء الله) وهو قسم من كتاب «أدب الخواص» .

١٩ ــ كتاب النّساء . قال في «الايناس»[٦] : (أبو ذؤيب .. فمات في حبسه ، وخبر ذلك مكتوب في باب أروى بنت الحارث بن عبد المطلب من كتاب النساء) .

٢٠ ــ المأثور في مُلح الخدور : ذكره ابن خلكان[٧] . كذا ولعل الصواب (في ملح ذوات الخدور) .

---

(١) فهرس الدار ٥٦٥/٧ .
(٢) أنظر عنه «العرب» س ١ ص ١١٥٣/٣٠١ .
(٣) ٣٠٨/١ .
(٤) ص ١٥ .
(٥) «الايناس» الورقة ٤٤ نسخة المتحف البريطاني .
(٦) الورقة ٣٨ من نسخة المتحف البريطاني .
(٧) ابن خلكان ١٧٢/٢ .

٢١ — مجالس الوزير مع مطران نصيبين ، نشرها الأب شيخو في مجلة المشرق ، على ما كتب به إليَّ الأستاذ عبد الكريم منجد ، من الزرقاء في الأردن بتاريخ ١٩٧٨/٣/١م .

٢٢ — مختصر إصلاح المنطق أنظر المنخل في مكتبة الشيخ كاشف الغطاء في النجف — على ما ذكر لي الأستاذ عبد الكريم منجد .

٢٣ — منتخب الأغاني : ذكره ياقوت في «معجم الأدباء»[١] قائلاً : (قال أبو القاسم .. في مقدمة ما انتخبه من كتاب الاغاني) وسماه صاحب «كشف الظنون» : اختيار الأغاني .

٢٤ — المنثور : ذكره ابن حجر في الاصابة[٢] فقال في ترجمة حَمْنَن بن عوف .. وحَمْنَنُ رأيته مضبوطاً بفتح أوله وسكون الميم وفتح النون ، بعدها نون أخرى ، كذا ضبطه الأمير وغيره ، وكذا في «النسب» للزبير وفي وفاة حمنن يقول الشاعر :

فيا عجباً إن لم تَفِضْ عبراتُها نساءُ بني عَوْفٍ وقد مات حَمْنَنُ

وضبطه الوزير ابن المغربي في كتاب «المنثور» كذلك ، ولكن جعل آخره بزاي بدل النون ، وقال : هو مشتق من الحمز ، وهي الصعوبة ، قال : النون زائدة ، وكان — فيما قيل — جوادا ، مصلحاً في قومه .

وقال في «تبصير المنتبه»[٣] : (ديك الحن : رأيته في كتاب «المنثور» للوزير أبي القاسم المغربي مضبوطاً مجوداً بحاء مهملة) انتهى .

٢٥ — الْمُنَخَّل : مختصر اصلاح المنطق . قال أبوه عنه : (واختصر هذا الكتاب فتناهى في اختصاره وأوفى على جميع فوائده حتى لم يفته شيء من ألفاظه ، وغير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجة إلى الاختصار ، وجمع كل نوع إلى ما يليق به ، ثم ذكرت له نظمه بعد اختصاره فابتدأ به ، وعمل منه أوراقاً في ليلة ، وكان جميع ذلك قبل استكماله سبع عشرة

---

(١) ١٥٠/٥ — ط أولى .

(٢) ٣٥٥/١ .في المطبوعة : (الامين) خطأ فهو يقصد :الأمير ابن ماكولا صاحب «الاكيال» .

(٣) ٢٧٠ .

سنة)[1] ومن هذا الكتاب نسختان ، خطها قديم متقن احداهما في الاسكوريال برقم ٦٠٥ والثانية في مكتبة يوسف آغا في قونية وهناك نسخة في مكتبة فيض الله في اسطنبول رقمها ١٧٦٥ وهناك نسخة أخرى في مكتبة عاطف رقمها ٢٧١٢ ، وفي مكتبة كاشف الغطاء في النجف منه نسختان . وهذا الكتاب هو الذي ذكره المعرّيُّ في رسالته إلى ابن المغربي «الرسالة الاغريضية» واثنى عليه فيها .

٢٦ ــ نظم مختصر اصلاح المنطق (أنظر المنخل) .

وعلى ذكر عمل أبي القاسم بن المغربي المتعلق بكتاب «إصلاح المنطق» يحسن التنبيه على أن صاحب «كشف الظنون» أخطأ حينما قال[2]: «اصلاح المنطق» لأبي حنيفة ، أحمد بن داود الدينوري المتوفي ٢٩٠ وهذّبه أبو القاسم حسين بن علي المعروف بالوزير المغربي . انتهى . وهذا خطأ ، فالكتاب الذي هذبه ابن المغربي واختصره هو كتاب «اصلاح المنطق» لابن السكيت لا لأبي حنيفة .

شعر ابن المغربي : عني ابن المغربي بالشعر وهو في العقد الثاني من عمره ، حيث حفظ من جيده خمسة عشر ألف بيت قبل استكماله أربع عشرة سنة[3] كما تعاطى النظم قبل استكماله سبع عشرة سنة ، واتجه بعد ذلك إلى الشعر القديم دراسة واختياراً وتأليفاً ، فتكونت لديه مَلَكة مكنته من التصرف فيه بيسر في مختلف أغراضه بدرجة ترتفع به عن مستوى نظم العلماء .

أما المقارنة بينه وبين ابن المعتز في ذلك ، كما حاول الثعالبي[4] حين قال : كان يجري في طريق ابن المعتز نظماً ونثراً ، ويجاذبه طرفيها .. هذه المقارنة قد تَصِحُّ في بعض مقطوعات من شعره ، تتصل بالعاطفة ، مما نظمه في أول عمره ، ولكنها لا تنطبق على مجموع شعره مما وصل الينا منه ، فهذا المجموع يعبّر عما عاناه المغربي في حياته المضطربة التعسة ، ويفيض بتجاربه في هذه الحياة ، ويَشِفُّ عن نظرته اليها وحِقْدِهِ على المجتمع ، كما يحوي طرفاً من الحكم والأمثال

(١) ابن خلكان ١٧٣/٢ .
(٢) ١٠٨/١ طبعة اصطنبول .
(٣) : ابن العديم ١٧/٥ .
(٤) : «تتمة اليتيمة» .

بأسلوب يرتفع بجزالته الى شعر فحول الشعراء الاقدمين ، ولا يخلو من الإسفاف والضعف وخاصة ما كان يتصل منه بالوجُدْانِ ، ولعل في النماذج التي نوردها من شعره ما يبين منزلته في هذا المقام[1] :

فمما أورد ابن العديم قوله : [2]

تـرنَّـم جـاري والـمُـدامُ تَهزُّه ... تـرنُّـمَ قُـمْـرِيٍّ بـفـرعة ضَالِ
فـجـاوبـتـه من زفرتي بمغَرِّد ... ونـاوبـتـه مـن أدمعي بسجال
وقلت له : يا جار هل أنت آمِنٌ ... تَفَـرُّقَ أحباب ، وحَرْبَ ليالِ؟
يهيج لي الـذكرى مزاحك كلما ... هزجت ، فيشقي في نعيمك بالي
لئن جمعت بيني وبينك حليتي ... لقد فرقت بيني وبينك أحوالي
تذكرتُ دار الحيِّ إذ انا باسطٌ ... ظلالي ، ومجموع لـديّ رجـالي
وإذْ أنا بين الناس مَنْزَع آملٍ ... لِـبَثٍّ نَـوالٍ أو بـنـاءِ مـعـالي
لعمري لقد أسهلت في الأرض بعدما ... تزحزح عن ريب الزمان جبالي

وقوله : [3]

وما ظبية أدماء تحنو على طلاً ... تَرى الأنس وحشاً ، وهي تأنس بالوحش
غدتْ فارتعت ثم انثنت لرضاعه ... فلم تُلْفِ شيئاً من قوائمه الحُمشِ
فطافت بذاك القاع ولهَى فصادفَتْ ... سبـاعَ الـفلا يَنْهَشْنَهُ أيَّما نَهْشِ
بـأوجع منّي يوم ظَلَّتْ أناملٌ ... تُوَدّعني بالدُّر من شبك النقشِ
وأحمالهم تُحْدى وقد خيّم الهوى ... كأنّ مطاياهم على ناظري تَمْشي
وأعجبُ ما في الأمر أنْ عِشْتُ بعدهم ... على أنهم ما خلفوا فيَّ من بطشٍ

(١) لم نشر إلى المصادر اذ كل ما نورده في المصادر المعروفة تاريخ ابن العديم و«معجم الأدباء» و«تتمة اليتيمة» و«الذخيرة» وغيرها من الكتب التي ترجمته .

(٢) ابن العديم ٢٢/٥ .

(٣) ابن العديم ٢٢/٥ .

وأنشده أحد ندمائه ــ وقد أرق وقلق قلقاً شديداً وسأله عما يعرف من الشعر في طول الليل والسهر والقلق ــ قول بشار[1] :

جفت عيني عن التغميض حتّى ... كأن جفونها عنها قصارُ
أقولُ ــ وليلتي تزداد طولاً ــ : ... أما للّيل عندكم نهارا ؟!

فقال : أحسنت . ثم قال على البديهة[2] :

عهدي به ورداء الوصل يجمعنا ... والليل أطوله كاللمح بالبصر
فالآن لَيْلي مُذْ غابوا ــ فديتهمُ ــ ... ليلُ الضَّرير، وصبحي غير منتظر

وله شعر في الحب وما يتصل به ، فقد اصطلى بأوَارِ ناره في أول حياته ، حينما كان في مصر ، ويلخص ابن العديم حالته هذه بأنه كان له أليف في صغره قد استحكمت بينهما المودة ، فسعى الأعداء بينهما فتصارما بعد تواصل ، وتقاطعا بعد التئام ، ويظهر أن لطباع المغربي ــ التي أبرزها عزة النفس وعلو الهمة ــ أثراً في استمرار هذا التقاطع حتى ضاق صدر أليفه بجفائه فاعتل حتى مات . ومن شعر المغربي في ذلك :

يا مَنْ لقلب هائم لم يستطع ... ذكر اسم من يهواه من إشفاقه ؟!
ولعاشقٍ غلبت عليه خَجْلَةٌ ... فكأنه المعشوق في إطراقه
ينهَى عن البَث المريح لسانَهُ ... فيموت مطويّاً على اشواقه
سمِعِ الْغِناء فردَّ سيل دموعه ... من بعد ما ذابت على آماقه
صَبٌّ من الأشواق لو هزّتْ به ... أعطاف غُصْنٍ سُلَّ مِنْ أوراقه
كتم الهوى من بعدما نَمّتْ به ... ريّاً كنشر الروض من أخلاقه
ولدى الهوى العذريِّ طيب شمائل ... ما مثلها يخفى على ذوّاقِهِ
وأرى اللقاء مع الحياة مُقَابَلاً ... مني ومنه مثل بعد فراقِهِ
أو يجمع الشوق المبْرحُ طالباً ... ما بين مركز دُمْلُجَيْهِ وساقِهِ[3]

(١) ديوانه ٣/٢٤٩ وفيه : (بعدهم نهار) .
(٢) ابن العديم ٥/٢٣ .
(٣) ابن العديم : ٥/٢٣ .

وقوله يرثي حبيبته :

لقدْ بُؤْتُ من دين المروءة بالكفْرِ ... وأصبحت أغشى صفحة الغدر بالغدرِ
عصيت الهوى العذرى في هجرشادن ... أضعت بهجراني له فرصة الدهر
نمَى في حجور الملك ثم ملكته ... بظلّ شباب حازه لي ، وما أدري
فقيّد فتكي في هواه إنابَةٌ ... إلى الله ، خلّت دَمْعَه واكفا يجري
يهون عليه أن تساعفه المنى ... وأُرْجَمَ يوم البعث في لهب الجَمْرْ
وما زال هجرانِيْه حتى تركته ... جَدِيثاً — برغمي — مُوْدَعاً أضلع القبر
لقد كاد ذاك القبر يوم أزوره ... يعلق ثوبي شاكياً ألم الهجر
بنفسي من خوفي من الإثم قادني ... إلى الإثم ، فاستوفيت من قتله وزْري
مضى والتُّقى والحسنُ حَشْو ثيابه ... وأورثني منه الأسى آخرَ العُمْرِ

ومن شعره : [1]

تركتُ بشطِّ النيل لي سكناً فرداً ... حَبَسْتُ عليه الدمعَ أن يطأ الخدّا
غزالٌ طواه الموتُ من بعد هجرة ... أطعنا — فلا كُنّا — بها الأسَدَ الوردا
فسقياً لمهجور الفناء كأنّني ... أَعُدُّ له ذنباً ، وأطوي له حقدا
أسميه من فرط الصبابة مَضْجعاً ... ولو طاوعت نفسي لسميته لَحداً
وآخر عهدي من حبيبي أنه ... مضى يَحْسَبُ الإعراض عن هَجْره قَصْداً
وزوّدني يوم الحِمام صحيفةً ... وثَنْيَ شِعارٍ لا حديثاً ولا جرداً

ويعلق ابن العديم على هذا البيت قائلاً : كان ذلك الأليف كتب إليه رقعة يستودعه فيها ما كان بينهما ويحتسب الله في هجرانه ، وأنفذ إليه معها إزارا على سبيل التذكار — ثم أورد بقية القصيدة التي يصف فيها المغربي موقع ذلك الإزار من نفسه وما يقاسيه من الألم لفراق إلفه .

ومن قوله [2] :

---

(١) ابن العديم ٥/٢٣ .

(٢) الذخيرة» ق ٤ ص ٥٠٧ .

عجبتْ هندُ من تَسَرُّعِ شيبي قلتُ هذا عُقْبى فطام السرور
عوَّضتني يدُ الثلاثينَ من مِسْك عِذارى رَشَّاً منَ الكافورِ
كان لي في انتظار شَيْبي حساباً غالَطَتْني فيه صُرُوْفُ الدهورِ

وقال وقد كسفت الشمس[1] :

لمثل ذا اليوم يا مُعَذِّبَتي كانت ترجِّيك أختُكِ الشمْسُ
قومي اخلفيها في ذا الكسوفِ ففي وَجْهك عنها ان أوحشت (أُنْس)[1]
وغالطي حاسِبَ النجوم فَإِنْ لَجَّتْ وغابَتْ أصابَهُ لَبْسُ

وقال :

يومُ الكسوفِ جلا على بصري قَمَراً أحَارَ الْجِنَّ والإنْسَا
قامَتْ فأرْخَتْ من ذوائِبِهَا وتجلَّلَتْ من شعرها لِبْسَا
فسألْتُها لِمَ قد لبستِ دُجىً؟ قالت: أُسَاعِدُ أُخْتيَ الشمسا

وقال :

قالوا: كسوفُ الشَّمْسِ مُقْتَرِبٌ قُلْت ادَّخَرْتُ لِدَفْع نائِبِها
ثِقَتي بكاسِفها وكاشِفها وبفَضْل ماحِيها وكاسِبِها
مَنْ لو يشاءُ أعاد مَشرِقَهَا متبسِّماً لك من مغاربها
هِيَ شُعْلَةٌ من نُوْرِهِ فإذا ما شاءَ أَظْلَمَ أوْ أضَاءَ بها

وقال[2] :

دَنِفٌ بِحمصَ وبالعراق طبيبُهُ يُضْنيه عنه بعادُهُ ويُذِيبُهُ
ما ناله إلا الذي هو أهْلُهُ إذ غاب عن بلدٍ وفيه حبيبُه
لَزِم السُّهادَ تَحَيُّراً وتَلَدُّداً وتَأَسُّفاً إذْ أوْبَقَتْه ذُنُوبُهُ
زَعَمَ الْفِرَاق دَعَا به فأجابه ونعمْ دعاهُ فلمْ أراد يجيبه

---

(١) الذخيرة ق ٤ ص ٥٠٨/٥٠٩ .

(٢) الذخيرة ق ٤ ص ٥٠٩ .

ومن رقيق شعره — في غلام يسبح ليعبر النهر[1] :

عُلّمت منطق حاجبيه ... والبين ينشر راحَتَيْه
ولقد أراه في الخليـ ... ـج يشقه من جانبيه
والنهر مثل السيف وهـ ... ـو فِرِنْدُه في صفحتيه
لا تشربوا من مائه ... أبداً ، ولا تردوا عليه
قد دبَّ فيه السِّحْر من ... أجفانه أو مقلتيه
أنا قد رضيت من الحيا ... ة بنظرة مني إليه

ومما كتب إلى المعري[2] :

أتعاطى نَزْحَ البكاءِ وقد قَصَّـ ... ـر عن أن ينال ماءً رشاءُ
ولعهدي بفكرتي وهي تنجا ... بُ لها عن صباحِها الظلماءُ
غير أني — وان تعاورني الهمُّ — ... وشاء الزمان ما لا أشاءُ
ورماني مستيقناً ان قلبا ... بين جنبيّ صخرة صمّاءُ
لا أُبالي باليوم طال أم الليـ ... ـلِ كلا الدَّائِرَيْن عندي سواءُ
الْمُغادِي هو المُراوحُ من همٍ ... فهذا الصباح ذاك المساءُ
وإذا العين لم تعاين سوى السُّو ... ءِ ، فسيَّان ظُلْمَة وضياءُ
وابنيَ الهَمُّ — لا ابنه أنا — اذ قيـ ... ـل : ابنُ هَمٍّ بليَّةٌ عمياءُ

ومما أورد ياقوت[3] :

وكنّ بالذي قد خط باللوح راضيا ... فلا مهربٌ مما قضاه وخَطَّهُ
وإنَّ مع الرزق اشتراط التماسه ... وقد يَتَعدَّى إن تعدّيْتَ شَرْطَهُ
ولو شاء ألقى في فم الطير قوته ... ولكنه أوحى إلى الطير لَقْطَه
إذا ما احتملت العبء فانظر قُبَيْل أن ... تَنُوء به أن لا تروم مَحَطَّه

---

(١) «أعيان الشيعة» ٢١/١٧ .
(٢) «أعيان الشيعة» ٢٧/٢٦ .
(٣) معجم الأدباء ٨٥/١٠ .

وأفضل اخلاق الفتى العلم والحِجَا إذا ما صروف الدهر اخْلَقن مُرْطَهُ
فما رفع الدهر امْرءاً عن محلّه بغير التّقى والعلم إلاّ وحَطّهُ

وقوله [1] :

لي كلما ابتسم النهارُ تعلَّةٌ بمحدّثٍ ما شأنُ قلبي شَانُهُ
فإذا الدُّجَا وافى وأقبل جُنْحُهُ فهناك يَدْري الهمُّ أيْن مكانُهُ

وقوله [2] :

إذا ما الأمور اضْطرَبن اعتَلَى سَفِيهٌ تُضام العُلا باعتلائِهْ
كذا الماءُ إن حركتْه يَدٌ طَفَا عكَرٌ راسِبٌ في إنائِهْ

وقوله [3] :

أرى الناس في الدنيا كراعٍ تنكَّرت مراعيه حتى ليس فيهن مَرْتَع
فماء بلا مَرْعَىَ ومرعى بغير ماء وحيث ترى ماءً ومرعى فَمَسْبَعُ

وقال [4] :

سَأَعْرُضُ كُلَّ منزلة يُعَرِّضُ دُونَهَا العَطَبُ
فإن أسلَمْ رجعتُ وقد ظفرتُ وأُنْجِحَ الطَلَبُ
وَإنْ أعطَب فلا عَجَبٌ لِكلِّ مَنِيَّةٍ سَبَبُ

وقال [5] :

أقول لها والعيس تُحَدُج لِلسُّرى : أعدِّي لفقدي ما استطعتِ من الصبر

---

(١) المرجع السابق ٨٦/١٠ .
(٢) معجم الأدباء ٨٦/١٠ .
(٣) المرجع السابق ٨٧/١٠ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق ٨٨/١٠ .

سأنفق ريعانَ الشبيبة آنفاً ... على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الخسران أنَّ لياليا ... تَمُرُّ بلا نَفْعٍ وتُحْسَبُ من عُمْري؟!

وقال[1] :

الدهرُ سهْلٌ وصَعْبٌ ... والعيشُ مرٌّ وعذْبُ
فاكسب بمالك حمدا ... فليس كالحمد كسبُ

وقال[2] :

لا تشاور من ليسَ يُصفيكَ ودّاً ... إنَّه غيْرُ سالك بكَ قَصْدا
واستشر في الأمور كُلَّ لبيبٍ ... ليس يألوكَ في النصيحة جهداً

وكتب إلى الحاكم بقوله ، بعد أن قتل اباه وعمه محمداً ، وطلب أبا القاسم وأخَوَيْهِ فظفر بأخويه فقتلهما ، واستتر أبو القاسم ثم هرب إلى الشام مع بعض العربان :

وأنت — وحسبي أنت — تعلم أنَّ لي ... لساناً وراء المجد يبني ويهدم
وليس حليماً من يقبل كفه ... فيرضى ، ولكن من يعض فيحلم[3]

وله :

كُنْ حاقداً ما دمت لستَ بقادر ... فإذا قدرت فخلّ حقدك واغفر
واعذُرْ أخاك إذا أساء فربَّما ... لجَّتْ إساءتُه إذا لم تَعْذُر

ومن رثائه لأبيه وأخويه وعمه :[4]

إذا كنت مشتاقاً إلى (الطَّف) تائقاً ... إلى (كَرْبَلا) فانظر عِرَاص (المقطم)
ترى من رجال المغربيّ عِصَابةً ... مُضرَّجة الأوساط والصدر بالدم

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق ١٠/٨٩
(٣) ابن العديم ٥/٢٤ .
(٤) «معجم البلدان» : المقطم .

ومنه :

تركت — على رغمي — كراماً أعِزَّةً   بقلبي ، وإن كانوا بسفح (المقطم)
أراقوا دماهم ظالمين وقد دروا   وما قتلوا غير العُلى والتكرم
فكم تركوا محرابَ آيٍ مُعَطَّلاً   وكم تركوا من خَتْمَةٍ لم تُتَمَّم

وقال :[1]

إني ابـــثك من حـــديـ   ـثي ، والحديث لـــه شـــجونُ
غَـــيَّـــرْتُ موضـــعَ مـــرقـــدي   لـــيلاً ، فـــفـــارقني الســـكونُ
قُـــلُ لي ، فـــأول لـــيـــلـــةٍ   في الـــقبر كيـــف ترى أكـــون ؟

وقد تذاكر هو وبعض الصالحين فأنشده ذلك الصالح شعراً[1] .

إذا شئت أن تحيا غنيّاً فلا تكن   على حالة إلا رضيت بدونها

فاعتزل المناصب والسلطان فقال له بعض أصحابه : تركت المنازل والسلطان في عنفوان شبابك ؟ فأنشأ يقول :

كنتُ في سَفْرةِ الجهالة والبطا   لة حيناً فحان مني القدومُ
تُبْتُ من كل مَأْثَمٍ فعسى يُمْـ   ـحَى بهذا الحديث ذاك القديمُ
بعد خمس وأربعين لقد مَا   طَـلْتُ إلا أن الـغـريم كـريم

وسَيَمُرُّ بالقارىء — في هذا الكتاب — مقطوعات من شعره .

هـذا الكتـاب :

استهواني في احدى زياراتي لمكتبة (بورصة) من البلاد التركية استهواني اسم كتاب : «أدب الخواص» من بين كتبها ، فلما تصفحته على عَجَلٍ ، وجدته مُمتع القراءة فطلبت تصويره ، ولما عُدت إلى بيروت وكنت مقيماً فيها ، طالعته فوجدته جَدِيْراً بالنشر ، إلا أن

---

(١) «أعيان الشيعة» ٢٠/٢٧ .

(٢) «البداية» ٢٣/١٢ وابن خلكان ١٧٦/٢ . وهذا البيت من وصايا أحمد بن سعيد بن حزم لابنه الفقيه أبي محمد .

نسخته فضلاً عن كونها وحيدةً فيما أعلم ليست واضحة الكتابة فقد اختلطت بعض الكلمات فلم تبرز بيِّنةً عند التصوير ، فرأيت نشره في مجلة « العرب » لعل أحداً من القراء يكون قد اطلع على نسخة أخرى أو عرف شيئاً عن الكتاب .

ووضعت له مقدمة ضافية في ترجمة المؤلف ، فكان من أثر هذا العمل ان اتّجه بعض الباحثين لدراسة المؤلف وآثاره .

والآن وقد مرَّ على نشر ذلك الكتاب بضع سنوات [1] لم يصل إليّ ما يضيف جديداً عنه ، لم يَضْعُفْ رأيي بجدارته بأن ينشر ، ففضلاً عن كونه من آثار عالم تتصف آثاره التي وصلت إلينا بالأصالة وبالاستيعاب فهو يحوي معلومات قد لا نجدها في غيره من الكتب ، تتعلق باللغة والأدب والشعر ، فيها طرافةٌ وفيها جدة وفيها أصالة .

ومن هنا سُرِرت حين عرض عليَّ ابنُنا الأستاذ الكريم أبو عبد الرحمن محمد بن عمر بن عَقِيْل ، رغبة (النادي الأدبي في الرياض) في نشره ، فأعدتُ قراءته ، وضبطت بالقلم بعض كلماته ، ووضعت هوامش قصيرة — زيادة على ما ورد في أصله — تتعلق ببعض من ورد ذكرهم فيه ، ولم أر الاطالة في ذلك ولم أستوعب ، إذ الكتاب مؤلف للخاصة أو كما قال مؤلفه : [ص ٦١] : (واعتمادنا في تفسير الغريب موافقة أغراض المتوسط في الأدب ، إذ كان المبتدىءُ إلى غير هذا الكتاب أحوج) .

ولك أن تتصور منزلة المتوسط في الأدب في ذلك العصر ، وتقارن تلك المنزلة بمنزلة (المُتَدَكْتر) في عصرنا ، ولن تستقيم لك المقارنة !

وما أيسر أن تُمْلأ الصفحات بالتعليقات التي تنقل من هنا وهناك ، أو تقال .

ولا أُخفي أسفي بأنني لم أتمكن من قراءة بعض الكلمات لغموضها في النسخة المصورة وهي قليلة ، وقد أشرت اليها بعلامة الاستفهام (؟) .

ولا أريد أن أطيل الحديث عن قيمة هذا الكتاب العلمية فهو بين أيدي القراء .

---

(١) نشر في مجلة «العرب» اعتباراً من السنة الثامنة ص ١٦١ وما بعدها في رمضان ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

أصـل الكتـاب :

لم يصل إلينا سوى الجزء الأول من هذا الكتاب ، وقد نصَّ في مقدمته على أنه ألفه وعمره خمس وعشرون سنة ، ويظهر من الفصول التي تقدمت عن ابن خَلِّكَان أنه بقي في مصر ، بعد هرب ابن المغربي من تلك البلاد ، ويدل على هذا ماكتب على هذا الجزء الذي وصل إلينا منه فنقل من هناك كما في طرته ونصه : (هذا الكتاب من الكتب الموقوفة المخزونة في خزانة القبة المنصورية بمصر ، للملك المنصور قلاوون رحمه الله سبحانه ، ورحم الله تعالى أمرأً يوصل هذا الكتاب لمقرّه المزبور ، بعد اندراجي إلى رحمة الله تعالى ، وأنا المحتاج إليه ، وَيسي عفا الله تعالى عنه) وقد يكون هذا الكاتب هو الذي نقله إلى تركية ، فهو من الاتراك ، فتخرج لما رأى ما كتبه واقفه وهو : (حبس هذا الكتاب مالكه علي بن الحسين ابن الحكيم ، لينتفع به المسلمون ، وعلى الشرائط التي تضمنها كتاب تحبيسه اياه وغيره من كتبه ، لعنة الله على من يغير ذلك أو ينقص حكماً من أحكامه ، وهو بريء من الله ورسوله) وفوق هذا (على خزانة الجامع ..[1] بمصر) .

هذا الجزء الوحيد الذي وصل إلينا من الكتاب توجد مخطوطته في المكتبة العامة في مدينة (بورصة) في البلاد التركية ، وهي مخطوطة فريدة لا أخت لها — فيما أعلم — وتقع حسب ترقيم ورقها في ١٠١ — احدى ومائة ورقة — المكتوب فيه منها ٢٠١ صفحة ، في الصفحة أحد عشر سطراً بخط متقن ، قد شكلت الكلمات التي تحتاج إلى الضبط ، وكتابة هذه النسخة تشبه كتابَة «نوادر الهجري» من جميع النواحي ، في طريقة ضبط الكلمات ، وفي نوع الكتابة ، وفي علامات الترقيم ، وفي عدد السطور ، ولا يشكّ من يطالع الكتابين في أنّ كاتبهما واحد ، ومن ثَمَّ يجوز الحكم بأنها من مخطوطات القرن الخامس ، وليس ببعيد أن تكون للخزانة التي نسخ لها كتاب «النوادر»[2] وقد تكون منقولة في حياة المؤلف كما تدل كلمة (وفقه الله) بعد ذكر اسمه . ومن عيوب هذه النسخة :

(١) وقوع خرم فيها ، فالورقة الـ«٩٦» غير موجودة في المصورة التي صورت لي عن

---

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) أنظر كتاب «أبو علي الهجري» ص ١٥٨ إلى ١٦٧ ومجلة «العرب» ص ٥٠ س ٥ .

مصورة «معهد المخطوطات» وقد تكون ساقطة عند التصوير ، وأنها موجودة في النسخة الأصلية .

(٢) يظهر أن حروف بعض الصفحات متآكلة ، ولهذا بدت مختلطة في التصوير ، لا تُقْرأ إلا بصعوبة . والآن نستعرض محتوياتها .

١ ــ في الصفحة الأولى منها أبيات شعرية منقولة من خط المؤلف ابن المغربي له ولغيره .

٢ ــ في الصفحة الثانية : (ذكر أنه صنف هذا الكتاب وسنه خمس وعشرون سنة ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ــ وقف لله سبحانه ــ الجزء الأول من كتاب أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها ، تصنيف الحسين بن علي بن الحسين المغربي الكاتب وفقه الله) ثم ما يتعلق بتوقيف النسخة ، وقد أوردناه بنصه .

٣ ــ وفي الصفحة الثالثة والرابعة بعد البسملة : (بسم الله وعلى بركة الله وصلواته على سيدنا محمد وآله ، ذكر الاشارة إلى متضمن هذا الكتاب ، وهو أربعة أقسام : قسم منه في المختار المصطفَى من بلاغات قبائل العرب نظماً ونثراً ، والنثر أغلب لأنه أكثر ، من أجل أن الرواة له أحفظ ، والقوافي عليه أحوط . وقسم منه في جماهير من أنساب العرب طرّا ، يحيط بذكر جميع الشعراء المذكورين ، والرؤساء المعدودين إلا القليل (ص ٤) وقسم في لمع من اللغات الغريبة التي تدعو إليها مع غرابتها الحاجة ، إذ كان في الغريب حُوْشيٌّ لا يُطلب ، وعاديٌّ لا يستعمل . وكل ذلك يأتي منثوراً في أثناء التصنيف ، على ما يوجبه تدبيرنا ، ان شاء الله) .

٤ ــ ثم البسملة والمقدمة ــ من ص ٤ إلى ٦٦ .
٥ ــ فصل في ذكر اشتقاق العرب ٦٦/١٢٩ .
٦ ــ فصل في اشتقاق اللغة ١٢٩/١٥٠ .
٧ ــ القسم الأول من كتاب أدب الخواص في ذكر الشعراء المراقسة .
٨ ــ الباب الأول من القسم في ذكر امريء القيس الأكبر ، صاحب اللواء وذكر قبيلته كندة .

٩ ــ فصل جعلناه مقدمة لهذا الباب نذكر فيه الكلام على لفظة امرىء القيس من طريقي النحو واللغة ــ ١٦٨/١٦٨ .

١٠ ــ فصل في نسب امرىء القيس ١٥٠/١٦٦ .

١١ ــ فصل يتعلق بهذا الفصل المفرد لذكر نسب امريء القيس : ١٨٦/١٩٩ .

١٢ ــ ذكر نسب ماء السماء وسياقة خبرها (يعني أمّ امريء القيس) ١٩٩/٢٠٠ .

١٣ ــ وآخر النسخة : (فسمي بذلك أبا حوط الحظاير ، وفيه يقول أبو نعجة صالح بن شرحبيل النَّمَرِيُّ [1] :

ومالك كالضحيان شيخ تعدّه ... ولا كأبي حوط الحظائر والبشر

يعني بشر بن قيس أحد رؤساء النمر بن قاسط كان جليلاً ، وكانت له ردافة مع الملوك . فأما الضحيان فسيمر بك خبره وخبر رؤساء ربيعة مستقصى في موضع اقتضت الحال إيراده فيه من كتاب بني ضبيعة رهط المسيب بن علس إن شاء الله .

يتلوه فصل من كلام المؤلف ، الحمدلله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وسلم تسليماً) ثم في جانب الصفحة : (أحمد الله تعالى التقط من فوائده محمد بن المخلطة المالكي غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه) .

ثم أكتفي بوصف كتابة الأصل بعرض نماذج مصورة منه .

الرياض ٢٥ محرم ١٤٠٠هـ ... **حمد الجاسر**

١٩٧٩/١٢/١٤م

(١) في الأصل : (النميري) خطأ وهو منسوب إلى النمر بن قاسط كما سيأتي .

ما [illegible] منقول من خط الوزير أبي القسم المؤلف وكان على ظهره ما مثاله

شعر [illegible] الصبي ابنا لأبي إسحق الصابي الكاتب وهو مليح

[illegible] فليت طهره لقي قبله تنزع العليل وتشفي

[illegible] التي قبلها بغير حاسد [illegible]

انسوا الخليل وهو مليح

[illegible] بالجبائر ثم قالت واستضحكت هذا عز صاغر

لي بصحيفة [illegible] اسم خادم

يا رب جارية [illegible] من هجر ليس يستقال

[illegible] كلها فتورد [illegible] ذلك

[illegible] يستنشها أحاصي فيه وتستعذب الوصال

ومما حفظ [illegible] الأخير وهو أول المقطوع

[illegible] ذات على حسنها الدلال [illegible]

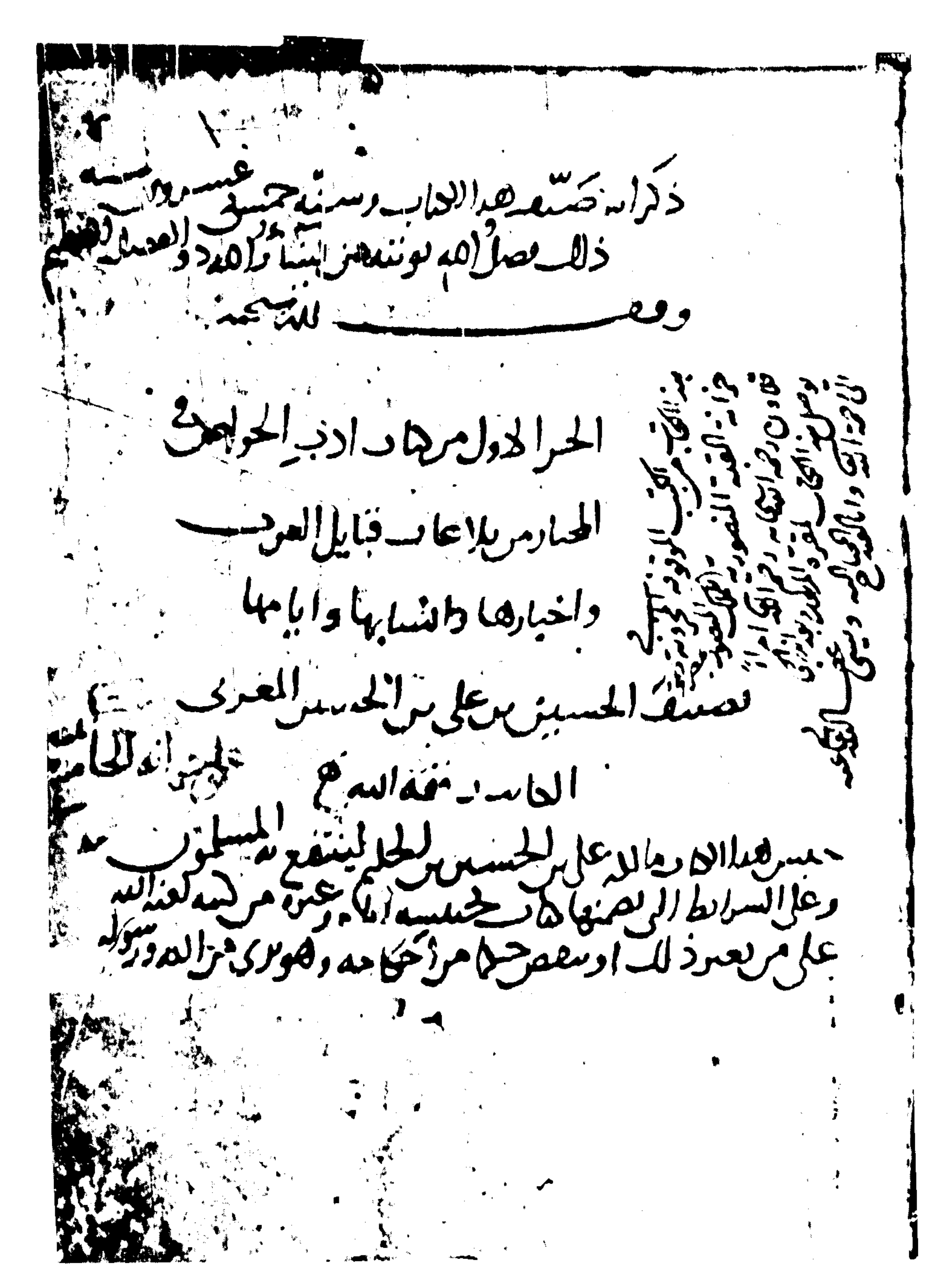
ومن [illegible] أيضاً بخطه

[illegible] إلى [illegible] عن وصوله الأسباب

[illegible] فيه لو وجد في موضعه من مسألته [illegible]

[illegible] من عطيه لما فيه والله الموفق

الصفحة الأولى من المخطوطة



الجزء الاول من كتاب ادب الخواص في

المختار من بلاغات قبايل العرب

واخبارها وانسابها وايامها

تصنيف الحسين بن علي بن الحسين المغربي

الحاسب رحمه الله

الصفحة الثانية منها

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله وعلى بركة الله وصلواته على سيدنا محمد وآله

ذكر الاشارة الى مضمن هذا

الكتاب وهو اربعة اقسام

قسم منه في الاخبار المعطى من الاعاب قبائل

العرب نظماً ونثراً والنظم اغلب لانه

الدرس اجل ان الرواة له احفظ والقوافي عليه احوط

وقسم منه في الاخبار المهذب من اخبار العرب وايامها

وقسم منه في كبار مشاهير من سادات العرب طراً الخط

بذكر جميع الشعرا المذكورين والروسا

المعدودين الا القليل

الصفحة الثالثة

وقيس في لمع من اللغات الغريبة التي يدعو اليها
مع غريبتها الحاجة اذ كان في العرب
حوشي لا يطلق وعادي لا يستعمل
وكل ذلك باي مسوق الى اسما المصنف
على ما نوجبه مرتبا فيه ان شا الله وبه الثقة

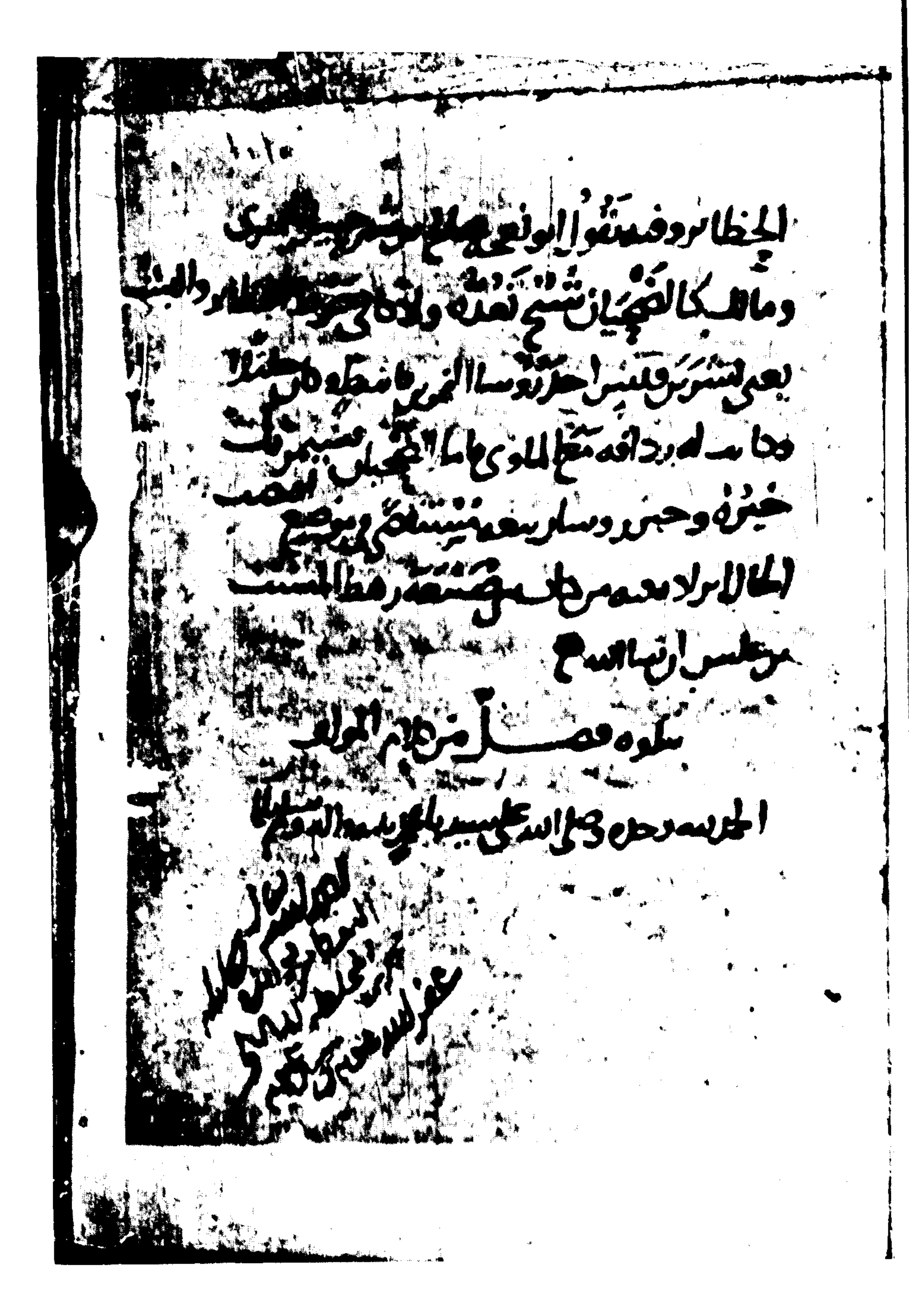
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الحسين بن علي

اللهم انا نستوهبك الكامل ونعوذ بك من
نقيصة الجهل ونستعيذ بك من سو التقليد
وما فيه من اضاعة العقل ونسالك ان
تجعل لنا منك سلطانا ونصيرا يرافعنا لنا

الصفحة الرابعة

الصفحتان



الأخيرتان

الصفحة الـ (١٧٣)

[illegible]

الصفحة الـ١٧٤)



أدب الخواص



بسم الله الرحمـن الرحيـم

قال الحسين بن علي : اللهم إنا نستوهبك التأمل ، وما فيه من شفاء الجهل ، ونستعيذ بك من التقليد وما فيه من إضاعة العقل ، ونسألك أن تجعل لنا منك سلطانا ، وتصل بين أفعالنا وبين [ص ٥] رضوانك سببا[1] ، ولا يؤثر عنا قول إلاّ وله إلى أوامرك منزع ولو لَطُف ، ولا ينفذ لنا عمل إلاّ ولَهُ في طاعتك نسب ولو ضَعف ، وأن تجعلنا بمفازة من الضلال والفساد ، وعلى متن سبيل من الرشاد والصلاح ، وأن تعيننا على مجاهدة العدو الخاص ، ومكافحة الْقِرْن اللاصق ، من نَفْس إلى السوءِ نزوع ، ومن لسان بالقول طموح ، ومن قول مجذوذ ، فليس له فعل يصله ، ومن نيةٍ غُفْل فليس لها موضوع تظهر فيه ، ومن التجاهل بفضيلة الصمت ، والاحتجاج لِلَغو المنطق بغريزة [٦] الطبع .

وقد عجب المتأملون من عاقل لا يمضي سلطانه على نفسه ، وهو يُريغ نفاذَ أمره في غيره ، والإنسانُ يسفّه القاصِبَ له ، ويثّربُ على المولع بِسَبّه ، ويَزُنّـهُ بالكذب[2] ، ويعزوه إلى قول ما لم يعلم والى المؤاخذة على الظّنن ، وإلى ارسال اليد واللسان قبل اليقين والثّلج ، ولا يُحِسُّ أنَّ الداء الذي أضرع خصمه للملامة ، والحَجَ عَدوَّهُ في التغليظ والمذمّة هو وهْيُ سلطان العقل ، وانتقاص الجَلَد عن صرف اللسان وقد اشرأب للقول ، وعن حَبْسه وقد تهيَّأ للبثِّ ، وأنه هو قد كان يجب أن يكون من [٧] ذلك على أبعد البعد وفي المعرفة بعيبه على أبصر الرَّأي وأوضح الأمر ، لا أن يتعقبه بمثله ، ويصل امداده من فعله ، ويستمِلَّهُ من فاعله المذموم عنده ، ويصير صدى فيه لخصمه المُشَنَّأ اليه ، ويروون عن عبدالله بن عباس انه قال : من لم يملك نفسه فليس بأهل أن يملك غيره . وقال بعض الحكماء : العاجز من عجز عن سياسة نفسه . وقال الشاعر :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها   فإذا انتهتْ عنه فأنت حكيمُ

(١) كذا في الأصل ولا أستبعد سقوط صفحة من هنا .
(٢) يَزُنُّ : يتهم ويصف .

فهناك تُسْمَع إن وعظتَ ويُقتدى   بالقول منك، ويُقبل التَّعليمُ

[٨] ويحكون عن عبدالله بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله ابن العباس أنه لما شاع الفسادُ في عامة رعيته، شاور نصحاءه[١]، فقال بعضهم: الرأي ان تجمع قوماً فتَصْلُبَهُم، وقال آخرون: بل تعمر بهم السجون. واختلفوا في القول، فقال: ليس الرأيُ شيئاً مما قلتم، ولكن الرأي أن أبدأ فأصلح نفسي، فاذا صلحت نفسي صلحت بطانتي، واذا صَلُحتْ بطانتي دب الصلاح، وتَفَشَّا[٢] في رعيتي. قالوا: وفقك الله، وعمل بذلك الرأي فرأى الخير عليه، وقد قال البحتريُّ:

وَلَسْت أعجب من عِصْيان قلبك لي   يوماً إذا كان قلبي فيكَ يَعْصيني

وقريب من قول البحتريّ شعرٌ انشدنيه أبو مسلم [٩] عن هارون بن عبد العزيز بن المعتمد عن ثعلب، أو المبرّد — الشَّكُّ مني:

يَهُمُّ بِحَرَّانَ الْجَزيْرَة قلبُه   وفيها غزالٌ فاتنُ الطرف فاترُه
يوازره قلبي عليَّ وليس لي   يَدَانِ بمنْ قَلْبي عليَّ يُوَازِرُهْ

واللسان جارحة يكمل بها النطق والمذاق، فما على من تكلم بما لا يعنيه وفي غير موقعه أن يتذوق ما لم يحصل في قرارة فمه، وأن يتمطق بالهواء طوال دهره، وان يُتعب ماضغَهُ ويصرف بأنيابه[٣] في غير ساعة اغتذائه، على أنه لو استحسن ذلك لما وجب أن يستحسن إدامة الكلام لغير حينه، واللَّهَج من القول بما لا ينفعه في شيء من أمره [١٠] لأن الأول قبيح غير ضار، والثاني قبيح ضار وفاحش قتال، وهو أصل المضرة بالأذى، كما هو أصل المضرة بالعيب[٤] فهو موجه بالمعرّة، ومُعِمٌّ مُخْوِلٌ في المساءة، واللسان عضو مثل اليد والرِّجْل، فما على من تكلم عاجزاً عن مِلْكِ لسانه، وملقياً إلى تَهْلكةِ الْخُرْق والجهل بيده، أن يعبث بأنامله دائماً

(١) في الأصل: نصحاه.
(٢) كذا.
(٣) في الأصل «بأبنائه».
(٤) كذا ولعله «العبث» كما سيأتي.

لغير بطش ، وأن يَلْبِط بقدمه سَرمداً لغير سعي ، ثم يطرد المقياس عليه بأن يُنغِض برأسه في جميع أوقاته ، وأن يواقِحَ به كل صفاة تبدو لعينه . قد علم الله وعلم العالمون أن الآفة ليست شيئاً غير العجز والتعاجز ، وغير أن يُعَوِّدَ الخاطر [١١] الْوِكَال ، ويُحَلُّ عنه رباط النهضة والاعتزام ، وغير الانسياح مع جرية الماء قبل جهد النفس في الخلاص ، والميل مع هَبَّةِ الرِّيح من غير اعذار بالاستمساك ونعوذ بالله أن نَخْرُق بِنِعَمه فَنُعيدَها نِقَماً ، وأن نفسد مثابته فنجعلها عقاباً ، فإن اللسان نعمة من الله على عبده ، فإن أحسن ايالته وملك تدبيره وذَلَّلَ بالرياضة جامحه ، وركزه وراء قلبه ، وأوطأه اعقابَ تمييزه وتدبُّره ، ولم يرسله إلا لخير في الدنيا أو لخير في الآخرة من إحراز نفع ، وأنفع النفع الْعِزّ وازاحة مضرة ، وأقتل الضُّرِّ الذُّلّ ، فذلك هو الذي [١٢] يَطُبّ الإحسان بِطُبِّهِ ، ويستديم الإنعام بحسن سياسته ، وإن أرسله وشأنه ، وأعفاه من ولاية العقل عليه ، وأجراه في الوعث والخبار ، وأنطقه بالصواب والمحال ، أَكَبَّتْه حصائده في النار على وجهه ، بعد أن تكسوَهُ في الدنيا لِيْط عار لا يَنْسَلُّ منه ، وتحوش له من العداوات مُزعجاً لا قرار معه ، كما قال أبو عبدالله محمد بن ميسرة وكان بليغاً شاعراً وفقيها ناسكاً ، وصاحب نَظرٍ وتأمُّل ، وبيانٍ وتَبَحُّرٍ :

أكثر من الصديق لكل يوم ضيقٍ
من أكثر العدُوَّا لم يَسْتَطِع هُدُوَّا

وقال آخر :

وما أودعتَ احشاءَ الليالي أضَرَّ عليك مِنْ حِقْدِ الرِّجَال

[١٣] وقال طُريح بن اسماعيل الثقفي[١] :

لا تأمنَّن امرأً أسكنْتَ مُهْجَتَهُ غيظاً وان قيل : إنَّ الجرح يَنْدَمِلُ[٢]

---

(١) في الهامش : (هو طريح بن اسماعيل بن عبيد بن أسد بن علاج — اسم علاج عمير — بن أبي سلمة بن عبد العزي بن غيرة بن عوف بن ثقيف) . انتهى وأضيف : كان قويَّ الصلة بالوليد بن يزيد وأكثر شعره في مدحه وتوفي في أيام الهادي العباسي سنة ١٦٥ هـ .

(٢) فوق كلمة الجرح : (الحقد) .

واقبَلْ جَمِيْلَ الذي يُبْدِي وجازِ به ... ولْيَحْرِسَنَّكَ من افعاله الرَّجُلُ

وقال حُرَيث بن جابر الحنفي[1] :

لاَ تَأمَنَنَّ الدهَر حرّاً ظلمتَه ... وإن نمتَ فاعلم أنه غير نائِمِ
إذا كانَ ذَا عُودٍ صَلِيْبٍ وَمِرّةٍ ... رَكُوباً لإحْناءِ الأمور العظائمِ

وقال آخر محدث[2] :

نَمْ عَنْ معاداة الرجا ... ل فإنها حَسَكُ المضاجعْ
وإذا أذِيتَ فحَامِ عِنْدَ ... الضَّيْمِ مُجْتَهِداً ، ومانِعْ

وقال آخر في المعنى الأول :

إن كان يُعْجبك السكوتُ فإنه ... قد كانَ يعجب قبلك الأخيارا
[١٤] ولئن[3] ندمْتَ على سكوتٍ مَرَّةً ... فلقد[4] ندمْتَ على الكلام مِرَارا

كأنه منظوم من قول بعض الأوائل : الندم على السكوت خير من الندم على القول . وقال أكثم[5] : رُبَّ قولٍ أشدُّ من صَوْل . وقال أيضاً : وأحسن الصمت يكسب المحبّة ويروى أن لقمان قال : الصمت حكم وقليل فاعِلُه .

وقال الحسن بن علي — عليه السلام — وقد لِيْم على كثرة الصمت — : إني وجدت لساني سَبُعاً إن أرسلته أكلني . وقيل لعبد العزيز بن مروان : أنت من أطول الناس لساناً فإذا

---

(١) في الهامش : (هو حريث بن جابر بن شريح بن أرقم بن مسلمة بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدُّوَل بن حنيفة) . وفي «جمهرة النسب» لابن الكلبي : حريث بن جابر بن سُرَيّ بن مسلمة كان سيّداً ، وهو ابن عم ثمامة بن أثال ، وهو شاعر إسلامي .

(٢) في الحاشية : (صاحب الكتاب) .

(٣) في الهامش : (ولما) .

(٤) كانت : (ولقد) .

(٥) في الهامش : (هو أكثم بن..) وساقَ النسب إلى تميم ولكن كثيراً من الأسماء لم تظهر في التصوير . وأكثم وفد على الرسول (ص) ومات في الطريق في السنة التاسعة من الهجر وفيه نزلت الآية الكريمة : (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله) الآية وهو حكيم العرب وانظر ترجمته في «الاصابة» .

رقيت المنبر تكلمْتَ بكلام نَزْرٍ ، فقال : إنّي لأستحيي من رَبي عزّ وجلّ ان آمرهم بما لا أفعل فلا جَرم أنّ هذا [١٥] القول من عبد العزيز صَيَّره إلى أن يقول فيه المادح وهو نُصَيْبٌ مولاهم :

يَقُوْلُ فَيُحْسِنِ القولَ ابنُ لَيْلَى ويَفْعَلُ فَوق أحْسَنَ ما يَقُولُ
فتىً لا يَرزَأُ الخُلاَّنَ إلاَّ مَوَدَّتَهُمْ ، ويَرزؤهُ الخليلُ

وقال بعض الحكماء : من أطلق أمله فلا قنوعَ له ، ومن أطلق لسانه أهدر دمه . وقال آخر منهم : من ضاق قلبه اتَّسَعَ لِسانه ، وسبّ رجلٌ عابداً فقال العابد : لولا أن الله يسمعك لأجبتك . وهذا قَوْلٌ حسن . وقال الْمُجَشَّرُ بن النَّعَّامِ أحدُ بني كعب بن مالك بن غياث بن تَغْلِب :

أَلَيْس — هُبِلتُما — ثلباً وزوراً يُعَدُّ عليكما لو تعقلان؟!
[١٦] من الرَّفَث الذي لا خير فيه يُحَشُّ بكل آنسة حصان

وقال شَدَّاد بن أَوْسٍ بن ثابت — وهو ابن أخي حسان بن ثابت الشاعر — : ما تكلَّمْتُ بكلمةٍ منذ كذا وكذا حتى أخطِمَهَا وأُزَمَّهَا .

وفي ارتهان القائل بقوله ، ومحاذرته لِعُقْبَى طُغْيَانِ منطقه قال الشاعر الْعَنْقَسيُّ[1] وأحسن :

ألمْ تَرَ كعْباً كَعْبَ غُوْرَيْنِ قد قلاَ معَالي هذَا الدَّهْر غَيْرَ ثَمَانِ[2]
فمنهن تقوى الله بالغَيْب إنها رهينة ما تَجْني يَدِيْ ولِساني

هذا البيت الذي يليق باستشهادنا :

ومنهنّ جَرِّي جَحْفَلا لَجبَ الوغا إلى جحفل يوماً فيلتقيان
ومنهن تَجْرِيْدُ الأوانس كالدُّمَى لِلذَّاتها من كاعب وعوان

(١) العنقسي كذا في الأصل ولم أهتد إلى معرفته وقد يكون العبقسي كما في «معجم البلدان» والأبيات فيه الأربعة الأولى ، والعبقسي نسبة لعبد القبس القبيلة المعروفة .

(٢) في الهامش : «غورين : أرض نسب إليها» ولم يزد في «معجم البلدان» على : غَوْرين أرض في قول العبقسي .

ومنهن شُرْبي الكأْسَ وهْي لذيذةٌ من الخمر لم يُمْزَجْ بماء شِنانِ
[١٧] ومنهن تَقْوَادُ الْجِيَادِ لِعَازِبٍ مِنَ الْوحْشِ في دَكْدَاكةٍ ومِتَانِ

في أبياتٍ أَكْثَر من ذَلِكَ اسْتَوفى فيها عدد الثَّمان الْخصال التي قدم في صَدْر قوله ، ولم نكتبها .

وقوله : من الخمر لم تُمزج بماء شنان يشبه أن يكون قد أغار عليه سلم الخاسر[١] — وهو سلم بن عمرو بن حَمَّادِ بن عطاء بن ياسر مولى عبدالله بن جدعان وكان هو يَدَّعي ولاء محمد بن أبي جعفر وفي ذلك يقول من أبيات :

لقد أتتني عن المهديِّ معتبةٌ تظل من خوفها الأحشاءُ تَضْطربُ
مَوْلاَك مولاك لا تشمتْ اعادِيَهُ فليس قبلك لي ذكر ولا نسبُ

وأما الْجَمَّازُ الشاعر وهو ابن أخي سَلْمٍ وكان شاعراً ظريفاً[٢] وهو الذي يقول في سنان الْخِصيِّ :

[١٨] ظـبْـيٌ سِـنَـانٌ شريـكي فـيـه وبـئـس الشَّـرِيكُ
فلا سـنـانٌ يـ (...) ولا يـدعني (...)[٣]

وهو أعني الجماز الذي أَنشْد إنساناً مقطّعات فقال : ما تزيدني على البيتين والثلاثة ؟ فقال له الجماز : أردتَ أن أُنْشِدَكَ مُذَارَعَةً ؟! وكان يقول : إنهم من موالي أبي بكر بن ابي قحافة ، وأبو بكر من عبدالله بن جُدعان قَرِيْبٌ يجمعها تَيْمُ بن مُرّة ، والله أعلم .

قال سلم في معنى الشعر الأول الذي أوردناه :

امـزِج الـرَّاح بـراح واسـقِني قـبْـلَ الصَّـبَـاح
لَـيْـتَ لي خَـمـراً بـمَـاءٍ وَفَسَـاداً بصلاح

(١) سَلْم الخاسر لقب لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً وهو شاعر خليع عباسي توفي سنة ١٨٦ هـ .
(٢) الجمَّاز : هو محمد بن عبدالله بن حمَّاد بن عطاء البصريّ ، لقب الجمَّاز لأنه كان يركب الجمَّازة . وهي من المحامِل ، شاعر عباسيٌّ ظريف ، من تلاميذ أبي عُبَيْدة .
(٣) حذفنا كلمتين ووضعنا نُقَطاً مكانهما .

وقد قال غيره من المحدثين :

[١٩] وبـــالْـــحِيرة لي يوم ويومٌ بـــــــالأُكَيراح[1]
إذا مـــا عـــزّنـــا الماءُ مَـــزَجْـــنَـــا الـــرَّاحَ بـــالـــرَّاحِ

وقد قال حَادُ عَجْرَدٍ لمحمد بن أبي العباس السفاح نَحْواً من هذا القول ، وكان استدناه لما ولي الكوفة[2] ، وذاك أنَّ أبا جعفر كان أنفذه والياً عليها بعد قتل ابراهيم بن حسن — رحمهم الله — قالوا فوافاها في أشد القيظ ، وقد لَطَّ لحيته بالغالية حتى كأنه خِضَابٌ ، وصعد المنبر فخطب ، ولحيته تقطر على قُبَائِهِ فسماه أهل البصرة لذالك أبا الدّبسِ فلزمه هذا اللقب حتى هلك ، وكان أبو جعفر لما ولاه أنفذ معه الزنادقة والمُجَّان ليلهو ببعضهم ، [٢٠] وليُبَغِّضَهُ إلى الناس ، وكان معه في جملتهم حمادُ عَجْرَد — وهو حماد بن عمر بن يونس ابن كليب مولي بني سواءة بن عامر بن صعصعصة وانما سمي عَجْرَداً لأنه نزع ثيابه فرآه بدويٌّ فقال : تَعَجْرَدَت يا غلام ، العجرد العريان[3] ، والعجرد الشَّديد الغليظ ، والعجرد الذهب في غير هذا الموضع ، وكان حَمَّاد يُذكر بِتَرسُّلٍ وبيان مع شعره ، وقد ارتسم بالصناعة ، وكتب لجماعة من رؤساء الدولة العباسية ، وقد سمي بعجرد قبله ، قال الخليل بن أحمد : كان في ربيعة رجل يقال له عجرد ، نازع رجلاً في موازنة فوجأه بِجُمْع كِفّه فقضى عليه ، فأخذت عاقلته ديته ، وقال شاعرهم :

[٢١] يا قوم من يعذر من عَجْرَد الـقـاتـل الـمَـرءَ على الدَّانق
لما رأى مـــيـــزانـــه شـــائلاً وجـــاهُ بين الأُذن والـــعـــاتـق
فـخَـرَّ من وَجـأتـه مـيِّـتـاً كـــأنّما دُهْـــده من حـــالـق
فَـبَعضُ هـذا الـوَجء يـا عَجْردٌ مـاذا على قـومك بـالـرافق[4] ؟

فقال محمد يوماً لحماد : أتُحِبُّ من الأشْربَات الماء؟ قال : يشركني فيه الحمار والبعير.

(١) في الهامش : الأكيراح موضع بظهر الكوفة .
(٢) في الهامش : (الصواب : البصرة) .
(٣) في الهامش بخط يغاير خط الأصل : (المعجرد العريان : صحاح) .
(٤) في الهامش : (يقال : هذا الأمر أرفق بك ، ورافق بك ، ورافق عليك) .

قال : أفتحب اللَّبن؟ قال : لقد استحييت مما رضعت من ثَدْي أُمِّي . قال : افتحب السويق؟ قال : شراب المسافر العجلان ولست منه . قال : فما تقول في الخمر؟ قال : تلك صديقة روحي قال : فضمه اليه ، وقال : لاَ جَرَم وأنت صديق روحي . وقال له يوماً : أيٌّ المواضع أحبٌّ اليك أن تشرب [٢٢] عليه؟ قال فقال : إني لأعجب ممن لم تحرقه الشمس ولم يُؤذه المطر كيف يشرب على شيء غير وجه السماء .

ولم يزل حماد مع محمد ، ومن شعره يمدحه ، وغنَّى له فيه حكَم الوادي المغني — وهو حكم بن يحيي بن ميمون ، وميمون كان حَجَّاماً للوليد بن عبد الملك فأعتقه وإنما قيل له حكم الوادي لأنه كان يخدم عمر الوادي ، وهو عمر بن داود مولى عمرو بن عثمان بن عفان ، ويأخذ عنه الغناء ، وكان عُمَر من أهل وادي القُرى :

أرجوكَ بعد أبي العباس إذْ بَانا ... يا أكرم الناس اعراقاً وعيدانا
فأنت أكرم من يمشي على قدم ... وأَنْظَرُ الناس عند المَحْل أغصَانَا
لو مَجَّ عودٌ على قوم غَضَارَتَهُ ... لَمَجَّ عودُك فينا المِسْكَ والبَانا

[٢٣][1] فاظهر محمد أنه يعشق زينب بنت سليمان بن عبدالله بن العباس وكان يركب إلى المربد كثيراً يتصدّى لها ويطمع في النظر إليها . وقال لحمّاد فصنع على لسان محمد :

يا ساكنَ المِرْبَدِ هَيَّجت لي ... شَوْقاً فما أنفَكُّ بالمِرْبَدِ
سوف أوافي جُفْرتي عاجلاً ... يا منيتي إن أنت لم تُسْعِدِي

وعمل له أيضاً — وقد قيل : انه لمحمد نفسه :

زينب ما ذنبي وما[2] ... الذي غضبتم فيه ، ولم تغضبُوا؟
والله ما أعرف لي عندكم ... ذَنْباً ، ففيم العتب يا زينبُ؟

ومن شعر محمد بن العباس نفسه لم يُغنّهُ عليه أحد ، أنشده المدائني :

---

(١) كأنه لا صلة بين الصفحتين .

(٢) كذا وفي الهامش : لعله : وماذا الذي .

قولا لــــزيــــب : لـو رأيت تشوفي لك واشترافي
[٢٤] وتـــلـــــدِّي كما أرا ك وكان شخصك غير خاف
ووجــدتُ رِيْــحك سـاطــعاً كـالـبيت جُمِّـرَ لـلـطواف
وتـــــركـــــتني وكــــأنما قـــلبي يُوَجَّــأُ بـــالأشـــافي

وكان محمد هذا قوياً ضليعاً ، ويُحْكَى أنه كان يَلْوِي العمود ويلقيه إلى أخته ريطة فترده ، وعاتبه المهدي يوماً وهو أميرٌ فغمز ركابه حتى ضاق وضغط [1] رجله فلم يقدر على إخراجها حتى رده فأخرجها ، فَمَثِل الآن وقايِسْ بين قوة حسّه وبَيْنَ وهن قُوى نفسه ، وانخذال روحانية قلبه ، وإسفافه لمطمع شائن[2] إذا كان محصولاً ، وتعرضه لحرام فاضح لو كان محللاً ، واجعل ذلك — إن شئت — شكّاً [٢٥] على الأطباء ، واعتراضاً على روايتهم عن جالينوس ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن ، وهو في غير موضع من كتبه ، يروم أن يُبَيِّنَ أن مزاج البدن تابع لقوى النفس أيضاً .

ثم إن أبا جعفر سَمَّ مُحَمَّداً على يدي خصيب الطبيب ، فمات ، وكتبت أمه إلى أبي جعفر تشكوه ، فأمر بحمله اليه فضربه ثلاثين سوطاً خفافاً ، وحبسه أياماً ، ثم وهب له ثلاث مئة درهم وأطلقه . وقد قيل انه استعفى من ولاية البصرة فأعفاه ، ووردت (؟) فمات ببغداد . وكان خصيب هذا زنديقاً — فيما قيل — لا يعتقد شيئاً ويتظاهر بالنصرانية ، وحبسه أبو جعفر لحدث أحدثه ، فمات في مُطْبَقِهِ ، وكان يقول : لو أسلمت [٢٦] كنت رافضياً[3] ، وكان من العلماء المبرزين ، وأخبرت عنه أنه كان يقول : حبْس البول أمْرَنُ للمثانة . وقيل له : ما يذهبُ أَكْلَ الطِّيْن ؟ فقال : لُبُّ المرِّ ، وفي القولين نظرٌ على قانون الطب . وفي خصيب هذا يقول الحكم بن محمد بن قُنْبُرَ المازنيّ البصريُّ :

ولــــقـــد قـــلت لأهلي إذْ أتوني بخصـــــــيبٍ :
لـــــيس والله خَصِـــيْبٌ لـــلـــذي بي بـــطـــبيب

(١) في الهامش بخط أحدث من خط الأصل : ضغطه : زحمه إلى حائط عصره ، ومنه ضغطة القبر لأنه يضيق على الميت . «المصباح المنير» .
(٢) في الهامش كالخط المتقدم (الشين : خلاف الزين) .
(٣) في الهامش بخط حديث (قاتله الله) .

إنما يــعــلــم طِــبـِّي[1] مـن بــه مـثـل الـذي بي

ولما مات محمد بن أبي العباس وقد[2] (؟) الكوفة والبصرة محمد بن سليمان بن علي أخو زينب ، طلب حماداً طلباً حثيثاً فاستجار حماد بقبر سليمان بن علي وقال [٢٧] :

إن أكنْ مُذنباً فأنت ابن من كا ن لمن كـان مـذنـبـاً غـفَّاراً
يا ابن بنت النبي إني لا أجعل إلا إلــيك مـنك الـفْـرارا
غير أني جـعلت قبر أبي أيـو ب لي من حوادث الدهر جارا
لم أجِد لي من الانام مُجيراً فاستجرت التُّراب والأحجارا

فلم ينفعه ذلك شيئاً عند محمد بن سليمان ، فكتب إليه :

قُل لوجه الْخَصِيِّ ذي العار إني سوف أهدي لزينب الأشعارا
قد — لعمري — فَرَرْتُ من شدَّة الخو ف ، وأنكرت صاحِبيَّ جهارا
وظـنـنت الـقـبور تمنع جاراً فـاستجرت الترابَ والأحجارا
فـإذا الـقبر ليس لي بِمُجْيرِ فَحَشَى الله ذلك الـقبر نـارا

وما أحسبه ظفر به .
ونعود فَنَجِدُّ في شأننا — بتوفيق الله — .
قال صاحب اللِّواء[3] :

[٢٨] إذا المرءُ لم يخزن عليه لسانه فـلـيس على شيء سواه بخزان

وقال أيضاً :

وجُرُح اللسانِ كجرح اليدِ

وتبعه الأخطل فقال :

---

(١) فوقها في الهامش (ما بي) .
(٢) يظهر أنه سقط من هنا (وقد ولي) .
(٣) يقصد امْرأ القيس حامل لواء الشعراء ..

أفْحَمتُ عنكم بني النَّجَّار قد علمتْ عُلْيا مَعَدٍّ، وكانوا طال ما هدروا
حتى استكانوا وهم منّي على مَضَضٍ والقولُ ينفُذُ ما لا تَنْفُذُ الإبَرُ

وقال غيره — وأحسبه طرفة — :

فإنّ القوافيْ يَتَّلِجْنَ مواِلجاً تَضايَقُ عنها ان تَوَلَّجَها الإبْرَه

وقد ألمَّ بهذا اللفظ دُونَ المَعْنى أبو نَصْرِ بن نُباتة ، بقية شعراء العراق ، وهو مادح أبي وَجَدِّي[1] :

فلا تحقرنَّ عدوّاً رماك وإن كانَ في ساعِدَيْه قِصَرْ
فإنَّ الحُسامَ يَقُدُّ الرقابَ ويعجزَ عَمّا تنال الإبَرْ

[٢٩] وقال طرفة — وأحسن — :

وتَصُدُّ عنك مخيلةُ الرجل الـ ـعريض، مُوضِحَةً عن العَظْمِ
بحسام سيفك أو لسانك والـ ـكلم الرِّصين كأرغْب الكَلْم

وقال عُمَرُ بنُ عبد العزيز[2] : التَّقِي مُلْجَمٌ . وحُدِّثنا أنَّ يونس — عليه السلام — قيل له من بعد خروجه من بطن الحوت ، وقد أطال الصمت : لَمِ لا تتكلم ؟ فقال : الكلام صَيَّرني إلى بطن الحوت . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : «إنّ من الكلام عِيَالاً » وأنا أرَى أنَّ هذه اللفظة من الكلم التي أعطي رسول الله صلى الله عليه وآله جوامعها لحسنها وبيانها وإيجازها . وقال بَعْضُ عامَّةِ بلدنا الحلبيين في قصة له [٣٠] : رُبَّ كِلْمَه ، أزَلَتْ نِعْمه ، وقال الشاعر :

إن كان في العيّ آفات مُقَدَّرةٌ في البلاغة آفاتٌ تُساوِيها

وهذا كثير لا ينساه إلا السَّاهي ، وباهرٌ لا يذهل عنه إلا المَحيَّنُ ، وقد أنشدني مُنْشِدٌ من

---

(١) تقدم ذكره في المقدمة .

(٢) الخليفة الراشد ، الأموي القرشي ، ولد سنة ٦١ وتوفي سنة ١٠١ وولي الخلافة سنة ٩٩ حتى توفي ، وأُلِّفَت في سيرته مؤلفات كثيرة .

أبيات بيتاً صحيح القسمة ، يعجبني ، وهو :

هيَ الخطوبُ فَمِنْ مَاضٍ ومُنْتَظِرٍ   وهو الأنام فمِنْ سَاهٍ ومُعْتَبِرِ

وَلِعْلم الله أنَّ اللسان سَبُعٌ عقور ، ورائدٌ للمنية صدوق ، جعله مزموماً مخطوماً ، وعن التصرف بذاته عاجزاً مقصوراً ، فليس يجري ما لم يُجْرِهِ فارسُهُ من العقل ، ولا يفعل ما لم يأمره أَمِيْرُهُ من الرأي ، ولم يجعله كالعين التي ترى ما [٣١] نَحَاهُ اللاحظ بطرفه وما لم يَنْحُهُ ، وكالأذن التي تعي ما قصد السامع لاستماعه وما لم يقصده ، وكل ذلك لأنه صاحب الفتك والامضاء ، وينبوع الشرّ والبلاء ، وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد الناسك[1] يطيل السكوت فلِيْمَ في ذلك فقال : الكلام على أربعة وجوه : فمنه كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته ، فالفضل فيه السلامة منه ، وكلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته فأقلّ ما في تركه خِفَّةُ المؤونة على بدنك ولسانك ، وكلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته ، وهذا هو الدَّاء العُضال ، ومن الكلام كلام [٣٢] ترجو منفعته ، ولا تخشى عاقبته ، وهو الذي يجب عليك نشره ، فإذا به قَدْ بَهْرَجَ ثلاثة أرباع الكلام ، هذا على بلاغة إبراهيم بن أدهم وحكمته وكثرة معارضته أهل البيان ، وهو الذي سأل عبدالله بن شُبْرمة بن الطفيل الضَّبِّي قاضي أبي جعفر عن مسألة فأسرع الجواب فقال : تَأَنَّ . فقال له ابن شبرمة[2] : إذا سَهُلَ الطريق لم أحتشد[3] وهذا نَسِيبُهُ يُرْوَى لإياس بن معاوية مشهور ، وفي ابراهيم بن أدهم يقول محمد بن كُنَاسَة ، وكان إبراهيم من أخواله بني عجل :

رأيتكَ لا يَكْفِيْك ما دُوْنه الْغِنَى   وقد كان يكفي دون ذاكَ ابنَ أدهما
وكان يرى الدنيا صغيراً كبيرها   وكان لحق الله فيها مُعَظِّما
وأكثر ما يُلْفَى مع القوم صامتاً   وإن قال بَذَّ القائلين وأحكما [٣٣]

(١) هو الزاهد المشهور ، أصله تميمي من بلخ ، فتنقَّل في البلاد وتوفي سنة ١٦٢ .

(٢) في الهامش : (عبدالله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان بن المنذر بن ضرار بن عمرو وهو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبَّة) . انتهى وأخبار هذا القاضي مفصلة في «أخبار القضاة»

(٣) أتردد خجلاً على ما هو مستعمل الآن عند بَدِو جُهيْنَةً وورد النَّصُّ في «أخبار القضاة» لوكيع٣/٧٥ محرفاً : إذا وجدت الأثر ووضح لي الطريق لم أحبسك .

ومحمد بن كناسة هذا شاعر محسن[1] ، وأهل النقد يستحسنون قوله :

على حيْن أنْ شابتْ لِداتِيْ ولم أشبْ ... فنها لِحَى مُبْيَضةٌ وقُرونُ
وناصيت رأس الأربعين وأقبلت ... قساوة جِنِّيٍّ الشباب تَلِيْنُ

وهو صاحب هذا الشعر السائر :

فيّ انقباضٌ وحِشْمَة فإذا ... رأيتُ أهل الوفاءِ والكرمِ
أرسلتُ نفسِي علىَ سَجِيَّتِها ... وقلتُ ما قلتُ ، غير مُحْتَشِمِ

ومن قوله :

قعدت عن الإخوان عن غير ما قِلَى ... على غير نقصٍ في الإخاءِ ولا الْوِدِّ
ولكنّ ايامي تَخَرَّمْنَ مِرَّتي ... فما أبلُغ الحاجاتِ إلا على جهدِ

ومن قوله يرثى حماداً[2] الراوية — في أبيات معروفة :

فهكذا يَفْسد الزمانُ ويَفْـ ... ـنَى العلمُ فِيهْ ، ويذهب الأثرُ

[٣٤] يَرَوْنَ أنَّ ذلك منظورٌ به قولُ عبدالله بن عباس وقد دَلَّى زيدَ بْنَ ثابتٍ في قبره : من سرّه أن يرى كيف ذهاب العلم فهكذا ذهابه ، وهو القائل لما أبغض زوجته ومرَّ بِجِذعٍ مَصْلُوبٍ :

أيا جذعَ مصلوب أتى دُوْنَ صلبه ... ثلاثون حولا كاملا هل تُبادل ؟
فما أنت بالْحَمْل الذي قدْ حَمَلْتَهُ ... بأعرض مني بالذي أنا حامِلُ

وكلٌّ هذا حسن ، أو واقفٌ بين الحسن والقبيح ، فأما الذي يوافق هوايَ ويصنع في نفسي

(١) في الهامش : كناسة : لقب . واسمه عبد الاعلى بن عبدالله . وفي كثير من المؤلفات : اسمه محمد بن عبدالله بن عبد الأعلى ، وترجمته في «الأغاني» : ٣٣٧/١٣ (دار الكتب) وتوفي سنة ٢١٥ .

(٢) في الهامش : هو الراوية حماد بن أبي ليلى الكوفي قال لي بعضهم : ان اسم أبي ليلى سابور ، وكان من شيبان كما بلغني عن أبي عمرو بن العلا ، وقد يغلط بينه وبين حماد بن الزبرقان البصري النحوي) ثم بياض . وحماد الراوية هو ابن سابور بن المبارك من الدّيلم ولد في الكوفة سنة ١٩٥ وتوفي في بغداد سنة ١٥٥ وبينه وبين حماد ابن الزبرقان وحمّاد عجرد صداقة (أنظر خزانة الأدب» ١٣٢/٤ الطبعة الأولى .

صنيع الوعظ الحسن في قلوب المخلصين ، وليس يستحق ذلك في حقيقة النقد إلا أني مُعْجَبٌ به فقوله في نكبة أبي أيوب المورياني[1] ، ولعل استحساني إياه لموافقته شَجَناً في نَفْسِي في هذا الوقت :

[٣٥] لا ترى زاجراً لِهمِّ القلوب   كالرِّضا بالموكَّل المكتوبِ
فاتق الله وارْضَ بالقصد حظاً   لا تَسِيْلَنَّ في سبيل الذُّنوبِ
لا يغرنَّك الذي غَرَّ قوماً   شربوا من حتوفهم بِذَنُوب
طلعت شمسهم عليهم نهاراً   وأتتهم نحوسهم[2] بغروب
قد رأيت الذي أدالتْ ونالت   وقعةُ الدهر من أبي أيُّوبِ

وعدنا إلى كلام ابن أدهم ، وقول ابن أدهم في تزييف المنطق والمشورة بالصمت نَسِيْبٌ لقولهم : أبلغ الصمت ما يكون الكلام شرّاً منه ، وكان حبيب بن أوس الطائي الشاعر[3] يحكي عن أبي مسهر أحمد بن مروان الرملي النحوي قال : تكلم رجل في مجلس الهيثم بن صالح . فقال له الهيثم : يا هذا بكلام أمثالك رُزِقَ الصَّمْتُ الْمَحَبَّةَ [٣٦] وقد أحسن الشاعر إذ يقول :

سأهْجُر ما يُخاف عليّ منه   وأترك ما هويت لما خشيتُ
لسانُ المرءِ يُنْبي عن حِجَاه   وعِيُّ المرءِ يستره السكوت

ومثل البيت الأول قول جامع هذا التعليق :

أطَعْتُ الْعُلَى في هَجْرِ لَيْلَى وإنني   لأُضْمِر فيها مثلَ ما يُضْمِرُ الزَّنْدُ
صَرِيمَةَ عَزم لم يكن من رجالها   سوايَ من العشَّاق قبلُ ولا بعدُ
رأيتُ فِراق النَّفْس أهونَ ضَيْرَةً   عليَّ من الفعل الذي يكره المجدُ

وفي نحو من هذه الأقوال المخبرة عن التسلي قول المؤلف أيضاً :

---

(١) هو الوزير سليمان بن مخلد وزير المنصور العباسي غضب عليه وعذّبه ومات سنة ١٥٤ .
(٢) في الأصل (حتوفهم) وفوقها في الهامش (نحو سهم صح) .
(٣) هو أبو تمام الشاعر المعروف .

حَبيبٌ ملكْتُ الصبر بعد فراقه على أنني عُـلِّـقْـتُـهُ واَلِـفْـتُـهُ
مَحَا حُسْنُ يأسي شَخْصَهُ من تَذَكُّرِي فلو أنني لاقيته ما عَرَفْتُهُ

وله أيضاً في نحو من ذلك ، ولعله مُحَيَّنٌ بذكره ، وناطق [٣٧] بالشهادة على تقصيره وعجبه :

وَلاَعِبٍ بالْهَوَى يُؤَمِّلُ أن يُظْـهِـرَ لي جَـفْوَةً وأهواهُ
قلتُ لقلبي وقد تتبعهُ : يا قلبُ إما أنا وإمَّا هو!!

وفي المعنى الأول قال قائل مُصِيبٌ : عيٌّ صَامِتٍ خَيْرٌ منْ عيٍّ ناطق . ومن ها هنا قال بَشَّار :

وعِيٌّ القيام كِعِيٍّ الكلام وفي الصمت[١] عيٌّ كِعِيٍّ الْقَلَمْ

وفي بعض الأحاديث أنَّ ابن آدم إذا أصبح كَفَّرَتْ أعضاؤه للّسان ، وقالت : اتق الله فإنك ان استقمت استقمنا وان اعْوججت اعوججنا ، وحدثني بعض شيوخنا بإسناد رفعه إلى أبي الدرداء أنه قال : لأن يعثر الرجل حتى يَخِرَّ لوجهه خير له من أن يعثر [٣٨] بلسانه ، وأنشدني هذا الشيخ في منظوم هذا المعنى لبعضهم :

يموتُ الفتى من عَثْرَةٍ بلسانه وليس يموت الْمَرءُ من عَثْرة الرِّجْلِ
فعثرتُه من فِيْه تُودِي برأسِه وعثرته بالرِّجْل تُوْسَى على مَهْل

وقال أبو الفضل الربعي — من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب — حدثني محمد بن ذياد[٢] مؤدب المعتز — قال : بينا أنا جالس مع الْمُعْتَز والزَّبير بن بكار[٣] يقرأ عليه أخبار أبي السائب وكان المتوكل قال لي : إذا غضبت عليه فلا تضربه ، وقل لِيَنْدُونَ[٤] الخادم يضربه ،

---

(١) فوقها في الهامش : «وفي الكلم» .
(٢) فوق حرف «ذ» من «ذياد» كلمة «صح»
(٣) القرشي المدني عالم الحجاز في عصره ، وصاحب المؤلفات التي لم يصلنا منها إلا القليل ولد سنة ١٧٢ وتوفي سنة ٢٥٦ — وسيأتي ذكر نسبه [٨٧] .
(٤) في الهامش : ي نون .

قال : فترك المعتزُّ الزُّبَيْر ، وقام يلعب مع الخدم ، وقد كنت ظننت أنه قام لحاجة ، فقلت لبندون : أما ترى إلى الأمير ترك شيخاً من قريش جالساً [٣٩] في سواده ، وقام يلعب ؟! لو كانت يدي مطلقةً عليه لأوجعته ضرباً ، فقام إليه بَنْدُوْنُ ليضربه فهرب منه المعتز ، فلم يزل يراوغه حتى سقط من عثرة ، فدميت رجله ، ففزعنا وبادرنا إليه وقال له الزبير : يا سيدي لو أعلمتني أنك قد ضجرت لقمت ولم أُوْذِكَ فقال المعتز : لا بأس هوّن عليك وأنشد :

يُصَابُ الفتَى من عَثْرَةٍ بلسانه وليس يُصاب المرءُ من عثرة الرِّجْلِ

قال أبو الفضل : فحدثت بهذا الحديث أبا عبدالله بن حمدون فقال لي : أنا أحدثك عن أبيه المتوكل بنَحْوٍ من هذا ، كنا عنده في اليوم الذي قتل في ليلته ، فقام لحاجة ، فلما رجع قمنا ، والمنتصَر جالس ، فلما قرب منه قام ، فنظر إليه المتوكل [٤٠] وقال له : اجلس يا محمد ، وأقبل علينا فقال :

هُم سَمَّنُوا كَلْباً لِيَأكل بعضَهُم ولو أخذوا بالحزم ما سَمَّنُوا كلباً

قال أبو عبدالله : فوالله ما صلينا عتمة من تلك الليلة والمتوكل من أهل الدنيا .

ونرجع إلى ما كُنَّا فيه فنقول : قد كان يجب أن نُقَدِّمَ بين يدي هذا القول الرغبة إلى الله في المعافاة من سَوْرَة الغضب ومن غَشْيَةِ الأنف ، ومن البلوغ في طاعة الْحَنَقِ إلى ما يُردي الحلم ، والى ما يَهْزِم الرأي ، والى ما يُزَيِّن إطلاقَ اليد واللسان بما يُجْنَى منه الندم بعد ساعة فعله ، ويوجد منه الأسف واللهف غبّ يوم كونه ، وقد ينجد على اماتة الغيظ وقتله ، وينفع في تَمَصُّل(١) [٤١] الحقد وذَوبه أن تكون النفس كاملة وقوراً ، وبأمور الزمان عروفاً ، وان يكون اللسان حديداً والقلب شديداً ، فإن كمال الآلة يحبب الاقالة ، وعُلُوَّ القدرة يُزَيِّنُ التكرم والترفع عن المعاقبة ، وقد قال قائل مجرب(٢) :

كُنْ حاقداً ما دُمْتَ لستَ بقادر فإذا قَدِرْت فَخَلِّ حِقْدَكَ واغْفِر
واعْذُرْ أخاك إذا أساءَ فَرُبَّمَا لَجّتْ إساءَتُهُ إذا لم تَعْذُرِ

---

(١) في الهامش (المصالة قطارة الجبن) .
(٢) في الهامش : «مؤلف الكتاب» .

وكثيراً ما يقطع بالمخاطب عِيُّه فيفزع إلى السَّفَه ، ويتّلُّ الغبيَّ الْبكيء[1] حَصَرُهُ فيطلب إخفاء أمره بالشَّغب ، وذلك أخفض المواقف ، وألأم الهزائم وقال علقمة بن علاثة في نحو من هذا المعنى : أول العيّ الاختلاط ، وأسْوَأ القول الإفراط [٤٢] والاختلاط ها هنا الاضطراب لشدة الغضب ، فأما إذا أيقن أنه التام الحُسْنَى ، والموفور للُعلَى فهو عند نفسه البحر الذي يلتهم كلّ ما ألقي فيه وهو ساج ساكنٌ والطود الذي يحتمل كُلَّ ما نيط به وهو قارٌّ ثابت فيعود طريقه إلى الاحتمال دَميثاً ، وعُذْرُهُ في الاغضاء — عند نفسه — واضحاً جميلاً .

جعلنا الله ممن يُقيم لطبيعتهِ المعاذيرَ في الاقصار عن الرذائل ، كما يقيم الحجج عليها في القصور عن الفضائل ، ولا جعلنا ممن يمهد لنفسه العلل في هجران الخير لصعوبة طريقه ، ويخرج لها الأسباب في اتيان الشرّ لإعتنانه ، واتفاق عُرُوضه ، وقد قال الشاعر :

[٤٣] فلا تعذريني في الإساءة إنه شرار الرجال من يُسيء فيعْذرُ
وتجزَعُ نفسُ المرءِ من سبٍّ مَرّةٍ وتسمع ألفا مثلها ثم تَصْبِرُ

وقال آخر :

وعذرك في القبائح مُسْتَتِبٌّ وليس الناس كلهم يُلامُ

وقال الْعَبْديُّ :

عذرك عندي لك مبسوطُ والذنب عن مثلك محطوطُ
ليس بمسخوط فَعَالُ امْرىءٍ كُلُّ الذي يأتيه مسخوطُ

وينشد أصحابُ المعاني :

فخذ القليلَ من اللئيم وسُبَّهُ إن اللئيم بما أتى معذورُ

قالوا : وليس هذا من العذر في شيء ، وانما يريد أنَّ اللئيم يُسَبُّ بما يأتيه فيجعل وسما على وجهه كالعذار [٤٤] وقد يجوز أن يكون من العُذْر ، وتأويله ذُمَّ اللئيم فإنه عند نفسه معذور ، فذلك أوجب للوم عليه ، لأنه لو استَقْصَرَ فعْلَهُ لدلّ على أنه اعطى قليلاً من نيَّةٍ مكثرة لو استطاعت .

---

(١) فوقها كلمة «مهموز» .

وقال المكتفي أبو محمد علي بن أحمد[1] — لما كان كاتبه معه بالرَّيِّ أحمد بن أبي الأصبغ يكاتب عبدالله بن سليمان بن وهب بأخباره ، فينهيها إلى أبيه الْمُعْتَضِد[2] ، فلما اجتمعا عاتبه المُعتضد ، قال فلم أزل أقارب وأباعد حتى صدقني عن المُخْبَر له ، وزال ما في نفسه ، فقلت :

ولما رأيتُ الْعُذْرَ يُظْلِمُ وَجْهُهُ ولم يبقَ إلا أن أقولَ فأَكْذِبَا
خلطت بحقٍّ باطلاً فَتَشَبَّها وجئت من الباب الذي كان أصوبا

ونحو من هذا قول علي بن الجهم بن بدر[3] — مولى بني سامة بن لؤى [٤٥] وهو يُدْعَا (؟) فيهم صَمِيْماً :

وفتى ضاقتْ مذاهبُهُ ضاقَ ذرعاً بالّذي صنعا
جعل الإقرار جُنَّتَهُ حين رام العذر فامتنعا

وقال آخر في ذمّ المعَاذِير ، ونسبها إلى الأكاذيب :

جُدْ لي بغفرانك من قبل أَنْ اخْضَعَ بالعُذْر وأنَّ أرغبا
فالعذْرُ لا يسلم من زُخْرُف الْـ ـكِذْبِ ، وما أنشط أنْ أكذبا

وكتب إليَّ بعضُ عُمَّال السلطان معتذراً من تأخر كتابه عني بأن قال : فإن رأيت ان تسامحني بما في غضون اعتذار المعتذر فعلت ان شاء الله تعالى . وقال قائل : زادَ على هؤلاء كلهم في حسن القول وجودة المعنى :

إيَّاك والامْرَ الذي إن تَوَسَّعَتْ موارده ضاقتْ عليك المصادرُ
[٤٦] فما حسن أن يَعْذِرَ الْمَرءُ نفسَهُ وليس له من سائر الناس عاذرُ

وأشعر منه وأحكم كَعُب الغنويُّ إذ يقول :

---

(١) هو الخليفة العباسي ولي الخلافة سنة ٢٨٩ وتوفي سنة ٢٩٥ عن ٣٢ سنة .

(٢) الخليفة أحمد بن الخليفة الموفق بن المتوكل [طلحة بن جعفر] ولي الخلافة سنة ٢٧٩ وتوفي سنة ٢٨٩ عن (٤٧) سنة .

(٣) الشاعر المعروف قُتِل سنة ٢٤٩ وديوانه من مطبوعات «المجمع العلمي العربي» بدمشق .

لا تعذرنَّ الدَّهْرَ صاحبَ رِيْبَةٍ   فَسِيَّان آتٍ أَمْرِ سَوءٍ ، وعَاذِرُه

ومن هذا الجنس — وان لم يكن من النوع نفسه — قول تميم بن أُبَيٍّ بن مقبل بن عوف بن حنيف بن العجلان بن عبدالله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة — وقد أحسن فيه ما شاء :

يا حُرَّ أَمْسَى سوادُ الرأْسِ خالَطَهُ   شَيْبُ القذال اختلاطَ الصَّفْوِ بِالْكَدَرِ
يا حُرَّ من يَعْتَذِرْ من أن يُلِمَّ به   رَيْبُ الزمانِ فإنّي غَيْرُ مُعْتَذَرِ

فأما الكلام الذي يستحق قضية الحُسْن عندي ، ولعله كذاك عند غيري فَشِعْرٌ أنشدنيه أبو مسلم عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي لبعض القيسيين :

[٤٧] يا سَلم لا أقري التَّعَذُّرَ نازلي   والذَّمُّ ينزل ساحةَ المتعذِّرِ
ولقد عَلِمت إذا الرياحُ تناوحتْ   أطنابَ بيتِكِ في الزمان الأغبر
إنّي لأَبْسُط للضيوف تَحيتي   وأشبُّ ضوءَ النار للمتنورِ
وتُنَالُ بالمال القليل براعَتِي[١]   قُحمَاً تضيق بها ذراعُ المكثر

وهذا البيت الأخير عجب .

والمعاذير كما قال الله من الادهان (؟) ومن الرِّياءِ والنفاق وهي مع ذلك ربما أَرْدَتْ ، وربما كان الصدق أنجى منها في العاجل ، فأما في الآجل فكلّا[٢] .

وعرض الحجاج قوماً من الخوارج للقتل فقال أحدهم : إنَّ لي عليك حقَّاً أيُّها الأمير . قال وما هو؟ قال : اني حفظت غيبك ، وذلك أنني كنت في مجلس ابن الأشعث فسبّك وذكر أمّك [٤٨] فقلت : مهلاً إن أبويه كانا كريمين سَرِيَّيْن ، ولكن ما شئت فيه فَقُلْ . واستشهد برجل من الأسرى ، فشهد له ، فقال الحجاج للشاهد : فما منعك أن تقول قوله ؟ قال : قديم بغضي لك . قال : أطلقوا هذا لِحَقِّه ، وهذا لِصِدْقه .

---

(١) كذا وفوق «براعتي» : صح .ولكن الباء مهملة وقد تكون تاء أو ما يشابهها من الحروف .
(١) كذا في الأصل .

فأما البدويّ فإنه جعل المعاذير من أفعال المريب فقال[1] :

وَرُبَّتَ مَنْطقٍ حَسَنٍ أُحِيْلَتْ مَعايِبُه فَعُدَّ من الذنوبِ
فلا عذري يَرُدُّ عليَّ شيئاً وكرُّ العُذر من فعل المريب
فَذَنبي حاضِرٌ لا شَكَّ فيه لسامِعِه ، وعُذْري بِالْمَغيب

وهذا البيت الأخير تمَثَّل به عبد الحميد بن يحيي العامريّ صاحب البلاغة ، ورئيس هذه الصناعة[2] . ويكفيك من مذمة العذر أنهم اشتقوا منه اسماً [٤٩] لشكاسة الخُلق ، ولظهور البخل ، فقالوا : رَجُل عَذَوَّرٌ إذا كان سَيِّء الخُلُق كثيرَ الاعتذار عند المنع ، قالت الشاعرة :

إذا نزل الأضيافُ كَانَ عَذَوَّراً على الْحَيِّ حتَّى تستقلَّ مَرَاجلهْ

وحَسْبُكَ من نَقِيصة العُذْر أنه والملامةَ مقترنان ، وانه لا يوجد إلا مع التثريب في مكان واللَّوْم[3] الذي هو رديفه ومتكفله هو الموت عند العقلاء ، ولا سيما إذا ورد من العقلاء ، ويعجبني قول البدوي :

وإني أُحِبُّ الخلْدَ لو استطيعه وكالخُلْدِ عندي أنْ أمُوْتَ ولَمْ أُلَمْ

ومثله قول الحادرة[4] :

فأَثْنُوا علينا لا أَبا لأَبيكمُ بأحسابنا إنَّ الثناء هو الخلدُ

والمعاذير صفو الكذب ، كما أن الحجج صفو الحق [٥٠] وذاك أنه ليس يخلص في العذر من الأكاذيب إلا أشبَهُهَا بالحق ، ولا يخلص في الحجة من الحق إلا أبعده شَبَهاً من الباطل ، هذا إذا كانت حجة على الحقيقة ، وكانت نتيجة عن مقدمات صادقة ، فأما اللَّحْن بإسكات الخصم واللدد يوم المقامة والحفل ، فقد يكون بالحق والباطل كما قال الشاعر — وهو مليح ابن

---

(١) الهامش : (بل هذا الشعر لحنش بن وهب العبسي ، عن علي بن عز.. كلمة خافية .
(٢) هو المعروف بعبد الحميد الكاتب العامري ولاءً ، كان من أئمة الكتَّاب قتل مع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُميَّة سنة ١٣٢ هـ .
(٣) كذا ولعله (اللوم) .
(٤) الحادرة لقب الشاعر قطبة بن الحصين الغطفاني ، وله ديوان شعر مطبوع .

أمٍّ غلاَّقٍ الأعْيَوي من أسَدٍ ، ولها خبر ليس هذا موضعه :

بَرِئْتُ إلى الرحمن من كل صاحب أُصاحبه إلا حِمَاس بنْ ثَامِلِ
وظَنّي به يوم السِّماطَيْن أنه سينجو بِحَقٍّ ، أو سينجو بباطل

وحِمَاس بن ثامل بن الشمردل بن تميم بن بُرْثُن بن مُنْقذ بن أعيا — واسمه الحارث — بن طريف بن عمرو بن الحارث بن ثعلبة هو القائل :

[٥١] ومستنبح في لُجِّ لَيْل دعوته بمشبوبة في رَأْس صَمْدٍ مُقَابِلِ
فقلت له : أقْبِلْ ، فإنَّك راشِد وإنَّ على النار النَّدَى وابْنَ ثَامِلِ

وله شعر كثير ، وكان جدُّه الشَّمَرْدَلُ مذكوراً بحسن الشعر ، وسنستقصي ذلك كله في موضعه في كتاب أسد — إن شاء الله .

وقد كنت قلت — واستغفر الله — :

وأَعْتَسِفُ الْخَصْم الألدَّ بمنطقي فيبلغُ ما لا يبلغ الحقُّ باطليْ
بحيث جفَاني الأقربونَ وكلهم شهيد ، وأضْحَي ناصري مِثْلَ خاذلي
لدى ملك يَكْمي لِخَصْميَ نُصْرةً وأعْيَا غَلَته خَتْل ثَبْتٍ مُمَاحِل
إذا أَنْصَلَت آراؤهُ سَهْمَ حُجَّة تَمَهَّلَ أو يرمي به في المقاتلِ
فلا عند اكثاف الرَّمِيَّة صامت ولا في ضِجاج اللَّغْوِ أولُ قائل

[٥٢] ولي أيضاً في نحو ذلك :

يا رُبَّ خصمٍ قد تركت ذِمَاءه وكأنَّما شُقَّتْ له أرماسُهُ
من بعد ما قد كان يطفح قوله بَدَداً وينْغِضُ في المقادم رَاسُهُ
بجدالِ ذِي غَرْبٍ ألَدَّ ، كأنّما يُذْكَى بِشُعْلة قوله نِبْراسُهُ
في موقفٍ كالحرب تهتضم الْفَتَى فيه جبانتهُ ، وينفع باسُهُ

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجلين : «لعلَّ أحَدَكُما أن يكونَ الْحَنَ بِحُجَّتِه من

الآخر ، فمن حكمت له بغير حقّه فإنما أقطع له قطْعة من النار ــ أوكما قال صلى الله عليه وعلى آله ــ فخرجا فتراضيا بينهما . أراد ــ صلى الله عليه ــ أن يُؤَدِّب أُمَّته بإشعار الْمَقضيٍّ عليه أن ليس مغلوباً من غلبة الحق ، وبإعلام المقضِيّ له أن ليس غالباً من غلبه [٥٣] الباطل ، وبذلك يقع التباذل ، وفي التباذل التناصف ، وفي التناصف التصادق ، وهو المذهب المحبوب عند الله وأصفيائه ــ جعلنا الله من المرضيين عنده أقوالاً وأفعالا ، ومن المعفوّ لهم أقوالا وأفعالا .

واعلم ــ حفظك الله ــ أنَّ طالبَ الحق حيث يُلاقي مَذْهَبَهُ ، ومُحِبَّ العَدْل إذا جمع عليه غَرَضَهُ ليس يُحِبُّ الحق لذاته ، ولا يبغي التناصف على جهته ، وإنما يريد موافقةَ المراد أين سلك ، ويحبّ مواتاة النُّجْح كيف سَهُل ، وموردُ الحقِّ ومورد الباطل عنده سيَّان ، بعد أن يتناول آرابه ، ويقضي أو طاره ، فابْعُدْ من هذا الشك ما استطعت ، واهْرَبْ بنفسك من هذا الشوب كيف أردت ، واعلم علما [٥٤] يقيناً أن الأمر الذي يسرك ، والأمر الذي يسؤك إذا كان منزعها من العدل ، ومصدرهما عن حكمة الحكم فكلاهما حقٌّ نقيٌّ وكلاهما عدلٌ صحيح . وأنهما يُسْقَيَانِ بماء واحد ، ويَرْجعان إلى أصل جامع ، فلا تُفَرِّقْ بينهما بالهوى ، ولا تَخْرِق الْتِئامَهُمَا بطاعة الغضب ، ولا تنسبهما لِعلاَّتٍ وهما من الأعيَان[1] ، ولا تحرمهما فضيلة التشابه وهما صِنْوانِ ، فقد سمعت الله عز وجل حَمِد قوماً فقال : (وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ من رُسُلِهِ) والحق من كلماته ، والعدل من أسمائه ، وهو لمفرقهما أشَدُّ ارصاحا (؟) ومن مُمَحقِّهما أبْعد رضوانا ، لأن الرُّسل حملة الحق ، وبالحقِّ عَظُموا وبالحقِّ [٥٥] شرَفُوا ، فموضع الإساءة من الْمُشَرِّف أغلظُ من موضعها في المشرَّف ، وداعي السخط في المعظَّم أقوى منه في الْمُعَظَّم ، ولَعَلِّي أجمع بتكرير هذا الوعظ بين الأجر في تعريفك ، وبين النفع في إذكاري ــ والتوفيق من الله .

سِرْ ــ أَيَّدَكَ الله ــ فينا بسيرتنا ، واقْض علينا بقضائنا :

فأول راض سُنَّةً من يَسِيْرُها .

---

(١) في الهامش بخط كاتب الأصل : (قال ابن الأعرابي : الأولاد لأب واحد وأمهات عدة ، أولاد علات ، ولأم واحدة وآباء كثيرة ، أولاد الأخياف ولأب واحد وأم واحدة أولاد الأعيان) انتهى .

وقد علمت مجازاة عبدالله بن هارون المأمون لسهل بن هارون عن كتابه في البخل ، بالبخل عليه ، ليريه أنه قَدَّ جوابه من مَسَلَّتِهِ ، وقد سدّ مطالع حججه ، لأنه منعه في معرض التنويل ، وزرَى على رأيه في شَبَهِ التفضيل ، فكذلك فاعمل فينا بالعدل الذي جلوناه ، واجعلنا أول [١٦] من يفوز به منك ، وأول من أظهرته فيه من قوى نفسك ، وانظر في هذا الكتاب ذاكراً لهذا الإيصاء ، ومعتقداً لهذا الفعل ، وهو كتاب صَنعناه لكل أديب أحبّ أن يكون مذهبه خاصًّا ومحضره بين أهل العلم مَهِيْباً ، وأراد أنْ يُحْسِن الدلالة على اتِّساع معلومه ، وينقلبَ عن المجلس إذا ألمّ به والألسن مشتجرة بوصفه ، وهم أهل الطلب معقودة بأثره ، فإن الذي تضمنه ثَمَنٌ للإجلال ، وداعية للهيبة ورائدٌ صادقٌ في حسن المعرفة .

وكان باعثي على تصنيفه أني رأيت أشعار العرب ، وانتظامها كلّ مثل حكيم ، وكل معنى بديع ، فرأيت أن جَمْعَ ذلك وتَهْذِيْبَه [٥٧] واختياره وتأليفه يجمع بين النفع بما فيه من الأدب الذي يفتق اللسان ، ويَستقدم الجبان ، وبين النفع بما فيه من الدَّلالَة على معجز القرآن ، اذ كان بتبحر[١] الفاظ هؤلاء القوم ، والمعرفة بمعادن ألفاظهم ، وبمنازع أغراضهم يُعْلَمُ مُعْجِزُ القرآن علماً حِسِّياً ذاتيّاً .

وأنا أرى أنَّ علم العالم ان القرآن معجز من طريق القياس والاستدلال ، ومن طريق الْحِسِّ والإدراك أشرف وأعلى من علم العالم بإعجازه من طريق القياس بالتقليد لغيره ، والاعتبار بالفصحاء الذين تقدموه وكانوا حجّة عليه ، ولا أرى أنَّ الإعجاز إنّما هو بالصَرفْةِ لا غير ، كما يعتقده قليلٌ من الناس [٥٨] بل أرى أن الاعجاز إنما هو بنوعية ذلك النظم ، وبإعجازه من التمكين والحول ، وأن الصرفة أَيَّدَته وكانت في الرِّفْد له بمنزلة الخوافي من القوادم ، واستقصاء هذا الشوط من الكلام يطول ، ولعل الله أن يوفقنا لتجريد كتاب مفرد في معناه .

فعزمت لما رأيت هذا المرّآى على كتاب اجمع فيه المختار من أشعار العرب ، والمهذّب من أخبارها وبلاغاتها ، فرأيته ينتهي من الطول إلى حدٍّ يفيض على لُمَع المعارف ، ويستغرق نُكَتَ الفوايد ، والكثرة إملال ، وكأنَّ الإطالة تقيم عُذْرَ الْمُعْرِض عن العلم ، وتَبْسط حجة التارك لتدبُّرِ الكتب ، فقصدت إلى هؤلاء الشعراء الأربعة [٥٩] المثبتين في الطبقة الأولى ،

---

(١) كلمة لم يظهر آخرها ولعلها «بتحري» .

وهم امرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى ، فجمعت إلى اسم كل شاعر منهم أسماء من يشاكله ، وأخبرت عن قبيلة كل واحد من الأصل والمضاف ، بمختار أشعارها ، ومحاسن أخبارها ، فتهيّا لي من الشعراء زَيِّدٌ على ستين شاعراً ، وإذا ورد المختار من أشعار قبائل هؤلاء على وفور عددهم مع ما يتعلق بهم من ملح الأناشيد ، وطُرَف المقاطيع ، ومعارف الأخبار ، كان جمهور علم العرب من أخبارها وأشعارها وأنسابها مع لُهْوَةٍ من غرائب اللغَة التي تجمع بين الاغراب والإحسان ، اذ كان في الغريب حُوْشيٌّ لا يُسْتَعمل[1] ، وعَادِيٌّ لا يُطلب ، ولو أنني اقتصرت على أسماء هؤلاء [٦٠] الشعراء لكان غريباً عجيباً ، لأنه لا شَيءَ أحْسن ولا آنق من أن يجري ذكر امرىءِ القيس فنذكر بضعة عشر شاعرا على هذا الاسم ، ونذهب في ملح أخبارهم وبارع أشعارهم ، وكذلك في النوابغ والأزاهر ، فأما الْعُشُوّ فنحو ثلاثين شاعراً ، ولكني لو فعلت ذلك لما تعدّيت الدلالة على شِدَّةِ بَحْثي وطول استثارتي مدافن هذه العلوم ، دون إيراد ما يغزر به امتاعُ القارىء ويكون ثروة للحافظ المذاكر ، كما صنع أبو عبدالله محمد بن داود بن الجرّاح[2] — رحمه الله — فإنه صنع كتاب « الْعمرَيْن » فأتىَ باشارات دالّة على معرفته دون أن يقرن بذلك ما يَلَذُّ الناظرُ بعلمه[3] ، ولم أَظُنَّ أنني بَقَّيْتُ في الاختيار مُتَعَلَّلاً ، لأنني كُنت أختار [٦١] البارع من أبيات القصيدة ، ثم ألقيها جانباً مدة أيام ، وأعاود النظر فيها برأي سالم ، وباختيار شابٍّ واع ، فاختار من ذلك المختار ما أرى إيراده ، فيكون إبْرِيْزَنَارَين .

واعتمادنا في تفسير الغريب موافقة أغراض المتوسط في الأدب ، إذْ كان المبتدي إلى غير هذا الكتاب أحوج ، إلا في مواضع ، رأينا أن تفسيرها وان كانت معروفة شرك لذكر فائدة لا نرى إدماج ذكرها فنكون في ذلك كما قال البدويّ :

وأَمْضي إلى الأرض التي من ورائكم لِأُعْذَرَ في إتْيانكم حين أرْجعُ

وكما قال الآخر :

---

(١) الحوشي : الغامض من الكلام — بضم الحاء .

(٢) آل الجراح أسرة فارسية الأصل عرف منها عدد من الكتاب والوزراء ومن أبرزهم محمد بن داود . عمل للخليفة المعتضد العباسي في سنة (٢٨٦) ثم غرق في أمور الدولة فلقي من جرّاء ذلك أذىً كثيراً حتى قتل سنة (٢٩٦) عن ٥٣ سنة .

(٣) يقصد كتاب « من اسمه عمرو من الشعراء » وأنظر عن هذا الكتاب ومؤلفه مجلة « العرب » س ٤ ص ١٩٣ وما بعدها .

وما بِيَ حبُّ الرَّمْلِ لكنَّ بي هَوى ويُغْرِيك بالشَّيءِ البعيد الْحَبَائِبُ

[٦٢] وكذلك فعلنا في مسارق الشعراء ، فانا لم نَعْرِّض منها إلا لما تكون الفائدة في المعرفة به دون المعرفة باستراقه ، أو الاستراق منه .

وألغينا الأسانيد خِيفة التَّطْويل إلا في أحد ثلاثة مواضع : إما خلاف نورده ، وغُفْلٍ نُحْضره ، فنحتاج إلى إسناد يَعْضُده ، وإما أثر شَرَّفَ راويه في نفوسنا ، وكان من أماثل من أدركناه في زماننا فَحَسَبْنَا أَنَّ التخفيف بحذفه لا يبلغ ثَمَن الْعَطَلِ من التَّحَلِّي بذكره ، وإمَّا فائدة كان موقعها مِنَّا لطيفاً ، ومودها عندنا غَرِيْباً ، فرأينا أن الإغماض عن ذكر من استفدناها منه خلل في المروءة ، وشعبة من كُفْر النعمة ، وغَمْطٌ لإحسان لسنا أغنياء عن أمثاله ، ولا مكتفين دون ما [٦٣] نستأنف من أشكاله ، فقد حدثني أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ [١] انه كتب إليه أبو عبدالله النيسابوريُّ أنه سمع أبا العباس محمد بن يعقوب الأصمّ يحكي عن العباس ابن محمد الدّوري أنه سمع أبا عُبيد القاسم بن سلام يقول : من شُكْرِ العلم ذِكْرُكَ الفائدة منسوبة إلى من أفادك اياها أو كما قال .

وأغنانا عن سياقة الأسانيد كلها طريقتنا في الاتقان وما نحن عليه من ايثار شدة النقد الصحيح من السقيم .

وينبغي لك يا قارىء الكتاب إن كنت تحبّ الشعر ان تعتده مختار أشعار القبائل ، فإن كنت تحب الأخبار تمثلته مؤلفاً في سير الجاهلية والإسلام [٦٤] ومقصوداً بالأغرب فالأغرب من المعارف والآثار ، وان كنت تحب اللغة تصورته كتاباً مرتبطاً (...) [٢] من عقائلها ، ومن الشواهد عليها ، وان كنت تحب النسب — وهو أصعب علوم العرب — احتسبته سياقة جماهير الأنساب ، وذكر الجمل من معارف الأشراف ، وأَيْقن أَنَّك لو أردت أن تصنّف منه مئين من الكتب لأمكنك ، لأنك تأتي إلى أخبار إياس بن معاوية — مثلاً — فتجد في بابه من أخباره عند ذكر مُزَيْنَةَ ما لو أفردته مؤلفاً لما كان معيباً ، على إقراري بالعجز دون الغاية ، اذ كانت

---

(١) هو الأزدي الحَجْريُّ من حفاظ الحديث وعلماء النسب توفي سنة ٤٠٩ بمصر عن ٦٦ سنة وهو من أجل شيوخ المؤلف .

(٢) كلمة غير واضحة .

الكتب التي جمعها أسلافي ذهبت جميعاً بالشام ، وكان مدة استيافي [1] النظر والجمع إلى حين تصنيف [٦٥] هذا الكتاب يقصر عن الاستيعاب ، مع ما استفزع هذه المدة من أيام الصبا ، التي عذرتني في قلة الحزم والإصابة ، لأنَّ كتبنا ضاعت وسِنِّي عَشرُ سنين ، وصنفت هذا الكتاب وأنا مستقبلٌ الخامسة والعشرين .

أسأل الله تعالى أن يرزقني برَّ ما أُصَنِّفُهُ من هذا الكتاب وغيره في تخليده لذكري ، واحتسابه بين أهل العلم غَيْبي ، وقيامه بخلافة لساني ومَحضري ، ومع ذلك كله فأنا فقير من القارىء إلى بسط العُذر ، واصلاح المُخْتل ، ولَمِّ الشَعثِ ، ولعلي أزيد في هذا المصنف على طول الأيام ما امتد العمر ، وما اتصل الفراغ [٦٦] وان أقامت الرغبة ، وان ثبتت الدواعي وان نفقت الصِّناعة [2] ، وإن [3] استقام الأمر ، وإن شاء الله .

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين .

---

(١) بدون نقط وتقرأ (استئنافي ، واشتياقي) .

(٢) كذا بغير نقط ولعلها البضاعة .

(٣) فوق الواو «وإن» (صح)

فصل في ذكر اشتقاق «العرب»

رأينا أنه مما يُحتاج إلى تقديمه ، ونحن في إيراده كالنائبين عن أبي بكر محمد بن دريد[1] — رحمه الله — لأنه مما كان يجب أن يستقصيه في أول كتابه المصنف في اشتقاق الأسماء العربية ، وبالله التوفيق .

الذي أراه أن العرب سُمِّيت بهذا الاسم لإفصاحهم باللغة ، وإيضاحهم سبيل البلاغة ، من قولك : أعربت الشَّيءَ ، أو عن الشيء ، إذا أَبَنْتَه أو أبنت عنه ، وعَرَّبْتَ عن فلان : أبنت عنه ، وعربت الفارسية : أَبَنْتَها ، وقال أبو عبيد [٦٧] في حديث رسول الله صلى الله عليه «الثَّيب يعرب عنها لسانها ، والبكر تستأمر في نفسها» وقد روى : «يعرّب عنها» وهو قول الفرّاء ، وبَذالك الحديثُ الآخر في الذي قتل رجلاً يقول لا إله إلا الله ، فقال القاتل : إنما قالها مُتَعَوِّذاً . فقال النبي صلى الله عليه : «فهلا شققت عن قلبه» ؟! فقال الرجل : هل كان يبين لي في ذلك شيئاً ؟ فقال النبي صلى الله عليه : «فإنما كان يُعَرِّبُ عما في قلبه لسانُهُ» . ومنه حديث رووه عن ابراهيم التَّيْميِّ الفقيه ، وهو ابراهيم بن يزيد[2] بن شريك ، من تيم بن عبد مناة بن أدّ ، قال : كانوا يَسْتَحِبُّونَ أن يُلَقِّنوا الصبيَّ حين يُعَرِّبُ أن يقول : لا اله إلا الله ، سبع مرار ، وأعرب الرجل بحجته [٦٨] إذا أفصح عنها ، وعَرُبَ : إذا فصح فلم يَلْحَن ، والمُعْرِبُ : الفصيح اللسان ، والعربيُّ مثله ، والْمُعْرِبُ : الذي له خيلٌ عِرَابٌ ، والذي يعرف الخيلَ الْعِرَاب أيضاً يقال له مُعْرِبٌ ، ومنه إعْراب النحو ، لإبانته مقاصدَ الألفاظ ، وإزالته شُبْهَةَ الالتباس ، ومنه الْعَرَبُونُ والعُرْبان لأنه إبانة عن موافقة الشَّيءِ المُشْتَرى لمُشْتَريه ، وصحة عزمه على وزن الثمن فيه ، ومنه في الحديث : (ستأتي سِنُون مُغْرِياتٌ مُكْلحَاتُ) أي مُبينات للجدب ، وأحسبه في حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه

---

(١) العالم اللغوي المعروف صاحب المؤلفات ولد في البصرة سنة ٢٢٣ وتوفي سنة ٣٢١ في بغداد ومن أشهر مؤلفاته «الجمهرة» في اللغة و«الاشتقاق» في الأنساب ، وله ديوان شعر .

(٢) في الهامش : (كنية ابراهيم التيمي أبو أسماء) .

السلام ، والْعَرَبْرَبُ والعَبْرَبُر : السُّمَّاقُ لبيان حَمْضِهِ وحَذَاقة طعمه .

ومما يقوي ذلك أن يَعْرُب بن قحطان [٦٩] إنما سمي يَعْرُب لأنه أول من عدل لسانه مِنَ السُّرْيَانية الى العربية في قول القحطانية ، وقولنا للأمة التي يقع فيها الاعراب : عَرَبٌ ، كقولنا : فلان ضاربٌ ، إخباراً بأنَّ الضرب وقع منه ، لأنّا لا نرى أن الأسماء مُشْتَقَّةٌ من الأفعال ، على ما يذهب اليه قوم يخالفهم البصريُّون ، بل نرى أن الأسماء والأفعال مشتقة من المصادر ، على أنه قد يكون في الأسماء ما يُشْتَقُّ من الاسم دون المصدر ، على حدّ قولك : استحجر الطين ، واستنوق الجمل ، وتألّه الرجل ، فعل الأفعال المقرّبة إلى الاله ، كما قال :

سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ من تَأَلُّهِي (١)

وقد استقصينا ذلك كله في مواضعه من غير هذا الكتاب ، وبالله التوفيق . هذا أحسن ما يفسّر به اشتقاق [٧٠] العرب عندي ، ولو كنّا نقتصر على ما نتيقن صحته لكفانا هذا الوجه ، إلاّ أنا لايثار ناشِفَاء صدر القارىء وترك الاختيار في أقوال الخلف اليه نُورِدُ ما يحضرنا ذكره من الوجوه في اشتقاق العرب وهي ثلاثة عشر وجهاً : فالأول ما ذكرته .

والثاني : أنَّ العربي منسوب إلى العرب ، والعرب جمع عارب ، كَالْغَيَبِ جمع غائب ، والعارب الذي أتى عَرْبة وهي جزيرة العرب ، كما يقال : جلس فهو جالس إذا أتى جَلْساً ، وهي نَجْد ، وغار فهو غائر إذا أتى الْغَوْر .

والْعُرْبُ أيضاً جمع عارب كَحَايل وحُوْل ، وغائِط وغُوط ، إلا أنه لا ينسب إلى الْعُرْبِ ، لا يقال في كلامهم [٧١] عُرْبِيٌّ ، وكأن الْعُرْبَ ورد مطابقة لِلْعُجْم ، كما أن الْعَرَبَ بإزاء الْعَجَمِ ، وكما يقال : خُشْبٌ وخَشَبٌ .

والْعَجَمُ اسم للجنس ، وله اشتقاق يَطول ذكره في هذا الموضع ، والعجم جمع أعْجَم .

والْعَرَبُ وإن كان جمعاً كما ذكرناه فإنهم لَمْ يَرَوْا أنَ يتصرفوا فيه بواحد يوردونه له ، لأنهم لو قالوا : عارِبٌ لجاز أن يَدُلَّ على أنه فاعل فِعْلاً من أحد الأقوال التي ذكرنا أن اشتقاق العرب

(١) لرؤبة وصدره : لله درّ الغانيات الْمُدّهِ .

يتوجه منها ، ولخرج عن أن يكون دلالةً على نَسَبه ، إلى أن يصير دلالة على فِعْلِهِ ، فاستغنوا عن ذلك بالنِّسبة اليه فقالوا : عَرَبِيٌّ . وقال ابن دريد في مصدره : يقال عَرَبِيٌّ بَيِّنُ العرابة والعُروبة ، وقد سموا بِعَرَبِيٍّ كما سموا برومي [٧٢] وفي ضبّة شاعر محسن يقال له رُومِيٌّ بن شَرِيك ، وفي بني عبد الدار رجل يقال له أبو الرُّوم عبد مناف بن عُمَيْرِ العبدريُّ ، وممن اسمه عربي : عَرَبِيَّ بن مُنْكِثٍ أحد بني عُبَيْدِ الرّماح بن معدّ بن عدنان ، وعُبَيْد بن معد هؤلاء انقسموا قسمين : ففرقة دخلت في مُزَيْنَةَ ، وفرقة دخلت في كِنَانَة ، والتي دخلت في كنانة هي التي يقال لها عبيد الرماح ، وابن عربي هذا : ابراهيم بن عَرَبِيّ[1] ، وكان مُكَرَّماً عند بني أمية ، والسبب في ذلك أن أمه كانت فاطمة بنت شَرِيك بن عَبَدة بن مُغيث بن الحد بن عجلان بن حارثة بن ضُبيعة بن حرام بن جُعَلِ بن عمرو بن جشم بن وَدْمِ بن ذُبْيَان بن هُمَيْمِ بن ذُهْلِ [٧٣] بن هَنِيٍّ ابن بلي بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعة ، وشريك هو الذي يعرف بِشَرِيك بن سَحْماء ، وسحماء أمّه ، وهي في قول بعضهم : سحماء بنت عبدالله الليثية ، وقال آخرون : هي يمانية . وشريك هو الذي أتهمه عويمر العجلاني من الأنصار بامرأته ، فنزل بسببها اللعان ، في حديث طويل ليس هذا موضعه ، فلما كان يوم دَارِ عثمان ضُرِب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فسقطا ، فوثبت فاطمة بنت شَرِيك فأدخلت مروان بيتاً فأفلتَ ، فكان بنو مروان يحفظون ابراهيم بن عَرَبِيٍّ لذلك وولاه عبد الملك اليمامة وأعمالها ، فتزوج بنت طَلْبَةَ بنِ قيس بن عاصم بن سنان[2] بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس — وهو الحارث — بن عمرو بن كعب بن سعد [٧٤] بن زيد مناة بن تميم ، وأوفد ابراهيمُ مُقاتِلَ بْنَ طلبة إلى عبد الملك ومعه أشراف من تميم وعامر بن صعصعة ، وكتب إلى الْحُجَّاب أن يحسنوا أذنه فأذن له أول الوفد ، فلما دخل على عبد الملك أدناه وأكرمه فقال :

وفَضَّلَني عند الخليفة أنني ... عشيةَ وافَتْ عامِرٌ وتَميمُ
وجدتُ أبي عند الإمام مُقَدَّماً ... لِكُلِّ أُناس حادثٌ وقديمُ

---

(١) كان والي اليمامة لبني مروان ، ولي عنه كتاب «ابن عربي مُوَطِّد الحكم الأموي» وكان يترسَّم سياسة الحجَّاج ، وكان كاتباً مع مروان بن الحكم يوم الدَّار .

(٢) كلمة سنان مهملة الحروف ، وليست في «المقتضب» مخطوطة دار الكتب ، الورقة ٢٧ ب .

فقال رجل من عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم :

لولا حِرٌ قَدَّمْتَهُ لابن مُنْكتٍ مُقلَّم نَابِ الاسْكَتَيْن أزْومُ[1]
لما كنتَ عند البابِ أولَ داخل عشيَّة وافت عامرٌ وتميمُ

وكان ابراهيم أسْودَ ، ففيه يقول البُعيث[2] ــ واسمه خِداش بن بشر بن أبي خالد ، وقد يقال : بشر بن خالد بغير كنية [٧٥] بن بَيْنَة بن قُرْط بن سفيان بن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم :

تَرَى مِنْبَرَ الْعَبْدِ اللَّئِيم كَأَنَّمَا ثلاثةُ غِرْبَانٍ عليه وُقُوعُ

وفي هذه القصيدة يقول :

وإنّ لها جاراً إذا ما دَعَوْتُه تجَرَّدَ عاري الأشْجَعَيْن مَنِيعُ
أغرّ إذا ما شدَّ عَقْداً لذمةٍ حماها وطَيْرٌ في الدِّماءِ كُرُوعُ

وسنقتصي ــ إن شاء الله ــ ذكر البُعيث عند ذكر ضبَّة بنت البُعيْث فإنها كانت شاعرةً ، وهي التي تقول ترثي أباها ، وكان لما مات نعاه رجل من عُكْلٍ :

نعاه لنا الْعُكْليُّ لا دَرَّدَرُّهُ فَيَا لَيْتَهُ كانتْ به النَّعْلُ زَلَّتِ
فلن تسمعي صَوْتَ الْبُعيْثِ ممارياً إذا ما خُصُوْمَات الرجالِ تَعَلَّت

[٧٦] وابراهيم هذا هو الذي استعداه مُنازل بن فُرْعان بن الأعْرف من بني عَبْدِ مُنَبّه[3] ابن عبادة بن النزال بن مُرَّة بن عُبَيْدٍ ، إخوة مِنْقر بن عُبَيد على ابنه خَلِيْج بن منازل وقال :

تَظَلَّمني حَقّي خليجٌ وعقَّني على حين صارت كالحنيّ عِظَامي
رجاء لِغُوْلٍ من حَرَام كأنما تُسَعَّرُ في بيتي حَرِيْقَ ضرامِ

يعني أنَّ ابنه تزوج امرأة من حرام بن كعب بن ربيعة بن سعد بن زيد مناة بن تميم :

---

(١) في الهامش : (ضيق) .
(٢) في الهامش : (كنية البعيث : أبو مالك بابن له) .
(٣) في الهامش : (منبه مفعل من النباهة) .

لعمري لقد رَبَّيْتُه فَرِحاً به فلا يفرحَنْ بعدي امرؤٌ بِغُلام

— في أبيات — فأراد ابراهيم بن عربي ضَرْبَ خليج فقال له : أصلح الله الأمير لا تعجل عليّ ! ! أتعرف هذا ؟! هذا منازل بن فرعان الذي يقول فيه أبوه :

جَزَتْ رَحِمٌ بيني وبين مُنَازِلٍ جزاء مُسيءٍ لا يُفَتِّرُ طالِبُهْ

[٧٧] تَعَمَّدَ حقّي ظالماً ولوَى يدِي لَوَى يَدَه اللهُ الذي هو غالِبُهْ

أأنْ أُرْعِشَتْ كفَّا إبيك وأصبحت يداك[1] يَدَيْ لَيْثٍ فإنّك ضارِبُهْ

في أبيات كثيرة ، فرفع عنه ابراهيم الضرب وقال لأبيه : عَقَقْتَ فَعُقِقْتَ .

وقد كان في التابعين رجلٌ يقال له أبو سلمة الزبير بن عَرَبِيٍّ البصريُّ ، والنضر بن عربي أيضاً حَرَّاني يروى عن عكرمة ، وحسين بن محمد بن عَرَبِيٍّ من أصحاب شُعْبَة ، وغير هؤلاء ممن لم نعمد لإحصاء اسمه .

ونعود إلى سبيلنا الأول فمن الشاهد على أن عَرْبَة اسمُ جزيرة العرب ما أنشده هشام الكلبيُّ[2] في كتابه المسمى « عَرْبَة » لأبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، واسمه عبد [٧٨] مناف بن عبد المطلب ، واسمه شيبة بن هاشم واسمه عَمْرو بن عبد مناف ، واسمه المغيرة ، بن قُصَيٍّ ، واسمه زيد ، ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر ، وهو جماع قريش ، من ليس من ولد النَّضْر فليس من قريش — بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عَمْرو ، بن الياس ابن.مضر بن نزار بن معد بن عدنان :

وعَرْبَةُ أرْضٌ لا يُحِلُّ حَرَامَهَا من النَّاس غَيْرُ الشَّوْتَرِيِّ القَنَابِلِ[3]

الشَّوْتَرِيُّ : الجريءُ ، ومنه قول أبي غالب العُكْلِيِّ :

بَنِي كُلَيْبٍ ساقكم جَدٌّ شَقِي حتَّى رماكم عند آصال العشى

بِمُطَرِهِمٍّ في الشباب شَوْتَرِي

---

(١) كانت في الأصل : (يد أيدي) وفي الهامش : (كذا وقع وصوابه : يداك) .

(٢) هشام بن محمد بن السائب من قبيلة كلب ، من أوسع العلماء اطلاعاً على أخبار العرب ، ومعرفة بأنسابهم وله مؤلفات كثيرة توفي سنة ٢٠٤ هـ في الكوفة .

(٣) في كتب اللغة : (إلا اللوذعي الحلاحل) .

والقُنابِلُ : الضخم الجسم ، وقيل العظيم الرأس . وأنا أرى أن هذا [٧٩] البيت يدل على غير ما استشهد به هشام ، لأنه يدلّ على مكة فقط ، وهشام أعرف[١] .

وقال أبو سفيان الأَكْلُبِيُّ ، واسمه أنس بن مدرك من أَكْلُبَ بن ربيعة بن عَفْرَسِ بن حَلِف بن أفتل — وهو خَثْعَم — بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُب بن قحطان ، وقيل : هو أَكْلُبُ بن ربيعة بن نزار ، وأنهم دخلوا في خَثْعَمَ بحلف فصاروا معهم :

أبونا رسولُ الله وابنُ خَليلِهِ بِعَرْبة بَوَّانا فَنِعْمَ الْمُرَكَّبُ
أبونا الذي لم تُركَبِ الخيلُ قبلَه ولم يَدْرِ شَيْخٌ قبله كيف تُرْكَبُ[٢]

وقال ابن منقذ[٣] الثوري من ثور أطحل بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة .

[٨٠] لنا إبل لم يطمث الذلُّ نِيبَها بِعَرْبَةَ مأواها بقرنٍ بأبطحا
ولو أن قومي طاوعتني سراتهم أمرتهم الأمر الذي كان أريحا

وقال أُسَيْدُ بن الْحُلاَحِلِ[٤] :

وعَرْبة أرض جَدَّ في الشرّ أهلها كما جدَّ في شُرب النُّقَّاخِ ظماء

وقال أسيْد أيضاً :

إذا ما قارنَ القمرُ الثُّرَيَّا لثالثةٍ فقد ذهب الشتاءُ[٥]
وتَمَّتْ مدةٌ ، ووفت عهود وبانَ الوُدُّ واتصل الجلاءُ .
وبُسَّتْ بالتهائم شامخاتٌ على أثباجها شجر وماءُ

---

(١) يقصد ابن الكلبي .

(٢) الهامش (يعني اسماعيل عليه السلام) ،

(٣) في الهامش : عبدالله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور (وابنه قيّار بن حسان بن فزارة بن ربيعة بن أوس بن عبدالله بن منقذ ولست أدري أهو هذا أم لا) .

(٤) في الهامش : «بخط الوزير : يخرج نسبه ان شاء الله . وفي «معجم البلدان» : أسد بن الجاحل ؟

(٥) في الهامش : (قال ابن الاعرابي (كلمة غير واضحة) القمر يقارن الثريا مرة في السنة في آذار لخمس أو لست) .

وَرُجَّتْ باحةُ الْعَرَبَات رَجّاً   تَرَقْرَقُ في مناكبها الدماءُ

وقولهم : مَا بِالدَّارِ عَرِيبٌ من هذا ، كأنهم قالوا : ما بها قوم من العرب وعَرِيْبٌ جمعُ عَارِبٍ ، كَعَزِيْبٍ جمع [٨١] عازب ، ويجوز أن يكون عَرِيْبُ اسماً واحداً غير جمع ، ويكون بمعنى مُعْرِبٍ ، كما يقال : نذِير بمعنى مُنْذِر ، فكأنهم قالوا : ما بالدَّار أحدٌ يُعْرِبُ ولا يُفْصِح ، كما يقال : ما بها داع ولا مُجيب .

وأما عَرِيْبُ بن زيد بن كهلان وغيره ممن اسمه عَرِيب على فَعِيل ، فيجوز فيه الوجهان جميعاً ، ويجوز أن يكون جَمْعاً سُمّي به رجل مثل كِلاب وسباع ، ويكون واحداً ، وقد يستعملون عَرَباً أيضاً بالتنكير ، لأنهم يقولون : ما بهذه الدار عَرَب ، كما يقولون : ما بها نَاسٌ ، أو : ما بها أحَد ، وما نزل هذا الموضعَ عَربٌ ، كما يقولون : ما نزل هذا الموضع ناس . وقال عمرو بن معاوية بن المنتفق بن عامر بن عُقَيْلٍ — وقيل أن بين المنتفق وبين [٨٢] معاوية أبا آخر والله أعلم :

تَهادي قريشٌ في دِمَشْقَ لِطَيْمَتي   وتُتْرَكُ أصْحَابي ، وما ذاك بالْعَدْل
فإنّي على هول الجنان لنازل   منازلَ لم تَنْزِلْ بها عَرَبٌ قَبْلي

في أبيات يخاطب بها معاوية بن أبي سفيان ، وكان صاحب الصَّوائِفِ له غير مرة ، وولاه أرمينية وأذربيجان ، وولاه الأهواز ، ثم غضب عليه وأغرمه .

وكنا أغفلنا في صدر الكلام تفسير جزيرة العرب وحدودها عند ذكرنا عَرْبَةَ خوفاً من تفرط نظام القول وتكدير مُهَنَّإ الفائدة ، ونحن نذكره ، ونبين اختلاف أهل العلم فيه ، ونبدأ بقول أبي جعفر محمد بن حبيب مولى بني هاشم [١] والذي بلغنا عنه أن جزيرة [٨٣] العرب خمسة أقسام ، وهي الحجاز وتهامة ونَجْدٌ والعروض واليمنُ ، قال : وذلك أن جبل السراة — وهو أعظم جبال العرب — أقْبَل من قَعْرِ اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام ، فَسمَّتِ العربُ سَرَاتَهُ

(١) من علماء الأدب واللغة المشهورين ، وله مؤلفات منها «المُنمَّق والمُحَبَّر» وغيرهما توفي سنة ٢٤٥ هـ في سامَرَّاء .

حِجازاً لأنه حَجَزَ بين الغور ونَجْد . وكذَلك تُسَمِّي العربُ كلَّ جبل حَجَزَ بين أرضين حجازاً ، قال حُرَيْثُ ابن عتاب بن مطر بن كعب بن عوف بن عنين بن غوث بن نابل بن نَبهان — واسمه أسود — بن عمرو بن الغوث بن طَيِء — وهو جُلْهُمَة — بن أُدَدٍ :

لنا نِسْوةٌ لم يُجْزِ فيهن مقسماً خَمِيْسٌ ولا بعد التساهم مَرْبَعُ

حَماهُنَّ منْ نَبْهانَ جمع عرمرم وصُمُّ العوالي والْحِجَازُ الْمُمَنَّعُ

[٨٤] يرى خارِجيّاً لا يزال إذا بَدَا تُشِير لهم عَيْنٌ إليه وإصْبَعُ

يعني بالحجاز ها هنا جَبَلَ طَيٍّءٍ ، والخارجيُّ عنى به أنه ظهر وبدا للعيون .

قال : وسمّت ما خلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشْعَرِيْن وعكٍّ وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عرق والجُحْفَة وما صاقبها وغارَ من أرضها : الغور غور تهامة ، تجمع تهامةُ ذلك كلَّه .

قال : وَسَمَّتْ ما دون الجبل في شرقيه من الصَّحَارى النُّجدِ إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها : نَجْداً ، ويسمى جَلْسا أيضاً . إلا في قول أبي عبدالله محمد بن الأعرابي مولى مجالد ، ومجالد مولى المنصور أبي جعفر فإنه ذكر أن المدينة هي [٨٥] جَلْسٌ دون ما سواها ، وذلك لارتفاعها عن الغور ، وانخفاضها عن نَجْدٍ ، ذهب أبو عبدالله إلى أنها سُمِّيَت بذلك جَلْساً لانخفاضها ، وقد يجوز أن تكون سميت جَلْساً لارتفاعها من قولهم : ناقة جَلْسٌ ، أي كوماء مشرفة قال مُرَّةُ بن مَحْكَان السَّعْدِيُّ :

فصادفَ السَّيْفُ منها سَاقَ متليةٍ جَلْسٍ فصادَفَ منها ساقُها عَطَبَا

وقال غيلان — وهو شاهد في الغريب — :

يَـدْعَن الجلس نَحْـلاً قتالُهـا[1]

أيْ يتركن الناقة الضخمة ناحلةً ضئيلة الجسم لشدة السير ، والقتال النفس . قال : وسَمَّوا

(١) أوله : ألم تعلمي يا ميُّ أني وبيننا مهاوٍ يَدَعْنَ .. وغيلان هو ذو الرِّمة الشاعر المشهور.

بلاد اليمامة والبحرين وما والاها — وفيها نجد وغور لقربها من البحار وانخفاض مواضع فيها [٨٦] ومسايل أودية بها — الْعَرُوْضَ ، وسموا ما خلف بلاد مَذْحِجٍ تَثْلِيْثَ وما دُونها وما قاربها إلى صنعاءَ وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشِّحْر وعُمَان وما يليها الى اليمن : اليمن اسما جامعاً لذلك كله . هذا قول أبي جعفر ، وعليه مُعَوَّلي في هذا المعنَى .

وكان الهيثمُ بنُ عَدِيٍّ يحكي عن مجالد عن عامر أنه قال : سألته عن جزيرة العرب فقال : ما بين القادِسيَّةِ إلى حَضْرَمُوتَ . وقال مَعْمَرُ بن الْمُثَنَّى[1] : جزيرة العرب ما بين حَفَر أبِي مُوْسَى الى أقصى اليمن في الطول ، وأما العرض فما بين رمل يَبْرِيْن الى مُنْقَطَع السَّماوة .

وقال الأصمعيُّ : جزيرة العرب من أقصى عَدَنِ أبْيَن[2] إلى ريف [٨٧] العراق في الطول ، وأما العرض فمن جُدَّة وما والاها من ساحل البحر إلى أطرار الشام ، والى هذا القول كان يذهب أبو عُبَيْدِ القاسمُ بن سَلاَّمٍ في تفسير حديث رسول الله ﷺ وعلى آله أنه أمر باخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب . قال أبو عبيد : وانما استجاز عمر بن الخطاب اخراج أهل نجران من اليمن وكانوا نصارى إلى سواد العراق ، وأجلى أهل خيبر إلى الشام وكانوا يهودا من أجل هذا الحديث .

وأما الزُّبير بن بَكَّار بن عبدالله بن مُصْعب بن ثابت بن عبدالله بن الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَيٍّ فكان يذكر عن مالك الفقيه وهو مالك بن أنس [٨٨] بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غَيْمَان بن خُثَيْل بن عَمْرو بن ذِيْ أصْبَح — واليه تنسب السياط الأصبحية — واسمه الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير — واسمه الْعَرَنْجَجُ بن سَبَأ — واسمه عبد شمس ، ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقد قيل في نسبه قول آخر ، وهذا أصح وأثبت من طريق الكلبي ، ولا بأس عند ذكر مالك بذكر نسب

---

(١) هو أبو عبيدة قال عنه الجاحظ : لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه ، توفي سنة ٢٠٩ هـ في البصرة ، وله مؤلفات كثيرة . وحفر أبي موسى هو حَفَرُ الباطن الذي أصبح الآن بلدة .

(٢) في الهامش : (عدن منسوب إلى أبين ، وهو أبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير) .

منازعيه الرئاسة من الشافعي وأبي حنيفة ، فأما الشافعي [٨٩] فهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع — واليه ينسب — ابن السائب بن عُبَيْدِ بن عَبْد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف .

وأما أبو حنيفة فهو النُّعمان بن ثابت مَوْلَى بني تَيْم الله بن ثعلبة بن عُكَابَة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل ، ذكر ذلك ابن أبي خيثمة وهو الذي يروى عنه أبو عبدالله محمد بن داود ابنّ الجراح — رحمه الله — وقد قيل انه ليس له عرق في العرب ، ولا ولاء أيضاً ، وأنه يَدَّعيْ ولاء بني تيم الله[١] ، وذكر أبو عبد الرحمن المعري[٢] قال : قال لي أبو حنيفة ممن أنت ؟ قلت : من أهل دَوْرَق . قال : ما يمنعك ان تَعْتَزِي إلى بعض أحياء العرب فهكذا كنت ، حتّى اعتزيت إلى هذا الحَيِّ من بكر بن وائل ، فوجدتهم [٩٠] حَيَّ صِدْق ، والله أعلم بالصحيح .

وما أعرف في الثلاثة من يُرْوى له شِعْرٌ إلا الشافعيَّ ، فإن أبا بكر محمد بن شعيب الصيرفي القاضي الحلبي — رحمه الله — أنشدني قال : أنشدني بن أبي الْعَقَبِ الدِّمَشْقيّ بإسنادٍ وَصَلَهُ الى الشافعي ، للشافعي :

يا راكِباً قِفْ بالْمُحَصَّب من مِنى — واهْتِفْ بقاعد خَيْفِها والنَّاهضِ
سَحراً إذا فاض الحجيجُ إلى منىً — دُفَعاً كملتطم الفرات الفائض
إن كانَ رفضاً حُبُّ آل محمد — فليشهد الثقلان أني رافضي

فقال[٣] الزبير عن مالك : إن جزيرة العرب المدينة ، واسمها طَيْبَةُ ، وقد تسمي بأسماء غير ذلك منها طيبة وطابة ، ويثرب والعذراء وجابرة ويَنْدد والدار ، قال الله عز وجل : (وَالَّذِينَ تَبَوَّأوا الدَّارَ والإيمان) ويحتجّ قائل هذا بقول عمر بن الخطاب [٩١] بن نُفَيل بن عبد العُزّى ابن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عديٍّ بن كعب بن لُؤيّ بن غالب ، وقد قال له كعب[١] : إنك تموت شهيداً . فقال : من أيْنَ وأنا في جزيرة العرب ؟!

---

(١) الإمام أبو حنيفة رحمه الله أجلّ من أن يدّعي ولاءً ليس له ، وجلالة قدره وعلو منزلته أرفع من أن يظن به هذا الظن .
(٢) قد تكون المعرى بالعين أو الفاء أو القاف أو الصاد فهي غير واضحة .
(٣) ما تقدم عن الأئمة الثلاثة استطراد ، وها هو كلام مالك الذي رواه الزبير .
(٤) كعب الأحْبار — ابن ماتع الحميري ، كان من كبار علماء اليهود فأسلم وتوفي سنة ٣٢ .

وإنّما نُحِلَتْ هذا الاسم من أجل أنه كان بها بنوعَبِيْلٍ بن عُوْص إخوة عاد بن عُوْصٍ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، ثم نزلها بعدهم بنو عِمْلِيْق بن يَلْمَع بن عابر بن اشْلِيْحَا بن لُوْذِ بن سام بن نوح عليه السلام ، ثم نزلها بعدهم قوم من عاد بن عُوْصٍ ، وكل هؤلاء من القبائل القديمة التي تُدْعَى العرب العارية ، وهي عاد وعَبِيْل أبناء عُوْصٍ ، وثمود وجَدِيْسُ ابنا غَاثار بْنِ إرَم ، وطَسْمٌ وعِمْلِيْقُ وجاسم وأمِيْمُ بنو يَلْمَعَ بن عابر.

وروى أبو أُسَامة : أَمِيْمَ — بفتح الهمزة — وغيره قال : أُمَيم — بِضَمِّها — وحَضْرَمُوتوالسُّلَف والْمُوْذُ ، بنو يقطان بن عابر ، وجدهم بن عامر بن سابن يقطان بن عابر في حِمْيَر[1] ، فهم فيهم ، قالوا : فأقام أولئك القوم من عادٍ بِيَثْرِبَ بُرْهة ، حتى جاءهم قوم من الأزد — واسم الأَزْد دِرَاءٌ بوزن فعال ، ويقال فيه : الأسْد بالسين ، وذكر يعقوب أنه أفصح من الزاي والنسابون يقولون : ان الأسد انما سمي الأسد لكثرة إسدائه المعروف ، وهذا اشتقاق[2] لا يصح عند أهل النظر ، والصحيح في اشتقاقه ما أخبرني به أبو أسامة[3] عن رجاله قال : الْعَسْدُ والأسْد [٩٣] والأزد هذه الثلاث كلمات معناها كلها الْفَتْل قال : والأزد يكون أيضاً بمعنى الْعَزْد ، وهو النكاح . فنفى الأزديون العادِيِّين عن يثرب وتَدَيَّروها ، وأقاموا بها ، وفي ذلك يقول شاعرٌ من الخزرج ثم أحد بني زُرَيق في قصيدة طويلة يصف قومه :

ملوكاً على الناس لم يُمْلَكوا	من الدَّهْر يوماً كَحل الْقَسَمْ
فَأُنْبُوا بِعَادٍ وأشياعِها	ثمودَ وبعض بقايا إرمْ
بيثربَ قد شيدوا في النخيل	حُصُوناً ودَجَّنَ فيها النَّعَم
وفيما اشتهوا من عصير القطاف	والعيشُ رِخْوٌ، على غَيْرِهَمْ
فساروا إليهم بأثقالهم	على كل فَحْلٍ هجانٍ قَطِمْ

(١) قبل هذا بياض في الأصل مقدار سطر ، وفوقه : (يكشف .. من نسخة أخرى) .

(٢) أبو أسامة جنادة الأزدي شيخ المؤلف تقدم ذكره في المقدمة .

(٣) هذا الكلام نقله في «تاج العروس» قائلاً : قال الوزير في كتاب «الالحاق بالاشتقاق» انه اشتقاق بعيد لا يصح عند أهل النظر — إلى (معناها كلها القبل) ؟! كذا .

فما راعهم غيرُ مَعْجِ الخيول والزَّحف من خلفهم قد دهم
[٩٤] فَـابْنَـا بسـادتهم والنسـاءِ رغـمـاً ، وأموالهم تُـقـتسـمْ
ورثنـا مسـاكِنَـهُـمْ بـعدهم فَـكُـنَّـا مـلوكـاً بها لم نَـرِمْ

وقد استقصيت ذكر هذه القبائل وأصل نُقَلِها ومناهي أمورها في موضعه من هذا الكتاب ، وبالله التوفيق .

وانما نعني بجزيرة العرب مَحلَّهم الأقدم ، ومَركز بيضتهم الأول ، لأنهم بعد ذلك تفسحوا وحازوا كثيراً من الأرض خارجاً من هذه الجزيرة ، ألا ترى إلى قول الأخنس بن شهاب — وسيأتي نسبه وخبره مستقصى في كتاب تغلب إن شاء الله :

لـكـل أُناس مِنْ مَعَدٍ عِمارةٍ[1] عـروضٌ إليها يَلْجَـأُونَ وجَانِبُ
لُكَيْزٌ لها الُبحْران والسِّيْفُ كله وإن يَأْتها بَأْسٌ من الهند كاربُ
تطايَرُ على اعجاز حُوْشٍ كأنها جَـهَـامٌ أراقَ ماءه فـهـو آيِبُ

— أبو عمرو الشيباني : يطيروا —

[٩٥] لُكَيْز : بن أَفْصى بن عبدِ القيس بن أفْصى بن دُعْميٍّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار .

وبَكْرٌ لها ظهر العراق وإن تَشَا يَحُلْ دُوْنَها من اليمامة جانبُ

يعني بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب[2] بن أَفْصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار ، ومن قبائل بكر : يَشْكُرُ ، زِمَّانُ وشَيْبَانُ وعِجْلٌ ولُجَيْمٌ وبنوقيس بن ثعلبة وغيرهم .

---

(١) كذا (عمارة) وفوق الهاء (صح) اشارة إلى صحة كسرها لأنها بدل من أناس . اللسان (عرض) ١٧٣/٧ . والقصيدة كاملة في «المفضَّليات»

(٢) في الهامش : (هنب مشتق من قولهم : امرأة هنباء أي ورهاء . قال الراجز : مجنونة هنباء بنت مجنون) .

وصارت تميمٌ بين قُفٍّ ورملةٍ لها من حبالٍ[1] مُنْتَأى ومَذَاهِبُ
وكَلْبٌ لها خَبْتٌ فرَملةُ عالجٍ إلى الْحَرَّةِ الرجْلاءِ حيث تحارب

في الكلام على نسب كَلْبٍ طولٌ ، ونحن نذكره في موضعه ان شاء الله .

وغَسَّانُ حَيٌّ عِزُّهُم في سواهُم يُجَالِدُ عنهم مقنب وكتائب

— يعني أنهم عُمَّالُ الرُّوم — قد شرحنا نسب غسان في غير هذا الموضع من كتاب كِنْدَةَ ، وبالله التوفيق .

[٩٦] وبَهْرَاءُ حَيٌّ قد عَلِمنا مكانَهُم لهم شَرَكٌ حَوْل الرَّصافَة لاحِبُ[2]

بَهْراءُ بن عَمرو بن الحاف بن قضاعة ، رهط المقداد بن عمرو .

وَغَارَتْ إيادٌ في السَّواد ودُوْنَها بَرَازِيْق[2] عُجْمٌ تبتغي من تُضَارِب

يعني إياد بن نزار بن معد ، وكان يقال لهم الطَّبَقُ لشدّة إطباقهم بالشَّرّ والْعُرام على الناس ، ومنهم قيل : وافقَ شَنٌّ طَبَقةً ، يعنون شَنَّ بن أفصى بن عبد القيس كذا قال الكلبي :

وَلَخْمٌ مُلُوكُ الناس تُجْبَى إلَيْهم إذا قال منهم قائلٌ فَهْوَ وَاجِبُ

لخم بن عَدِي بن الحارث بن مُرَّة بن أدَدٍ ، وكان اسم لخم مالك ، ومن لخم بنو نصر قوم النعمان بن المنذر ملك الْحِيْرة ، وسنستقصى هذا في موضعه إن شاء الله .

ونَحْنُ أُنَاسٌ لا حِجَازَ بأرْضِنا مَعَ الْغَيْثِ ما نُلْفَى وَمَنْ هُوَ غالبُ

يعني انَّا مُصْحِرون لا نخاف أحَداً ، نكون مع الغيث حيث أغنّ [٩٧] ومع الغلب حيث عَنَّ ، ومثل نحو من هذا القول قول ذُبَاب بن مُعاوية الْعُكَلِيُّ :

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لا حِجازَ بِأرضِنَا نَلُوْذُ به إلاَّ السُّيُوفُ الْبَوَاتِرُ

---

(١) فوق حاء (حبال) : (صح) ، وفي الهامش : (حبال : يعني حبال الرمل . تميم بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر) .
(٢) في اهاشش : (قال القاسم بن .. الرصافة ناحية حمص ، وكانت لهشام ولذلك كان يقال لها رصافة هشام) .
(٣) في الهامش : (جماعات) .

وقال سُوَيْد بن كُراعٍ العُكْليُّ وقال اللغويون : إنّ كُراع اسْمُ أُمِّهِ ، وان اسم أبيه عمرو أو عمير ، الشك مني :

وَنحْنُ أُنَاسٌ لا حِجَازَ بأرضنا ... نلوذُ به إلا السُّيُوف الْقَواطِعُ
ولم يُبْقِ منَّا الْقَتْلُ إلا عِصَابةً ... تُطاعِن عن أحسابنا وتُقَارِعُ
وأبْيَضُ لا يُشْرَى بِشَيءٍ أفاتَهُ ... اسنّتنا والنَّقْعُ أَغْبَرُ ساطِعُ
تركنا عليه قِصْدَتيْ سَمْهَرِيَّةٍ ... وجُرْيَانَ سَيْفٍ سَلَّه إذْ تُماصِعُ

وفي هذا البيت الرابع غرض حسن ، ومعنى بديع ، ويشبهه قول ناجية بن الأسود الْجَرْمِيِّ ، وكان بعض السلاطين [٩٨] جلده ، فأخذ سيفه من عنقه وضربه به :

ولما علاني بالْقَطِيْع عَلَوْته ... وبالْكفّ صافٍ كالعقيقة قاطعُ
فطارَ بكفّي نَصْلُهُ ورياسهُ ... وفي جِيْد سَعْدٍ غِمْدُهُ والرَّصَائِعُ

وفي نحو من هذا يقول ابن زَيَّانةً التيمي — زَيَّابة بوزن فعَالة مشددة كذا قرأنا على جماعة من الأشياخ ، وروى محمد بن داود بن الجراح عن رجاله : ابن زيَابةً بوزن فَعَالَة تخفيفاً — والزيابة الفأرة — وفي المثل : أَسْرَقُ من زَيَابَة ، يعنون به الفأرة ، ولا أحسب أبا عبدالله محمد بن داود الا وقد أوهم في هذه اللفظة ، لأن الرجل يقول في شعره :

أنا ابْنُ زيَّابةَ إنْ تَدْعُني ... آتِكَ والظَّنُّ على الكاذب

قال محمد بن داود(١) : واسمه عمرو بن الحارث بن همام أحد بني تيم الله [٩٩] ابن ثعلبة ، والبيت الذي أردنا انشاده لمشابهته ما تقدم قوله :

والله لَوْ لاقَيْتُهُ خالداً ... لآب سَيْفَانا مَعَ الغالب

والثالث : — من وجوه اشتقاق الْعَرَب — أنه مأخوذ من العرب وهي النفوس ، واحدتها عَرَبةٌ ، مثل قَصَبةٍ وَقَصَبٍ وأنشدني أبو أسامة لابن ميَّادة الرَّمَّاح بن أبْرَد الْمُري(٢) :

---

(١) هو ابن الجرَّاح ، وهذا القول في كتابه «من اسمه عمرو من الشعراء»

(٢) من ذبيان ثم من غطفان — مترجم في «الأغاني» : ٨٥/٢ و١١٦ توفي سنة ١٤٩ هـ .

لما اتيتُكَ أرْجُو فَضْلَ نائِلِكُمْ   نَفَحْتَني نَفْحَةً طابَتْ لهَا الْعَرَبُ

وقال : العرب ها هنا النفوس .

ويكون وجه هذا الاشتقاق على معنيين : أحدهما : أنهم من الخلق بمنزلة النفس من الجسم ، وثانيهما : أنهم أعز الخليقة نفوساً ، والمعرفة بما انفردوا به من صلابة الأكباد وقوة الأرواح وعزة النفوس [١٠٠] أشهر من أن نَطلب عليه شاهداً ، ومنه قول شاعرهم :

لا شَيءَ أحْسَنُ منها إذْ تُودِّعُنَا   وجَيْبُها بِرَشَاشِ الدَّمْعِ مُغْتَسِلُ
يُبْكي علينا ولا نَبْكي على أحَدِ   لَنَحنُ أغلظُ أكْباداً من الإبلِ

وقائل هذا الشعر قُدَيْرِ بن مَنِيْعٍ ، أوْ[١] أبوه منيع بن معاوية بن فروة ابن الأحمس بن عَبْدَة[٢] بن خليفة بن جَرْوَل بن مِنْقرٍ ، وفي خلاف هذا الشعر انشدني لهدبة بن خشرم بن كرز بن أبي حية بن الأسْحم بن عامر بن ثعلبة بن قرة بن خنْبس[٣] بن عَمْرِو بن ثعلبة بن عبدالله بن ذُبْيان بن الحارث بن سعد بن زيد بن ليث بن سُوْد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة :

بـاتُوا وأتـبعتهم عَيْناً مُمَلأةً   دَمْعاً وما ذاك إلا الشوق والطربُ
نـبكي عليهم ولا يبكون فرقتنا   إنـا وجِيْرانَنَا من جِيْرةٍ عَجَبُ

[١٠١] وليس بالمطّرح في إباء النفس قول إبراهيم بن اسماعيل بن يسار بن فيروز ابن باذام ، مولى بني تَيْم بن مرة :

ونَفْسِيَ النَّفْسَ تَأْبَى أنْ أُواتِيَها   على الصَّغَار وتأْبى أنْ تُوَاتِيْني
من نَفْسِ إبْلِيْس شُقَّتْ في حَمِيَّتها   لاَ نَفْسِ آدَمَ في عَطْفٍ وفي لِيْنِ .

وكان أبوه اسماعيلُ شاعراً في زمن عبد عبد الملك وولده . ولِمُصَنِّف الكتاب شعر في الإبا قد أطاع هواه فأورده وهو :

(١) فوق (أو) كلمة (صح) .
(٢) فوقها (صح) أي باسكان الباء .
(٣) في الهامش : (كذا روى ، وقال غيره عن خنيس) .

قَـارَعَـتِ الأَيَّـام مِـنِّـي امْـرَأً قَـد أَعْـلَـقَ الْـمَـجْـدَ بِـامْـرَاسِـهِ
تُسْـتَـنْـزَلُ الـنَّـجْـدَةُ مـنْ رأيـه وَيُسْـتَـدَرُّ الـعِـزُّ مـن بَـاسِـهِ
أَرْوَعَ لاَ يَـنْـحَـطُّ عـن تِيْهِهِ[1] والسَّـيْـفُ مَسْـلُـولٌ على رَاسِـهِ

ولعلي بن محمد بن يوسف جد أبي شِعْرٌ يقول فيه :

[١٠٢] وإني على الإقْتَارِ احْمِلُ هِمَّةً لها مَسْلَكٌ بَيْنَ الْمَجَرَّةِ والنَّسْرِ
أُوَمِّـلُ نـفسْي لا أُوَمِّـل غَـيْرَهَا من الناس أو يأتي الْغِنَا وهْوَ ذو صُغْرِ

وقد أنشدوني لشاعر من قريش ، قريش الأندلس شِعْراً يقول فيه[2] :

ولـو صَـدَّتْ نجومُ الـلـيـل عَنِّي كَصَـدِّك ما نَـظَرْتُ إلى السَّماءِ
وكَـيْـفَ تَـظُـنُّ نَـخْـوَةَ عَـبْـشَـمِـيٍّ تَـكَـوَّنَ فـيـه قَـلْـبُ مُـزَيـقـيـاءِ

ولِمَا قَدَّمناه من التفسير سَمَّوا يوم الجمعة الْعَرُوْبَة لاستكمال خلق النفوس وغيرها من المخلوقات فيه على ما يذكره رواة مبتدإِ العالم . ومن ذلك أيضاً قيل له : الجمعة ، لأن فيه اجتماع المخلوقات . ومما يدل على شرف هذا اليوم واستحقاقه لهذا الاسم ان الأيام تسمي بأسماء مشتقة لها من العدَدِ في أكثر اللغات غيره ، فانه خصّ باسم يدل عليه [١٠٣] وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لَمَّا قيل له : إن السبت لليهود والأحد للنصارى : «نحن الآخِرُونَ السابقون» يعني الآخرون زمانا والسابقون يوما ، ويروى أنّ رياح بن الربيع التميمي أخا حنظلة الذي يُدْعَى بحنظلة الكاتب ، وهو حنظلة ابن الربيع (بن صيفي) بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن جهور بن غُوىّ بن جُروَة بن أسَيِّد بن عَمْرو بن تميم — قال لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله : للنصارى يوم ولليهود يوم ، فلو كان لنا يا رسول الله يوم ! ! فنزلت سورة الجمعة . ويقال : عَرُوبة بلا ألف ولام ، وأنشد أهل اللغة :

يوماً كيوم عروبة المتطاول .

---

(١) في الهامش : (كبره)

(٢) قريس — السين مهملة وفوقها (صحّ) وأرى المقصود صحة تكرار الكلمة ويدل على صحة قريش انتساب الشاعر إلى عبد شمس .

ويرون ان تعريفه بنفسه أفصح من تعريفه بالألف واللام على أنه قد جاء في الشعر الفصيح ، قال الأعشي الكبير :

فَباتَ عَذُوباً للسَّماء كأنما يُوَائِمُ رَهْطاً للعروبة صُيَّمَا

[١٠٤] يوائم : يشابه . وفي المثل : لولا الوئام هلك الأنام — يعني لولا تشبههم بالكرام . وقد يقال فيها : العَرُوب — بلا هاء — قال عَبَايَةُ بن شِكْسٍ العَنَزِيُّ ثم الْهِزَّانيُّ :

انَا الْعَنَزِيُّ بْن الأسْود الَّذي بهم أُسَامي إذا سَامَيْت أو أَتَبَجَّحُ
هُم أسروا يوم الْعَرُوْبِ ابْنَ ظَالِم[١] وارْدَوْا مُرَيثاً فهو لِلشَّقِّ مُجْنَحُ

ويروى : الغروب ، والأول أثبت .

واذْ قد فسرنا عَرُوْبَةَ فالوجه اتباعُهُ بتفسير بقية الأسماء العربية للحاجة إلى ذلك . فأولها : الأحد ، واسمه عندهم أَوَّلُ ، لأنه أول الأيام ، ولذلك أيضاً سُمِّي الأحد ، لأن منه ابتداء العدد ، وأصله وَحَدٌ ، وأُبْدِلَ من الواو أَلِفاً استثقالاً للابتداء بالواو ، وقال نابغة ذُبْيَان :

كأنّ رَحْلي وقَدْ زَالَ النَّهارُ بِنَا بِذِي الْجَلِيْل عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ

[١٠٥] ويجمع على آحاد وأوْحاد ، ومثله أَنَاةُ وَوَناةُ للجارية الجميلة الخريدة فأما الأناة الاسم من التأنّي فلا يكون إلا بالألف لأن أصلها من تَـأَنَّيْتُ ، وتَأَنَّيْتُ تَفعَّلْتُ بمعنى تَنَظَّرْتُ الشَّيء إذا آن ، أي حان ودَنَا وقته ، ومنه قول يحيي بن يَعْمُر الْوَشقي — من وشْقَة بوزن فَعْلَة — بن عوف بن بكر بن يشكر بن عَدْوَان بن عمرو بن قيس بن عيلان : أيُّ مالٍ أَدَّيْتَ زكاته فقد ذهبت أَبَلَتُهُ ، قال أبو عبيد : أصله وَبَلَتُهُ — أي شَرُّه ومضرَّته — مأخوذ من الْوَبِيل ، وهو الضارّ .

ويسمى يوم الاثنين أَهْوَنَ ، لأنه مكروه عندهم ، ولكنه أهون طيرة ، وأيسر كراهية من يوم الاربعاء ، ويسمى أَوْهَدَ أيضاً مشتقاً من الْوَهْدة وهي الانحطاط ، لانخفاض العدد من الأول إلى الثاني .

---

(١) فوقها : (الحارث بن ظالم) .

[١٠٦] ويسمى الثَّلاَثاء جُباراً لأنه هَدَرٌ لا يكره ولا يُستحب ، وكذلك كل ما لَمْ يُعْتَدّ به قيل له جُبَار ، ومن ها هنا قيل : ذهب دمه جُبَاراً أي هدراً . قال الأفوهُ — واسمه صَلاَءةُ بن عمرو ابن عوف بن مُنَبّه بن أوْدِ بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أُدَدٍ ، قال ابن الكلبي : أوْدُ ابن معدٍّ بن عدنان وانما انتقلوا فقالوا : أوْد بن صعب — :

حكم الدَّهْرُ علينا أنَّهُ ظَلَفٌ ما نال منَّا وجُبَارُ

جُبَار : يعني هَدَراً ومنه : جُرْح العجماء جُبَار ، وأصله من جبرت الْعَظْمَ وكأنَّ هذه الأشياء السهلة الهينة يُلْغى ذِكْرها جَبْراً للسلم ، واعتماداً لشمل الصلح ، ويقال : جبرتُ العظم ، فَجَبَرَ هو ، قال العجَّاج :

قد جبر الدين الاله فجبر

[١٠٧] ومنه الجباير الاسورة ، شبهوها بجبائر العظم الكسير ، وواحدها جَبَارةٌ ، قال الأعْشى :

وأرتْك كفّاً في الخضا بِ ومعصماً مِلْءَ الْجَبَارَهْ

وجمعها جَبَائِر وأنشد الخليلُ في كتاب «العين» وهو مليح :

وتناولتْ كَفَّها فَاتَّقَتْ بِالْجَبَائِرِ
ثم قالتْ واستَضْحَكَت : هكذا غَيْرَ صاغرِ

وأما الظَّلَفُ فهو الهدر أيضاً قال اللغويون : الظَّلْفُ[١] شِبْهُ الأخذ للشيء ومنه الظَّلَفُ وقد جاء الظَّلِيْف بوزن فَعيل بمعنى الظَّلف ، قال رجلٌ من بني ربيعة بن ذُهْلِ بن شيبان ، يصف رجلاً منهم عقر فرسه لضيفه :

هَو الْعاقِرُ الْحَوَّاءَ ليلة لم يُصِبْ لأضيافه إلا الشَّريعة في اللَّبْدِ
فقال : كلوها في ظَلِيْفٍ فإنني سَأورِثُها من وارثٍ باخِلٍ بَعْدي

(١) فوقها «صح» أي أن اللام هنا ساكنة .

[١٠٨] ويسمى الأَرْبُعَاء دُبَارا لشدة ثقله عليهم ، وتقرير الطيرة منه في نفوسهم ، يرون أن المزوج فيه لا يلقى خيراً والمبضع لا يصادف رِبْحاً ، والمسافر لا يُصِيْب نجحاً ، مأخوذ من الدَّبرة . وهي الهزيمة يقال : كانتِ الدَّبَرَةُ على بني فلان يَعْنون الهزيمة . ومنه : الرأي الدَّبِرِيُّ[١] .

ويسمى الخميس مُؤْنِسَا ، لخفته على قلوبهم ، وطلاقته عندهم . ورشاد من يفعل فيه فعلا ويُمْن من طلب فيه أمرا ، وهوكذلك في الإسلام ، قدكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يتبرك به ويُحِبُّ السفر فيه[٢] . وقال شاعر قديم :

فلو أنه أغنى لكنت لِخَنْدِفٍ عَلَى اليأْسِ حتَّى مَلَّهَا الْعُمْرُ تَنْدُبُ
إذا مُؤْنِسٌ لاحَتْ خراطيمُ شَمْسِهِ بكتْ غدوة حتى ترى الشُّمْسَ تَغْرُبُ

يعني لَيْلَى بنتَ حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة المسماة [١٠٩] بخندف أم ولد الياس بن مضر ، وكان مات يوم الخميس فكانت تبكي كُلَّ خميس من غُدْوته إلى الليل ، وسنورد الخبر والشعر ، بالشرح من هذا القول في موضعه إن شاء الله .

ويسمى الجمعة عُرُوْبَةً — وقد مر تفسيره .

ويسمى السبت شِيَاراً مشتقاً من الشارة وهي الحسن والجمال لبركته عندهم ، ألا تَرى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : «بُورِكَ لأُمَّتي في بكورها ، يوم سبتها وخميسها» أو كما قال . وقد روى بعض أهل النقل : «اللهم بارك لأمتي في بكورها» فقط دون الاقتصار على السبت والخميس .

أخبرني أبو مسلم قال انبأنا[٣] أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن بكر المعروف بابن حمدون البالسي حدثنا ببالس سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة قال حدثني عَمَّايَ إبراهيم وجعفر ابنا محمد بن بكر قال (؟) انبانا إبراهيم بن مهدي عن علي [١١٠] بن مُسْهِرٍ عن عبد الرحمن

---

(١) كل ما ذكر من وصف الأيام باليمن أو الشؤم من قبيل الخرافة فالأيام كلها سواء ، والله يفعل فيها ما يشاء .

(٢) التبرك وهو طلب البركة من غير الله غير جائز وحاشا أن يفعله الرسول «ص» .

(٣) في الأصل «نا» و«ثنا» على طريقة المتقدمين .

بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي عليه السلام أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : « اللهم بارك لأمتي في بكورها » وهذا أشبه بما يروى عنه صلى الله عليه وعلى آله من التسوية بين الأيام والأعلام بما في جميعها من البركة والاحسان .

ومن هذا المعنى يقال هو أشْوَرُ منه أي أحسن منه ، قال كَبِدُ الْحَصَاةِ الْعِجْلِيُّ — واسمه عمرو بن قيس — :

صَبَرتُ وبعضُ الجهل ما يُتَذَكَّرُ   وصبرك عن ليلى أعَفُّ وأَشْوَرُ
وعَـدَّاك عنهـا نَـأْيُـهـا ومَشِبَّـةٌ   من الحرب لا يصلى بها الْمُتَعَذِّرُ

أعفّ وأشور : أراد أحسن وأجمل ، كذا حكى لنا في اشتقاق شيار عن العرب انفسها ، وفي هذا الاشتقاق بعض النظر ، لأنه لو كان من الشارة لكان شُوارٌ مِثْلَ شُوَارِ الْبَيْتِ[1] وأصل الشارة [١١١] شَوْرة ، وزن فَعْلة ، وانقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، على أصل القوم ، ولذلك جاء : أعفّ وأشْور بالواو منه ، وأنشد ثعلب :

أفَـزَّ عنهـا كلَّ مُسْتَشِيرِ

أي كل طالب للشَّارة والجمال ، ومنه الشَّوْران الزعفران لجمال لونه واشراق منظره . ومنه يقال : شار الدابة يَشُوْرها شوراً إذا عرضها وأظهر محاسنها ، ويقال للمكان الذي يكون فيه ذلك المِشْوَار ، والى هذا تذهب العامة في قولها لفلان نِشْوار — بالنون — والنِّشوار ليس من هذا في شيء ، وهو ما يلقيه الدابة من فضلات علفه على نواحي آرِيّه ، وما أدري كيف يجيء شيار من هذا وأصله الواو ، على أن أبا بكر ابْنَ دُريد قد قال : إن الشَّيْر بالياء على وزن فَعْلٍ فخفف ، من قولهم : [١١٢] شَيِّر وصَبِّر إذا كان حسن الصورة والشارة مثل قولهم : مَيِّت ، وقيل هو في تخفيف قَيِّل ومَيِّت ، فيجوز أن يكون شِيَارٌ جمعه ، لأن فِعَالا في جمع فَعْلٍ بابٌ مُطَّرِدٌ ، مثل عِذَاب وعَذْب وحِبَال وحَبْل ، ومن ذلك قولهم : جاءتِ الإبل شِيَاراً ، وجاءت الخيل شِيَاراً ، اذا جاءت سمانا[2] حسانا . وقال عَمْرو بن معدي كرب بن عبدالله بن عُصْمٍ

(١) شوار البيت : متاعه .

(٢) كلمة (سمانا) ليست واضحة في الأصل .

بن عمرو بن مُنَبِّه — وهو زُبَيْد الأصغر — بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبّه بن سَعد العشيرة :

أعَبَّاسُ لو كانتْ شِياراً جِيَادُنا بِتَثْلِيْثَ ما نَاصَيْتَ بَعْدِي الْأَحَامِسَا

فيكونون سموا اليوم باسم جَمْع ، وهو سائغ ، حسن ، وكان أبو الْحُرِّ عُبَيدالله بن حَفْص التَّغلبيُّ يقول : إن الشَّيار من الأضداد [١١٣] يكون خيار الشيء وحَسَنَهُ ، ويكون رَدْيئَهُ وعَفَنَهُ ، وروى أن رجلاً من العرب ذَمَّ رجلاً فقال : والله ما أطعمني إلا خُبْزَ شِيَار ، يعني خُبْزاً عَطِناً ، وان كان هذا ثبتاً فيجوز أن يكون السَّبْت سُميَّ شياراً لأنه آخر الايام في الخَلْق ، ولأن الْعَطن إنما يكون من تأخر مدة الشيء وطول عهده ، وأهل اللغة ينشدون هذين البيتين :

أُؤَمِّلُ أنْ أعِيش وإنَّ[1] يومي بَـأَوَّل أو بـأهْوَنَ أو جـبَـارِ
أو الـتـالي دُبَـار فـإن أُفُـتْـهُ فَمُؤْنِسُ أو عَرُوْبَة أو شِيَارُ

وقال بعض أهل العلم : إنهما مصنوعان ، ودليل ذلك تكلفهما ومنع ما يستحق الصرف من أسمائهما .

والسبت نفسه معناه القطع ، لأن الأعمال انقطعت ، والخليقة تمت يوم [١١٤] الجمعة ، فكان يوم السبت منفصلاً منقطعاً ، أو لأنه قِطْعَةٌ من الدهر .

وفي السبت وجوه عدة يطول بايرادها القول .

وولولا خوف شتات الغرض لذهبنا شوطاً في تفسير الشهور والسنة والعام والحول والعصر ، والشتاء والصيف والربيع والخريف ، والليل والنهار ، والساعة والْإِنَى ، وغير ذلك من تفصيل الزمان . ولعل أكثره أن يرد مُبَدَّداً في أثناء التصنيف ، وبالله التوفيق .

والقول الرابع : أنه مشتق من الْعَرَب وهو حُسْن العِشْرة وجمال الخليقة . ومن ذلك الْعَرُوب للمرأة الحسنة الخلق ، المحببة لزوجها ، المتحببة اليه ، المتجردة في التبعّل له . قال الله عز وجل : (أبكارا عُرُباً أَتْراباً) وهي جمع عَرُوب . وقال الأعْمَشُ : [١١٥] — سليمان بن

---

(١) فوق كلمة (إنّ) كلمة (صح) أي كسر همزة إنّ .

مهرانَ الأسديّ[1] — : كنت أسمعهم يقولون : عُرْباً بالتخفيف مثل الرُّسْل والكُتْب . ولغة بكر وتميم التخفيف في مثل هذه الأشياء ، والوجه التثقيل ، وعليه جاءت القراءات . وقال الشاعر في الْعَرُوْب أنشده محمد بن زياد :

وعَــروبٌ غَــيْــرُ فــاحِشَــةٍ   قــد مــلــكــنــا وُدَّهَــا حُــقُــبَــا
ثم آلَتْ لا تُــكَــلِّــمُــنَــا   كــلُّ حَيٍّ مُــعَــقَّبٌ عُــقَــبَــا

وقال أوس بن حجر :

وقَد لَهَوْتُ بمثلِ الرِّيْم آنسةٍ   تُصْبِي الْحليمَ عَرُوْبٌ غَيْرُ مِكْلَاح

ويقال أيضاً في معنى عَرْوب : عَرِبَةٌ بوزن فَعلةٍ مكسورة العين ، ذكره أبو عبيد ، وكون وزنها فَعِلَة يصحح أن المصدر الْعَرَبُ محركا ، ويكون وجه هذا الاشتقاق أنهم لكرم [١١٦] أخلاقهم ، واتساع جودهم وبشرهم لِعَارفيهم سموا بذلك . وقد سموا عَرَابة[2] ، وهو عَرَابَةُ بن أوس الأوسي ، وسَنَسْتَقْصي ذكره عند ذكر الشَمَّاخ من كتاب « ذُبْيَان » ان شاء الله . وقد كَنَّوا بأبي عَرُوبَة ، وفي عنزة رجل يقال له أبو عَرُوبة عامر بن شاس من بني جلَّان وكان شاعراً فاتكاً . وأغار الْحُطَمُ — واسمه شُريح بن ضُبيعة بن شُرَحبيل بن عمرو بن مَرْثَدِ بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة — على بَهْرَاءَ ، فأصاب منهم رجلاً شريفاً فأسره ، وكان معه ناس من عنزة ، منهم أبو عَرُوْبة ، فَقُتِلَ أخٌ لأبي عَروبة ، فقالوا لأخيه : ما تدع هذا الأسير ؟ ! الا تَقْتُلُه بأخيك ؟ فشدّ عليه أبو عروبة فقتله ، فأخذه الْحُطَمُ فأوثقه في الْقَدِّ [١١٧] فكان الأسير ، فقال في ذلك أبو عروبة .

غــادرتُ ثَــأْرِي مُضَرَّجاً بدَمٍ   ولم تَــغُــلْنِي مَــقَــالَــةُ الــحُطَمِ

وقال في أبيات يهجو بها الحطم :

يبيت يُثَنِّيْ أَيْرَهُ فوق فَخْذِهِ   إذا قُلْت أسرى أصبح الْمَرْءُ باركاً

---

(١) في الهامش بخط كاتب الأصل ، (الأعمش يكنى أبا محمد وهو مولى لبني كاهل من بني أسد) .
(٢) فوق العين (صح) اشارة إلى صحة فتحها .

واستغاث أبو عروبة وهو في قِدّه بِعُبادة بن مَرْثَدِ بن عَمْرِو بن مَرْثَدِ بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعمل اليه أبياتاً منها :

يا مَنْ لِهَمٍّ يَبِيْتُ الليل يَكْلَؤُنِي كـأنَّـه مُوْفِقٌ بالـنَّبْل يَـرْمِيْنِي
مَـنْ ذا أعـوذُ به منْهُ فَيمْنَعني ولنْ أعوذَ بِذِي رِجْلَيْنِ مَمْحُونِ

يعني نفسه — وممحون مَحْبُوسٌ — فلم يَصْنع شيئاً فأتاه أبجر بن جابر العجلي فاشتراه بِمِئَةٍ من الإبل واعتقه فقال :

قُولا لأَبْجَر ، والمعروف نافلةٌ عندي وعند بني عَمّي وأعمامي
[١١٨] رَأَبْتَ مَا لم يَكُنْ حَيٌّ لِيَرْأَبَهُ إلاَّ الـهُـمَام على بُؤْسي وإنْعَامِ
فالله يَجزيك عَمَّا لم تُجازَ به وعـنْ شَوَابِكِ أَصْـهارٍ وأرحـامِ

وقال أبو عَرُوبَة أيضاً :

رَضِيْنَا بعِجْلٍ في اللِّقَاءِ فوارساً إذا أزماتُ الموت حُبَّتْ حَيَاتُهَا
يُسَوِّدُ عِجلاً صَبْرُها بِرماحِها ويَحْـمَـدُها مَضرُوْرُها وعُنَـاتُـها

وقد كان بِحَرَّانَ بِأَخَرَةٍ رَجُلٌ محدِّثٌ من بقية أهل الأسناد يقال له أبو عَرُوْبة الْحَرَّاني ، واسمه الحسين بن محمد بن مودود ، وكان أبو الفضل الوزير — رحمه الله — يذكر لنا أن أباه سمع منه شيئاً كثيراً ، وكان أبو الفضل نفسه — رحمه الله — يروى عنه شيئاً كثيراً بالمكاتبة والاجازة ، وقد كان سعيد بن أبي عَرُوبة أحد المصنفين الثقات[1] ، وسعيد يكنى أبا النضر ، واسم أبى عروبة مِهْران مولى بني يَشْكُر . وكان سعيد يروى عن قتادة بن دِعَامة السَّدُوْسي [١١٩] وحدثني الحسن ابن عبد الصمد بن الحسين بن يوسف عن أبيه عن أحمد بن إبراهيم الأشناني عن أحمد بن عبيد النحوي عن الواقدي عن قيس بن الربيع الأسدي عن السُّدِيّ عن أبي مالك قال : لم يؤمن مع لُوْطِ أحد من الناس إلا بنْتَان له يقال لأكبرهما رَيَّةَ والصُّغْرَى عَرُوْبَة .

والقول الخامس : انه مشتق من العَرَبِ وهو فساد الْمَعدة يقال : عَرِبَتْ مَعِدَتُه نَعْرَبُ

(١) من حفَّاظ الحديث ، إمام أهل البصرة في زمانه — على ما قال الذهبي في « ميزان الاعتدال » — توفي سنة ١٥٦ بالبصرة في عشر الثمانين بعد أن اختلط في آخر عمره .

عرباً ، مثل ذَرِبَتْ تَذْرَبُ ذَرَباً ، ذكره ابن دريد والجماعة وأنشدوا :

لا يشتكي مِعْـدَتَهُ مـن العَـرَبْ

ويكون وجه هذا الاشتقاق أنهم لحدَّة شوكتهم وخُشونة مَلْمَسِهم وصرامة بأسهم أشْجَوا جميع الأمم المخالفة لهم ، وكانوا فيهم بمنزلة هذا الدَّاء من المعدة في مبالغته أذاها وإضراره بها .

[١٢٠] والقول السادس : أنه مشتق من الْعَرَبِ وهو الفجور والفساد ، قَاله ابن الأعرابي[١] أبو عبدالله ، وأنشد شاهداً عليه :

فَما خَلَفٌ من أُمِّ عِمْران سَلْفَعٌ　　من السُّوْدِ وَرْهَاءُ الْعِنَانِ عَرُوْبُ

قال : أراد فاجرة فاسدة ، فأما كون مصدره على فَعَلٍ فليس مما يوجبه القياس إلا أن أبا عُمَرَ الزَّاهِدَ ذكره مُسْنَداً عن ابن الأعرابي ، والشعر للأقرع بن معاذ بن سنان بن حَزْن بن عامر ابن سَلَمة الخير بن قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن النّاس ، واسم الأقرع الأَشْيَمُ وقيل : الأَشَمُّ وإنما سمي الأقرع بقوله ، وأول القصيدة التي البيت الشاهد منها :

[١٢١] ألا حبّذا رِيْحُ الْغَضَاحِينْ زَعْزَعَتْ　　بِـقضـبـانـه بـعـدَ الطِّلالِ جَنُوبُ

وقد قال أبو الحسن علي بن حازم النَّحْوي اللِّحْيانيُّ : هي العاشق الغلمة .

وقال يحيى بن زياد بن عبدالله الْفَرَّاءُ[٢] : هي الْغَنِجَةُ ، فأَطافَا بالمعنى الذي صرح به أبو عبدالله وهو الفجور ، ومن ذلك سمي النكاح الإعراب . وقال ابن عباس في قوله : (فَلا رَفَثَ ولاَ فُسُوقَ) قال الرفث الذي ذكر ها هنا التَّعْرِيضُ بذكر النكاح ، قال ابن عباس : وهو الْعَرَابَةُ في كلام العرب . يقال عَرَّبْتُ وأعْرَبتُ إذا أفحشت . قال رُؤْبَةُ بْنُ عبدالله العجّاجُ :

والعُرْبُ في عفـافةٍ وإعْـرَابْ

---

(١) هو محمد بن زياد — وتقدم النقل عنه — من مشاهير علماء اللغة والأدب ، وله مؤلفات كثيرة ، توفي في سامرّاء سنة ٢٣١ عن ٨١ سنة .

(٢) من أجلة العلماء توفي سنة ٢٠٧ عن ٦٣ سنة .

أراد بالْعُرُب المتحبّبات إلى الأزواج ، والإعراب من الفحش ، فمعناه أنه يقول : يجمعن العفافةَ عند الغرباء ، والإفحاشَ عند الأزواج كما قال الفرزدق :

[١٢٢] يَأْنَسْنَ عندَ بعولهن إذا خَلَوا وإذا هُـمُ خـرجوا فَـهُـنَّ خِـفَارُ

ومنه قول أبي محمد عطاء بن أبي رباح[1] : أنه كره الإعْرَابَ لِلمُحْرِمِ ، يُومِيءُ به إلى النكاح ، .

ويكون اشتقاق اسم الْعَرَب من هذا المعنى وهو الفجور أنهم عاملوا الناس في الجعجعة بهم والغِلْظة عليهم معاملة الفُجَّار ، فسموا بذلك وان لم يكونوا فُجَّاراً ، وعلى مثل هذا فَسَّرَ بعضُ المفسرين قول الله عز وجل : (يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذِيْنَ آمَنُوا ، وما يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ ومَا يَشْعُرُون) وقال : معنى (يخادعون) يفعلون أفعال المخادعين ، وإن لم تكن الخديعة واقعةً منهم ، إذْكان أصلُ الْخَدْعِ إِخْفَاءَ الشَّيْءِ ، والله لا تَخْفى عليه خافية ، هذا قول بعض أهل العلم والله أعلم بكتابه . وعلى نحو منه فسّر قول صاحب الِّلوَاءِ :

حَـلَـفْتُ لَـهَـا بـاللهِ حَلْفَةَ فَاجِرٍ لَنَامُوا فما إنْ منْ حَدِيْثٍ ولا صَالِ

[١٢٣] وذلك أنه لما كان من شأن الفاجر أن يُغَلّظ يمينه ، ويؤكّد أَلِيَّتَهُ حلف لها امرؤُ القيس كيَمِيْنِ الفاجر ، وان لم يكن فاجراً في قَسَمِه ، ويوضح ذلك أنه قال بعد هذا البيت :

سَمَوْتُ إليها بعدَ ما نام أهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ الْـمَاءِ حالاً عَلَى حَالِ

فقد صح ما أقسم عليه من نوْمهم ، وبطل أن يكون فاجراً في يمينه ، ولم يبق إلاّ حمله على الوجه الذي ذكرناه ، وكذلك هؤلاء فعلوا أفعالاً ساء موقعُها عند منْ فعلوها معه من أعدائهم سُوْءاً شابهوا به أفْعَال الفجار وإن لم يكونوا فُجَّاراً ، ويجوز أنْ يكون محمولاً على أصْل الفجور وهو الظهور والبروز ومنه : في فلان فَجْرٌ ، أي كَرَمٌ ظاهر وجُوْدٌ فائق ، ويكونون سُمُّوا بذلك لبرزوهم عن الأمم وظهورهم على الطوائف .

---

(١) في الهامش بخط كاتب الأصل ، أبو رباح اسمه اسلم وهو بياء منقوطة واحدة أسفل : وهو مولى لبني فهر من قريش) . وعطاء عالم مكة وفقيهها ، ولد سنة ٢٧ وتوفي سنة ١١٤هـ .

والقول السابع : انه مشتق من الْعَرَبِ وهو مصدر عَرَب الْجُرْحُ يَعْرَبُ عَرَباً ، إذا بقيت له آثار بعد البُرْءِ ، عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري(1) ، ويكون وجه هذا الاشتقاق أنهم لبروز أفعالهم وبقاءِ آثارهم وخلودِ نكايتهم لأعدائهم سُمُّوا بذلك .

والقول الثامن : أنه مشتق من الْعَرَبِ وهو كثرة الماءِ ، ومنه بئر عَرَبةٌ إذا كثر ماؤُهَا ، ذكره ابن حبيب ، واستشهد بقول طُفَيْلٍ الْغَنَوِيِّ :

ولا أكونُ وكَاءَ الزَّادِ أحْبِسُهُ ... لَقَدْ عَلِمْتُ بأنَّ الزاد مَأْكُولُ

ولا أقولُ وجَمُّ الماءِ ذُو عَرَبٍ ... منَ الْحَرارة : إنَّ الْمَاءَ مَشْغولُ

وقال محمد بن زياد الأعرابيُّ أيضاً : يقال : ماءٌ عَرِبٌ ونَهْرٌ عَرِبٌ [١٢٥] وبئْر عَرِبَةٌ ، كله يراد به كثرة الماءِ .

ولهذا الاشتقاق وجوه : أحدها أنهم لاشتباه حسن أفعالهم ووجدان الكرم في كافتهم سُمُّوا بذلك ، وقد قيل في المثل : أشْبَه به من الماءِ بالماءِ .

وثانيها : أنهم لكرم أنسابهم وخلوص أعراقهم وصفاء أصولهم سُمُّوا بذلك ، كما قيل لِلْحَصَان الصحيحة النَّسَب من النساء : ماءُ السَّماءِ . وكما يقال : حَصَانٌ كماءِ المزن .

وثالثها : أنهم لاستغنائهم بأنفسهم . واكتفائهم دون الحاجة إلى غيرهم وتحيزهم بتدبير أمورهم عن أكثر أغراض سواهم سُمُّوا بذلك ، لأن الماء يوصف بالغنى عن الأشياء وبحاجتها إليه كما قال سهل بن هارون بن راهبون البليغ —(2) رحمه الله ، في بعض حكمته ، يصف بعض الملوك في جلالة قدره ، واستغنائه عن آراء اتباعه [١٢٦] وعن مساعي أعوانه — : كالماء الذي ليس به إلى شَيْءٍ حاجة ، ولكل شيء إليه أمَسُّ الضرورة .

ورابعها : أنهم لِمَا أحيوه من الأرض الميتة ، وأقاموه من الأعلام الدارسة ، واهلوه من القفار العازبة ، سمّوا بذلك ، تشبيهاً بالماء الذي به حياة كُلّ شيء قال الله عز وجل : (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) .

---

(1) العالم اللغوي صاحب «النوادر في اللغة» وغيره توفي في البصرة سنة ٢١٥ هـ عن ٩٦ سنة .

(2) تقدم ذكره [ص ١٥] وهو من الكتّاب البلغاء ، وكان الجاحظ كثير الثناء على فصاحته وله رسالة في البخل نقلها صاحب «العقد الفريد» توفي سنة ٢١٥ هـ .

والقول التاسع : انه مشتق من الْعَرْب[1] ، وهو النشاط قال النابغة الذُّبْيَانيُّ :

والْخَيْلُ تَمْزَعُ عَرْباً في أعِنّتِها كالطَّيْر تنجو من الشُّؤْبُوب ذِي الْبَرَدِ

وقد رواه الناس قاطبةً بالغين معجمة إلا أنَّ الْخَلِيْلَ أورده في باب العين ، وقد نُوْزِع فيه ، ووجه هذا الاشتقاق أنهم سُمُّوا بذلك لنشاطهم إلى إحراز المآثر ، وتسرعهم إلى معونة [١٢٧] الثائر ، واجابة دعاء الجار المجاور ، واشتياقهم إلى اغتنام الثناء ، وادراك مناقب الكرماء ، كما قال شاعرهم :

وَمُسْتَنْبِحٍ قَالَ الصَّدَى مِثْلَ قَوْلِهِ حَضَأْتُ له نَاراً لها حَطَبٌ جَزْلُ

وقُمْتُ إليه مُسْرِعاً فَغَنِمْتُه مخافةَ قومي أن يفوزوا به قَبْلُ

والقول العاشر : أنه مُشْتَقٌّ من الْعَرَب وهو يَبِيْس الْبُهْمَى ، واحدتها عِرْبَةٌ وقال أبو زياد — وهو يزيد بن عبدالله بن الحرث[2] بن همَّام بن دَهْر بن ربيعة بن عمرو بن نُفَاثَةَ بن عبدالله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة — إن الْبُهْمَى خَيْرُ أحرار البقل رَطْباً ويَابِساً[3] .

ووجه هذا الاشتقاق انهم سُمُّوا بذلك لأنهم من البشر بمنزلة البُهْمَى من الْبَقْل . ويكون فيه وجه آخر أقوى من هذا وهو أن يَبِيْس الْبهْمَى هو [١٢٨] سفَاها ، والعرب تضرب به المثل في حِدَّةِ شوكه ، وتَذَلُّقِ غَرْبِهِ ، حتى أنهم يُسَمُّونه نصالا ، قال القُحَيْفُ الْعُقَيْليُّ :

علَى كُلِّ ذيَّال أَطَارَ نَسِيْلَهُ عُبَابُ الْحَيَا والخصْبُ حتَّى تَفَيَّلاَ

رعَى الرُّوْضَ والْقُرْيَانَ حتَّى إذا رَأَى نِصَالَ السَّفَّا من حَيْثُ رُكِّبْنَ نُصَّلا

وقال الآخر ، وأنشده ابنُ الأعرابيِّ :

إِذَا استَنْصَلَ الْهَيفُ السَّفَا بَرحَتْ بِهِ عِراقِيَّةُ الْأَقْيَاظِ نَجْدُ الْمَرَابعِ

---

(١) فوق الراء (صح) أي إسكان الراء .

(٢) كذا في الأصل والمعروف (ابن الحر) .

(٣) البُهْمي هو ما يعرف في نَجْدٍ باسم الصَّمْعَاء وأبو زياد من أهل القرن الثاني الهجري ، عاش في نجد ومات في بغداد وله كتاب النوادر نقل عنه ياقوت في «معجم البلدان» .

فيكونون سُمُّوا بذلك لحدَّة شجاعتهم ، ونفوذ عزائمهم ، وقد قيل في العرب إنه بالغين معجمة ، والعين أثبت .

والقول الحادي عشر : أنه مأخوذ من التَّعْريب ، وهو الْجَبْهُ بالغلطِ [1] والرَّدِ ، ومنه قول عمر : ما لكم إذا رأيتم الرجل يُخَرِّقُ أعراضَ الناس أن لا تُعَرِّبُوا عليه ؟ فقالوا : نَخَافُ [١٢٩] لسانه . قال ذلك أدنى أن لا تكونوا شهداء ، رواه أبو عُبَيْدٍ وابنُ الأعرابي وغيرهما . ومعنى تُعَرِّبُوا عليه أي تردونه ، وتدفعون قوله . وقال أوس بن حجر :

ومثلُ ابْنِ عَثْمٍ إنْ ذُحُولٌ تُذُكِّرَتْ وقَتْلَى تِيَاسٍ عن صِلاَحٍ [2] تُعَرِّبُ

ابن عثم : أحد بني جشم بن سعد . وتياس : أرض التقت فيها بنو سعد وبنو عمرو وكانت المعلاة لبني عَمْرو ، قوم أوْسٍ يقول : فمثل هذه القتلى يمنع تَذَكُّرُهُ من الصلح .

ويكونُ وجه هذا الاشتقاق أنهم سُمُّوا بذلك لأنهم يردون حكومة الظالم ، ويعصون أمر الغاشم .

والقول الثاني عشر : أنه مشتق من الْعَرَبَة ، وهو النهر الشديد الجري ، عن ابن دُريد . ووجه هذا الاشتقاق أنهم شُبِّهُوا بالماءِ الجاري في قُوَّة مَسِيْلِهِ . واعتياص [١٣٠] ردِّهِ وجرِّه ما وجد في جِرْيَتِهِ .

فأما الْعَرَبَة لهذه المنصوبات على دِجْلَةَ والفُرات فَمُولَّدٌ ، إلاَّ أن ثعلباً قد ذكره وصححه وقال : سُمِّيَتْ بذلك من الْعَرَبةِ وهو الشديدُ الجري من الأنهار ، ولذلك [3] لسرعة مدارها واتصال جريتها .

والقول الثالث عشر : أنه مُشْتَقٌ من التعريب ، وهو مداواة للخيل بالنار ، تسمَّى التَّبْزيغ ، وسُمِّيت العرب من ذلك لبلوغهم في شفاءِ الصدور بدرك الثأر ، وإحكام ما عَقَدُوه

---

(١) تحت الطاء نقطة وكلمة (صح) .

(٢) في الهامش بخط الناسخ ، (الصلاح بالكسر المصالحة) . وتِياس الوارد في هذا البيت بمنطقة الكويت جنوبها بقرب الوفراء وفي تياسٍ هذا وقعت الحرب بين بني عمرو — وبني سَعْد والقبيلتان من تميم ،

(٣) وكذا والصواب (وذلك) .

من عهد وذِمَامٍ مبلغ الكيِّ الذي هو آخر الأدوية وأصعبها .

والأَعْرابُ جَمْع الْعَرَب . كالأَعْزاب جمع الْعَزَبِ ، ولكن الشُّعَراءَ استعملته بعد ذلك على اللفيف وسواد القبائل ، ألا ترى إلى قول مكيْث بن معاوية الْكلبيِّ — وقيل : مُكَيْث بالضم —

وَمَا أَسَلُ الأَعْرابَ أرجُوْ به الغِنَا ولو سَلَبَتْ مالي سِنُوْنٌ سَوَالبُ

وقول الأشْهَبِ الْعُكْليِّ :

يُسَمُّوننا الأعْرابَ والْعَربُ اسْمُنَا ونَحْنُ نُسَمِّيْهم رِقابَ الْمَزاوِدِ

وقال ابو فرعون السائل العدويُّ من عَدِيٍّ بن عبد مناةَ بن أُدِّ بْن طابخة — واسمه شاكر ابن [1] :

ولست بسائل الأعراب شَيْئاً حَمِدْتُ الله إذْ لَمْ يَأْكُلُوني

وقد كنّا ذكرنا مَصْدَرَ عَرَبيٍّ ، فأما أعرابيّ فمصدره الأَعْرابِيَّة ، قال بعض الشعراء :

وإنِّي لأَهْذِي بالأوانس كَالدُّمَى وإنّي بأطراف الْقَنَا لَلَعُوْبُ
وإني على ما كان من أجْنَبِيَّتِي وَلُوْثَــةِ أَعْــرَابِــيَّتِي لأَدِيْبُ

وأذكرني هذان البيتان بَيْتَين لأبي الشَّغْبِ الْعَبْسيِّ :

[١٣٢] لَعمْرُك إنّي يَوْمَ راحَ ابْنُ كَوْكَبٍ لَصَبٌّ وإنّي لِلْهَوى لَغَلُوبُ
وإنّي عَلَى بَعْضِ الأناة ورسْلَتِي لِأَبْعَد ما يَرْجُو الْفَتَى لَطَلُوْبُ

---

(١) في الهامش ، (صوابه ، شُرَيْس) فوق كلمة (شاكر) وبعد (ابن) بياض في الأصل .



فصل في اشتقاق اللغـة

رأيناه كالتَّوْامَ لما قدمناه من اشتقاق العرب . في الحاجة إليه ، وفي النيابة[1] عن أبي بكر رحمه الله بإيراده ، وكثيراً ما يجري التساؤل بين أهل العلم عن هذه الكلمة وما رأيتُ فيها لأحد من العلماء المتقدمين ولا المتأخرين قولاً شافياً والله الموفق .

قال الحسين بن علي : لسنا نَشُكُّ في أنَّ المقصدَ باسم العرب مَعْنى واحدٌ من المعاني التي ذكرناها ، وكذلك اللغة ، لأن واضع الكلمة إنما يقصد بها الإخبار عن معنى . فإن استردفت معنى آخر كان رُجْحاناً ، ولكن لما كان حقيقة [١٣٣] المقصد خافيةً عنا كنا مضطرين الى حَشْدِ الأقوال لتطيب أنفسُنا بأنَّ الصواب في جملة واحدة مما أوردناه ، وعلى هذا الاعتبار في اشتقاق اللغة سبعة أقوال :

فالقول الأول : أنها من لَغَيْت بالشَّيء أَلْغَي إذا أولِعْتُ وأُغْرِيْتُ به . قال الفرَّاء : يقال لَغِيْت بالكلام أقوله ، ولَغِيَ بالماء يَشْرَبَهُ ، إذا أُولِع به ، ورَدَّدَهُ ، ولَغِيْتُ بمصاحبة فلان إذا لهجْت به . وقال ابن الأعرابي أيضاً : لَغَى به ولَكَى به إذا لهج به . وقال أبو عبيد في « غريب المصنف » . عن الكسائي : لَغِيْت بالماء أَلْغَى إذا لزمت شُرْبَهُ ، أو نحوا من هذا اللفظ .

وفي وزنها قولان أحدهما أنَّ أصلَها كانت لُغْيَةً عن وزن فُعْلَةٍ ، فحذفت الياء تخفيفاً ، وبُنِيت الكلمة على النقص [١٣٤] مع نظرائها جماعة من الألفاظ ، فإن قال قائل : فما بَالُهُمْ لم يحذفوا الياء من دُجْيَة واحدة الدُّجَى ، وحُكْمَهُ حُكْمَ لُغْيَة ؟ فجوابه : أن القياس إنما يَطَّرد في الأصول والفروع المطرودة عليها ، فأما الحذف فإنما هو تخفيف ، وفاعل التَّخفيف بالخيار فيه ، إن شاء حذَفَ وان شاء أقرّ ، وذلك على حسب المواقع في كثرة الاستعمال العاذرة في طلب الاختصار .

---

(١) الكلمة غير واضحة .

والقول الآخر أنَّ وزنَها فُعَلَةٌ ، وأصلها لُغَيَةٌ ، فانقلبت الياء ألفاً لتحركها ، وانفتاح ما قبلها ، وإنما كان حكمُ حرفي الْمَدِّ واللين أن ينقلب كل واحد منهما الفاً إذا تحرك وانفتح ما قبله ، لأن أخَفَّ احواله أن يسكنَ ، وما قبله منه ، أما سكونه فَلأنَّ به تَمكن المَدِّ فيه ، واما كون ما قبله منه فَلَيُلاحِمَهُ ويُعِينَه ولا يُنَافِرَه [١٣٥] فيما يراد به من مَدِّهِ ولِيْنه ، وأوْسَط أحواله أن يسكن ، وما قبله ليس منه ، وأثقل أحواله أن يتحرّك وما قبله ليس منه ، فَيُجْري مجرى الحروف الصحاح ، وتفارق صفته المطلوبة فيه بحركته التي تُزيله عن اللِّين . وبقلة مساعدة ما قبله له ، ومشاكلته إياه ، فاذا جاء حرفُ المدِّ متحركاً وما قبله ليس منه ، جاء على أثقل أحواله ، فيقلب ألفا لينتقل إلى أخف أحواله ، وهو سكونه وما قبله منه ، فلما صار لُغَاةً آنسهم هذا التغيير بتغير آخر ، فحذفوا الألف تخفيفاً ، ولأن هذا الوزن قليلٌ في الأسماء المفردة ، وانما هو من صيغ الجموع ، مثل قُضَاة ورماة ، فصار لُغَةً كما ترى . ومن عادتهم أن يُتْبعوا نقصَ التغيير نَقْصاً . ألا ترى الى قولهم لَيْسَ [١٣٦] وأصلها لَيِسَ ، بوزن فَعِل ، فكان قياسهم يوجب أن تنقلب الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فيقال : لاس ، كما انقلبت ياء بَيَعَ فقيل : بَاع ، فلما وجدوها قد خالفت اخواتها في التَّصَرُّف ، ولزمت بابا واحداً ، وهو صيغة الماضي لِعِلَّةٍ أُخْرى لا نرى الاطالة بذكرها في هذا الموضع ، آنسهم ذلك بتغييرها ثانياً ، وَجَرَّأَهُمْ على ركوب الخلاف بها عودا بعد بَدْءٍ ، فقالوا فيها : لَيْسَ ، وفارقوا بها اخواتها ولم يقولوا : لاَسَ ، مثل زال وصَار ، وهو فِعْل من اللَّيَس ، وهو الشدة والشجاعة ، وكأن تقدير قولهم : ليس زيد قائماً ، امتنع وصعب أن يكون زيدٌ قائماً ، هذا على رأي النحويين .

فأما أهل اللغة فيحكون عن الخليل انه قال [١٣٧] : ليس انما أصله لا أَيس ، لأن أَيْسَ عنده لفظة يخبر بها عن الموجود ، فإذا قالوا : لا أَيْس فكأنهم قالوا : لا موجود ، فثقل عليهم فقالوا : ليس ، والأَيْسُ في كلام العرب التأثير ، فأخبر به المتكلمون عن الموجود ، لأن الموجود لا بد أن يكون له أثر أو تأثير أو نحو ذلك . وقال الأصمعي في كتاب « نظائر الأفعال » : آسه يَئِسُهُ أيْساً إذا أثَّر فيه ، ومنه ايَّسَهُ يُؤَيِّسَه بوزن فَعَّلَهُ ، يُفَعِّلُهُ مشدَّداً ، وأنشد يعقوب :

ان كنت جُلْمُودَ صخر لا أُؤَيِّسُهُ أوْقِدْ عليهِ فَأُحْمِيْه فَيَنْصَدِعُ

وقال طريف بن عمرو التميمي الفارس المذكور :

إنَّ قَنَاتي لَنَبْعٌ لا يُؤَيِّسُهَا   عَضُّ الثِّقَافِ ولادُهْنٌ ولا نَارُ

وقال أبو خَلْدة[1] اليُشكُرِيُّ ــ بخاءٍ مفتوحة معجمة من فوق واحدة ــ [١٣٨] قال أبو بكر ابن دريد : ومن قال غير ذلك فقد أخطأ ، وهو ابن عُبَيد بن مُنْقِذِ بن حجر بن عبدالله بن سلمة بن حبيب بن عَديٍّ بن جشم بن غنم بن حَبِيب بن كعب بن يَشْكُر بن وائل :

ما يَسَّرَ اللهُ من خَيْر قَنِعْتُ به   ولا أَمُوتُ على ما فَاتَني جَزَعَا

ولا يُؤَيِّسُ من عُوْدِيّ خوالِقُهُ   إذَا الْمُغَمِّزُ منها لاَنَ أَوْ خَضَعَا

خَوَالِقُه : الأحداث التي تُمَلِّسُهُ ، والأَخْلَق : الأملس .

ويكون وجه هذا الاشتقاق انها أعنى اللغة ، لما كان أهلها ملازمين لها ، وكانت قد صارت كالسِّمة لهم ، والشيء اللاصق بهم ، كانوا كأنهم قد أُغْروا بملازمتها ، وأُوْزِعُوا الدؤوبَ عليها ، وكانت هيَ للصوقها بصفاتهم كالْمُغْراة أيضاً بهم ، فلهذا جاز فيها فُعَلَة بتحريك العين ، لأنَّ فُعَلَة اسْمُ فاعلٍ ، مثل ضُرَبَة لفاعل الضرب [١٣٩] وحُفَظَة للحافظ .

والقول الثاني : أنها من اللَّغْوِ ، وهو النُّطق ، ومنه سُمِّيَتْ لواغي الناس ، أي أصواتهم ومنطقهم ، وهذا من المصادر التي جاءت على فواعل ، وهي قليلة ، مثل قولهم سَمْعي رواغي الابل ، وثَواغي الشاء ، يعنون رُغَاءَها وثُغَاءَها . قال حُمَيْدُ بنُ ثَوْرِ بن عبدالله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك ابن هلال بن عامر بن صعصعة ، وقد قال بعض النسابين في نسبه قولاً آخر ، وهذا أحب إلي لأنني رأيت أبا عليٍّ الْهَجَرِيَّ يرويه عن شيوخه من الاعراب وكان الهجريُّ أعلَم المتأخرين بالنسب[2] ، وغير الهجري أيضاً يرويه عن أبي عمرو وغيره من الرواة :

رَعَيْنَ الْمُرَارَ الْجَوْنَ من كُلِّ باطِنٍ   دميثٍ جُمَادَى كُلَّهَا والْمُحَرَّمَا

إلى النِّيْرِ واللَّعْبَاءِ حَتَّى تَبَدَّلَتْ   مكانَ رَوَاغِيْها الصَّرِيْفَ الْمُسَدَّمَا

[١٤٠] يقول : استبدلت عوض الرُّغاء الذي كان يأتي منها ضُرّاً وهُزْلاً ، بالصَّريف الذي يأتي سِمَناً وأَشَرا .

---

(١) خلدة مثل فعلة كذا في هامش الأصل .

(٢) أنظر عن الهجري كتاب «أبو عليّ الهجري» تأليف حمد الجاسر من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

وقواضي الدَّيفان : يراد به قضاؤه . قال أبو وَجْزَةَ يزيدُ بن عُبيدة من بني سعد ابن بكر من هوازن :

وإذا قَطَمْتَهُم قَطَمْتَ عَلاَقِماً وقَوَاضِيَ الذَّيْفَان[1] فما تَقْطُمْ

والنواطق : يعنون به النُّطق . قال كعب بن زهير المزني :

وأدركتُ ما قد قال قبليْ لِدهره زُهَيْرٌ وإنْ يَهْلِك تُخَلَّدْ نَوَاطِقُهْ

والأوامر والنواهي : يعنون الأمر والنهي ، كذا قال اللغويون .

وقد يجوز أن يكون لواغي جمع لاغية ، وكذلك كله يجوز أن يكون جَمْعاً ، والأوامر والنواهي يُذْهب بها إلى العزمات والإرادات إلا أنَّ الأول محفوظ القوم .

ومن اللغو المنطق قول الله عز وجل : ﴿وقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذا القرآن والْغَوْ فِيْه [١٤١] . قال الخليل : معناه من اختلاط الكلام ، والله أعلم بكتابه ومنه في الحديث : «من قال في الجمعة صَهْ ، فقد لَغَا» أي تكلم ، كذا قال الخليل أيضاً . ومثله قول ثعلبة ابن صُعَيْر[2] بن خُزَاعيٍّ بن مازن بن عَمْرو بن تميم بن مُرِّ بْنِ أُدٍّ .

أَسُمَيُّ ما يُدْرِيك أَنْ رُبَّ فِتْيةٍ بيضِ الوجوه ذَوِي نَدىً ومآثِرِ
بـاكـرتُـهُـمْ بِسِبَـاء جَوْنٍ ذَارعٍ قبـلَ الصَّباحِ وقَبْلَ لَغْو الطَّائِرِ

أي قبل تنطق الطيور ، ويقال منه : لَغَت الطيورُ والناسُ أيضاً تَلْغو ، وَلغِيَتْ تلغَى إذا نطقت وسمع نطقها . وقال عَبْدُ المسيح بن عَسَلَةَ ، اخو بني مُرَّة بن همَّام بن مُرَّة بن ذُهْل ابن شيبان — وقد رُويتْ لغيره وهي له أثبت عند المفضل بن محمد بن يَعْلَى الضَّبِّيِّ :

وعازب قد على التَّهْوِيْلُ جَنْبَتهُ[3] لا تَنْفَعُ النَّعْلُ في رَقْرَاقِهِ الْحَافِي

---

(١) فوق كلمة الذيفان معاً والدال فوقها نقطة وتحتها نقطة أي أنها تقرأ بالحرفين الدال والذال . وارتباط هذا الكلام بما قبله في كلمة (قواضي) من المصادر التي جاءت على وزن (فواعل)

(٢) في الهامش (في مرة قضاعة رجل شاعر يقال له ثعلبة بن صعير) .

(٣) في الهامش فوق جنبة : (نبت سريع الارتفاع عن الاصمعي) . والأبيات في «المُفَضَّلِيَّات» رقم (٧٣) تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، وهناك المصادر وشرح الكلمات .

[١٤٢] صَبَّحتُه صاحِباً كالسَّيْدِ مُعْتَدِلاً كَأَنَّ جُؤْجُؤَهُ مَدَاكُ أَصْدَافِ

— جعل المداكَ من صَدَفٍ لأنه أحسن له ، وأكثر إشراقاً .

بَاكَرْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَلْغَى عَصَافِرُهُ مُسْتَخْفِياً صاحِبِي وغَيْرُهُ الْخافِي
لا يَنْفَع الْوَحْشَ مِنْهُ أنْ تُحَذِّرَهُ كأنه مُعْلَقٌ مِنْه بِخُطَّافِ
إذا أُواضِعُ منْهُ مَرَّ مُنْتَحِياً مَرَّ الآتِيِّ علىَ بُرْدِيِّهِ الطافي

وهذا الشعر من حِسَانِ أبياتِ المعاني .

ويُقال أيضاً للصوت اللَّغَا مقصور ، يكتب بالألف مثل اللَّغْو قال الجعديُّ :

وعَادِيَة مِثْلِ الْجَرادِ وَزَعْتُها لَهَا قَيْرَوانٌ خَلْفها مُتَكَتِّبُ[١]
كأنَّ قَطَا الْعَيْنِ الَّتِي فَوْقَ ضَارِجٍ خِلافَ لَغَا أَصْوَاتِهَا حِيْنَ تَقْرُبُ

شبَّه لَغَطَ القطا باختلاف أصوات الْخَيْل ، وخلاف ههنا بمعنى اختلاف ، ويقال : هذه لُغَتُهُم التي يلغُوْن بها أي ينطقون [١٤٣] بها كما يقال هذه لُعْبَتُهُمُ التي يلعبون بها ، ووزنها على ذلك فُعْلَة أصلها لُغْوَة ، فلما وجدوا الواو متحركة قبلها ساكن وجب ثبوتها وذلك مستكره عندهم لنقصان فضيلتها به ، وذلك أنها إذا تحركت نقصَ الْمَدُّ فيها ، وثقلتْ زيادةً على ثِقَلِهَا ، فاحتيل في تغييرها بأَنْ حرَّكوا العين قبلها ، فلما تحركت العين ، انقلبت الواو ألفاً فصارت لغاة ، فحذفوا الألف تخفيفاً على المذهب المتقدم في الجراءة على ..[٢] بالتغيير ، فصارت لُغَةً ، وأهل اللغة يقولون : حُذِفت الواو للنقص ، ويقتصرون من الاعتلال على هذا القول .

والقول الثالث : أنها مشتقة من اللَّغو ، وهو الذي لا يُعَبَّرُ لقلته ، ولا يُحْتسب لدقته ، أو لخروجه [١٤٤] على غير جهة الاعتماد من فاعله كما قال الله عز وجل : لا يُؤَاخِذُكُمُ الله بِاللَّغْوِ في أَيْمَانِكُمْ أي ما لم تقصدوه وتعتمدوه ، والله أعلم بكتابه . وقال المثقِّبُ العَبْديُّ — واسمه عائذ وقيل عايذ الله ، وكلاهما مروى ، بن محصن بن ثعلبة بن وائلة[٣] بن عدي بن عوف بن

(١) في الأصل (مثل الجواد) والبيت في كتب اللغة ، رسم قرو ، (سَوْم الجراد) .
(٢) كلمة غير واضحة وكأنها العين .
(٣) في الهامش (وقد قيل واثلة والأول أصح وهو قول أحمد بن عبيد) .

دُهْنٍ[1] بن عذرة بن منبه بن نُكرة بن لُكيز بن أفصَى بن عبد القيس — :

هَـلْ عِـنْـدَ غـانٍ لِفُـؤَادٍ صَـدِ   من نَهْلَةٍ في اليوم أو في غدِ؟
يَجْزي بها الجازون عَنِّي ولَو   يُـمْـنـع شُـرْبي لسقَتني يَدِي
هل عندها سَقْياً لذِي غُلَّةٍ   إلا بما قـالت فـلم يُوْجَـدِ
إلاَّ بِـبَـدْرَيْ ذَهَبٍ خَـالِصٍ   كـل صَـبَـاحٍ آخِرِ الْـمُسْـنَـدِ
من مالِ من يَجْبِي ويُجْبَى لَهُ   سبعونَ قنطاراً مـن الْعَسْجد
أوْ مِـئَـةٍ يَـجْـعَـلُ أولاَدَهـا   لَغْواً وعُرْضُ الْمئَةِ الجَلْمَدِ[2]

[١٤٥] ومنه أَلْغَيْتُ الكلمة وأَلْغَيْت هذا الباب من الحساب ، إذا تركته فلم تَعُدَّهُ ، وقال غيلان يهجو هشام بن قيس الْمَرئِيَّ أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم :

يَـعُـدُّ الـنَّـاسِبُونَ إلى تَـمِيْـمٍ   بـيوتَ الْـحَيِّ أربَـعَـةً كِبَـارا
يَـعُـدُّونَ الرِّبَـابَ لَـهَـا وَسَعْداً   وَعـمْراً ثُـمَّ حنظلـةَ الْخيَـارا
وَيَسْقُـطُ بَيْنَـهـا الْـمَرئِـيُّ لَغْواً   كما أَلْـغَيْت في الـدِّيَـةِ الْحُوارا

لَغْواً : أي ساقطاً لا يُعَدُّ كما تسقطُ الفِصْلانُ في الدِّياتِ .

وقال عَمْرو بن أَحْمَرَ الباهليُّ :

يَـظَـل رِعَاؤُهَـا يُلْغُوْنَ مِنْهَـا   وَلَـوْ عُـدَّتْ نـظَـائِـرَ أَوْ جِـمَارا

والْجِمَارُ : الجماعة . يقول : يُسْقطون منها ما هو نَظِيْرٌ للجيِّد المختار ، ويسقطون الجماعة لا يبالونَ بها ، فاللغة لما اطرح بها ما [١٤٦] سواها وعَطَّلَتْ ما كان من اللغات قبلها ، سُمِّيَتْ بذلك ، كما يقال لُهْوَةٌ لِلشَّيْءِ الذي يَلْهَى به ، ولُعْبَةٌ للشيءِ الذي يُلْعَبُ به ، لأنَّ اللَّعْبَةَ آلة للعب ، كما أنَّ اللغة آلَةٌ لإلْغاءِ ما قبلها من اللغات .

---

(١) في الهامش (وقد قيل دهر والأول أثبت وهو قول أحمد بن عبيد) .
(٢) في الهامش (ويروى الجلعد وكلاهما يراد به الصلابة) .

والقول الرابع : أنها مشتقة من اللَّغْوِ ، وهو الباطل ، قال الله عز وجل : «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما» قال الخليل : هو الباطل ، قال : ومنه قول الله عز وجل : «لا تَسْمَعُ فيها لاَغِيَةً» أي كلمة باطلة فاحشة ، والله أعلم بكتابه .

واللَّغَا مقصورٌ يكتب بالألف مثل اللّغو ، قال العجّاجُ :

فالحمد لله العليِّ الأَعْظَم ... ذِي الْجَبَرُوت والجلالِ الأفْخَمِ

ورَبِّ كل كافرٍ ومُسْلِم ... وربَ أسْرابِ حَجِيْجٍ كُظَّمِ

عَن اللَّغَا ورَفَثِ التَّكَلُّمِ

يعني عن الباطل .

ووجه هذا الاشتقاق أنَّ هذه اللغة [١٤٧] أبْطَلَتْ ما قبلها ، وجعلته كالمَحَال الذي لا يقال ، والباطل الذي لا يُسْمع ، ومعناه قريب من معنى الفصل الذي قبله ، وهما جميعاً في التصريف يجريان مَجْرَى الباب الذي قبلهما ، ويُغْنيان به عن شرح تصريفهما .

والقول الخامس : أنها مشتقة من النَّغْي وهو الكلام . قال أبو عبيد : يقال سمعت منه نَغْيَةً ، وهو الكلام الحسن ، وأُبدلت من النون لاَم ، وبُني منه لُغْيَة على وزن فُعْلَة ، وابدال اللام من النون كثير في كلامهم ، مثل لَمَّقَ الكتاب ونمقه[١] — وهَتَن وهتل ، وأدْكنٌ وأدكلٌ — من الألوان — وغير ذلك مما لو ذهبنا إلى استقصائه لاحتاج إلى جزء مفرد نجرده له ، ويكون وزنها فُعْلَة وأصلها لُغْيَةٌ ، ويجري أمرها مجرى لُغْوَةَ من اللَّغْوِ ، وعلى ذلك التعليل [١٤٨] بعينه ، وذاكرت أبا أسامة[٢] بهذا الوجه لما عنّ لي فأعجبه .

والقول السادس : أنها مشتقة من لاَغَ الشيء يلوغه لوغاً إذا أداره في فمه ثم لفظه — عن ابن دُريد — ويقال أيضاً : سائغ لائغ ، ويقال : سَيِّغٌ لَيِّغٌ — عن ابن الأعرابي — ويكون وزنها فُعْلَة ، وأصلها لُوْغَةٌ ، فاستثقلت ثلاث ضمَّاتٍ متتابعات ، لأن الواو بمنزلة ضمتين ،

(١) في الهامش بخط حديث (وكما يقال في أغبطت عليه الحمى : غمطت بالميم المبدل من الباء — فائق اللغة) ولا وجه لهذا .

(٢) هو شيخ المؤلف العالم اللغوي جنادة بن محمد الأزدي الهروي الذي قتله الحاكم سنة ٣٩٩ وتقدم .

فحذفت استخفافاً ، فصار لُغَةً . ووجه هذا الاشتقاق أنها لصحة أوزانها واعتدال أقسامها ، وأصالة آراء الناطقين بها لا تخرج الكلمة منها إلا بعد تَرَوٍّ ونَظَرٍ وتفكير ، وأنها تُلَجْلَجُ وتُرَدَّدُ قبل ارسالها . وتخطم وتزم عند صحة العزم على إنفاذها ، كما قال شدّادُ بن أوْسٍ : ما تكلمت بكلمة منذ كذا وكذا حتى أخطمها وأزُمَّها .

فإن قيل : لو كان أصلها لُوْغَةً لكان جمعها (١٤٩) على لُوَغ ؟! ففي ذلك أجوبة : أولها ما صدَّرْنا به هذا الفصل من الاعتذار لما نورده ، والتنبيه على أنه لا بدَّ أن يكون بعضه مخالفاً لما قَصَد به واضعه .

والثاني : أنه يجوز أن يكون مجموعاً على لُغاً قياساً به على نظائره في اللفظ ، فإنَّ الشيء يُحْمل على المشاكلة الظاهرة كثيراً ، مثل ما قلب الفند الزّماني شَهْلُ بن ربيعة بن زمان[1] بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل فقال :

أيَـــا تَـــمْـــلِكُ يـــا تملي ذَرِيْني وذَريْ عَـــــــذْلي
فَـــثَوْبَـــانِ جـــديـــدان وأُرْخي شَـــرَكَ الـــنَّـــعْـــلِ
ومِـــنّي نـــظـــرةٌ بـــعـــدي ومِـــنّي نـــظـــرةٌ قـــبلي[2]
ونـــبلي وُفـــقـــاهـــا كـ ـعـــراقيب قَـــطـــاً طُـــحْـــلِ

أراد بفقاها جمع فُوْقَة ، وكان ينبغي أن يقول : فُوَقُ فقلب كما تَرَى .
وقال يزيد بن زياد بن ربيعة بن مُفَرِّغٍ الحميري في مثله :

لقد نَزَعَ الْمُغِيْرةُ نَزْعَ سَوْءٍ وَعَرَّقَ في الْفَقَا سَهْماً قَصِيْراً

[١٥٠] والثالث : أن جمع اللغة — فيما ذكره الخليل — لُغَاتٌ ولُغِيْنُ ، ولم يأت فيه بِلُغَى ، فعدم لُغَى في السماع قد كفانا مؤُوْنَةَ ما يُعْتَرَض به علينا من طريق القياس .

وقال ابن دريد : إن العرب تختار أنْ تُجْرِيَ الاعراب على التاء من اللغات ، وعلى ذلك

---

(١) في الأصل (رومان)

(٢) في الهامش بخط كاتب الأصل : (يقول : انا ذكي ، أفهم ما حضرته وما غبت عنه) .

قول أهل الكوفة ، وذكر الكسائي أنه سمع العرب تقول : سمعتُ لُغَاتَهُم ، والبصريون ، يمنعون ذلك أشد المنع ويقولون : إن اطَّرَدَ هذا في المعتل اطَّرَدَ في الصحيح ، وانتقضت به الأصول .

والقول السابع : أنها مشتقة من الوَلْغ ، وهو ورود السَّبع والذّئب والكلب الماءَ . ووجه هذا الاشتقاق أنَّ وَلْغَ الذئب مُتَّصِلٌ منتظم ، ولذلك قال حاجزٌ الأزديُّ اللِّصُّ :

بِغَزْوٍ مثلَ وَلْغِ الذِّئْبِ حتّى يَبُوْءَ بصاحبي ثَأْرٌ مُنِيْمُ
يَبُوءَ بصاحبي أو يقتلوني قَتِيْلٌ ماجِدٌ بَطَلٌ كريمُ

[١٥١] وقال آخر :

نُقَاذِفُ بالغاراتِ عَبْساً وَطَيِّاً وقد هَرَبَتْ مِنَّا تَمِيْمٌ ومَذْحِجُ
بغزوٍ كَوَلْغِ الذِّئْبِ غادٍ ورايحٍ وسَيْرٍ كَصَدْرِ السَّيْفِ لا يَتَعَوَّجِ

وقال ثعلب في « أماليه » : يقال هو في خَيْرٍ كولْغ الذّئب أي دائم متصل انتهى . فكأنها لاتساق نظامها واتّزان الفاظها تجيءُ مسرودةً منضودةً ، لا تفصل بينها فَتْرَةُ عيٍّ ، ولا تنحو بها هُجْنَةُ هَذَرٍ ، كما أنَّ وَلْغَ الذئب نَسَقٌ واحد ، كعَدِّ الحاسب السريع ، وكخط الكاتب الوشيك ، ووزنها على هذا فُعْلة ، وأصلها وُلْغَة ، وهم يستثقلون حركة الواو بالفتح ، فيقلبونها لذلك يقولون في وحَدٍ : أحد ، وبالكسر فيقلبونها يقولون في وِسادة إسادة ، وينتهي بهم استثقال الحركة على الواو أن يُسْقِطوا الكلمة بالواجدة ، ويتخذوا غيرها عنها عوضاً مثل ما أهملوا [١٥٢] الكلام بودد وودع ، واستغنوا عنهما بتَرَكَ ، فكيف إذا اتفق أن حركة الواو بالضمة ، وهي أثقل الحركات على جميع الحروف وعلى الواو خاصة ، فنقلوا حركة الواو إلى اللام فبقيت الواو ساكنة ، وليس يُبْتَدأُ بساكن ، فحذفوها فصار لُغَةً — كما ترى — .

فإن قيل : إن النسبة إلي اللغة بِلُغَويٍّ يبطل هذا لأنه كان يجب أن يقول : وُلَغيٌّ ؟ فجوابه ما ذكرناه في مقدمة الفصل ، على أنه يجوز أن تكون النسبة جاءت مقلوبة مثل لَعَمْرِي وَرَعَمْلي ، ويكون غرضهم في قلبها عند الجميع شيئين : أحدهما أن لا يُبْتَدأَ بالواو مضمومة ، والثاني : لكيلا يفجا السمع تَغَيُّرٌ بين المنسوب والمنسوب إليه في أول الاسم ومُقَدِّمِهِ ، والمُقدَّم

هو المُهِمُّ عندهم ، والمقلوب في كلام العرب مما يجوز القياس عليه لكثرته ، قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم [١٥٣] في « غريب الحديث » : إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله فقال إنا نُصِيْبُ هواميَ الإبل . فقال صلى الله عليه وعلى آله : « ضَالَّةُ المؤمن — أو المسلم — حَرَق النار » وفسره أبو عبيد فقال : الْهَوامي الضَّوَالّ ، واتبع ذلك شرحاً طويلاً ثم قال : وليس هذا من الهوائم في شيء ، لأن الهوائم جمع هائم ، إلا أن تجعله من المقلوب مثل قولك : جَذَبَ وجَبَذَ وبَضّ وضَبَّ . فتَبيَّنَ لنا بهذا القول أنه يجوز القياس عليه ، وتَأَمُّلُ كلامِهِ يُغْنِيْنا عن إطالة القول في معناه . وبالله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الأول من كتاب «أدب الخواص» في ذكر الشعراء المراقسة :

الباب الأول : — من هذا القسم في ذكر امرىء القيس الأكبر صاحب اللواء وذكر قبيلته كندة .

[١٥٤] فصل جعلناه مقدمة لهذا الباب ، نذكر فيه الكلام على لفظة (امرىء القيس) من طرق النحو واللغة ، وبالله التوفيق .

قالوا : يقال مَرْءٌ — بوزن فعْل — ومُرْءٌ — بالضم لغة فيه — وأنثاه مَرْأَةٌ ، وقد تُحْذَفُ الهمزة وتلقَى حركتها على الساكن الذي قبلها فيقال : مَرَةٌ ، وقد يقال : مَرَاةٌ . قالوا : وهو أبعد اللغات . ويقال : هذا مَرْءٌ ورأيت مَرْأً ، ومررتُ بِمَرْءٍ ، وقد رُوي أنه يقال : هذا مُرْءٌ ورأيت مَرْأً ، ومررت بِمِرءٍ ، فتجعل حركة الميم تابعة للإعراب ، وذلك لضعف الهمزة عن تَحمُّل الإعراب فجعلوا الميم تابعةً لها ، لِتُقَوّى بذلك ، وتخطوا إلى الميم دون الراء لئلا تخرج إلى ثِقَل بتحرُّك عَيْنِهِ ، وهم يهربون إلى تسكين المحرك لثقله ، ويقال في تَثْنِيَته : مَرْآنِ [١٥٥] ومُرْآنِ ، وفي تثنية مُؤَنَّثِهِ : مَرْأتان وَمَرَتانِ ومَرَاتَانِ ، ولا جمع له من لفظه ، إلا ما حُكِيَ عن أبي سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري(١) — مولى جميلة بنت قطبة بن يزيد بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سَلِمَةَ بن سعد بن علي بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن امْرِيء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، وجميلة هذه زوج مالك بن أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب ابن عامر بن غنم بن عديّ بن النَّجَّار — وإنما سُمِّيَ النَّجَّار لأنه ضرب رجلاً فقيل : كأنَّما نَجَرَهُ — وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة — أنه قال في بعض قصصه : يا أيها الْمَرْؤُون ،

---

(١) هو الحسن بن يسار ، العالم الجليل ولد في المدينة سنة ٢١ وتوفي في البصرة سنة ١١٠ وللدكتور إحسان عباس عنه كتاب «الحسن البصري» وهو مطبوع .

فجمعه على أصله ، ذكر ذلك عنه أبو محمد جعفرُ بن دُرُسْتَوَيْه النَّحْويُّ[1] في «شرح الفصيح» ويقال على هذا في جمع المرأة [١٥٦] مَرْآتٍ ، فأما امْرُؤٌ وامْرأة فمنتقل عن أصله بألف وَصْلةٍ ، ونحن نحتاج إلى مزيد في شرحه ، وذلك أنه اسم ، وألف الوصل من خواص الأفعال ، لأنه يعرض فيها ما يُحتَاج لأجله اليها ، وهو أن المستقبل كان من حقه أن يكون مفتوح الأول على قياس ماضيه فيقال : يَعْمَلُ ويصنَعُ ، فثقل عليهم توالي أَرْبَعِ حركاتٍ ، ولم يكن إلى إسكان الأول سبيل ، لتعذر الابتداء بالساكن ، ولا إلى اسكان الثالث لأنه عين الفعل ، وبحركته يعرف اختلاف الأبنية ، ولا إلى إسكان الرابع لأنه مركز الإعراب ، فأسكنوا الثانيَ إذْ كان لا يمنع من تسكينه مانع ، فصار يَعْمَلُ ، فلما احتاجوا إلى الأمر حذفوا حرف المضارعة الذي هو الياء المخبرة عن فاعل غائب لغناهم عنها ، وذالك أنها علامة الاستقبال [١٥٧] والأمر لا يكون إلاَّ مُسْتَقْبلاً ، لا يجوز أنْ تَأْمُرَ بماضٍ فأغنت هذه النَّصْبة عن حرف الاستقبال ، مع طلبهم التخفيف ، فبقيت فاءُ الفعل ساكنةً ، وليس يجوز الابتداءُ بساكنٍ فاحتاجوا إلى الهمزة ليتوصلوا بها إلى النطق بالساكن ، إلا أن يكون مُعْتلاً أو مُدْغماً ، فيكون اعتلاله أو ادغامه قد حرَّك أوَّله ، والرباعي وما وراءه من الأبنية يجري هذا المجرى ، والتأمل له مع هذا المثال الذي أوردناه يغني عن استقرائه ، وقصدوا الهمزة لِعلَّتَيْن : إحداهما أنها أول مَخْرَجًا ، فكانت أولَ شَيءٍ لَقِيَهُمْ من الحروف عند الاستقراء ، والعلة الثانية : تَيَسُّرُ حذفِها عند الادراج ، وسميت الهمزة أَلِفا لأنها تنقلب إلى الألف في قولك (راس) وأصله (رأس) وقد تنقلب ياء في قولك (ذِيْب) وقد تنقلب [١٥٨] واواً في قولك (سُوْر) إذا لَيَّنْتَ (السُّؤَر) وهو البقية ، ومنه : أخذت سَائِرَهُ — مهموزاً — أي أخَذَتُ بقيته — والناس كثيراً ما يغلطون ها هنا فيخبرون بسائِره عن جميعه ، وذالك خطأ ، وأصله ما بينته لك .

وعلة أخرى في تسمية همزة الوصل ألفاً وهي أن الهمزة — كما قلنا — في أول المخارج ، والألف فهي أول الحروف المرتبة للمعجم ، فكان بينهما بذلك مناسبة أوجبتِ الاشتراك في التسمية ، ولذلك خُصَّتِ الهمزة باسمها دون الواو والياء ، وقد ينقلبان عنها .

---

(١) المعروف عبدالله بن جعفر بن درستويه ، عالم لغوي له مؤلفات منها «تصحيح الفصيح» وهو شرح فصيح ثعلب ، وهو فارسي الأصل توفي في بغداد سنة ٣٤٧ عن ٨٩ سنة .

ومما قد يسأل عنه أن يقال : كيف كانت صورة الهمزة عند احضارها ؟! وهل كانت متحركة أو ساكنة ؟ فإن كانت متحركة فما إذن استحقت الحركة ، لأن الحروف كلها حقها أن تجيء مُرْسَلَةً عُطُلاً حتى تستحق الحركة بعد ذلك بأحد [١٥٩] الأسباب الموجبة ؟ وإن كانت ساكِنة فكيف يُتَوَصَّلُ بالساكن إلى النطق بالساكن ؟ والجواب عن هذا أنها أُحْضِرَت ساكنة في نِيَّةِ المتحرك ، لأنهم قصدوا بها الابتداء ، فوجب لها بهذا القصد شَيْءٌ من الحراك[١] ووجب عليها بأنها لم تُبْتَدأ بها بَعْدُ السُّكُون ، فكانت في منزلة بين ذَيْنِكَ ، وهي السكون بنية الحركة ، فلما ألصقوها بالكلمة حركوها إلى الكسر ، على شريطة التقاء الساكنين ، وانما كانت بشريطة التقاء الساكنين (...)[٢] لأن تحريك التقاء الساكنين بناءٌ ، ووجدوا الفتحة والضمة يكونان للاعراب والبناء ، ورأوا الكسرة لا تكون إلا للبناء فاختاروها لذلك ، ولعلل غيره يطول ذكرها .

وقد تجيء ألف الوصل مضمومة في الفعل الذي عَيْنُه مضمومةٌ مثل (يَقْتُلُ) والعلة في ذلك أنَّ أَلِفَ الوصلِ لو جاءتْ ها هُنا [١٦٠] مكسورة لكان اللسان ينتقل من كَسْرٍ إلى ضَمٍّ ، لأنَّ فَاء الفعل الساكنة حاجزٌ غيرُ حصين فينقل[٢] ، مع أنه يكون بمنزلة (فِعُل) وليس هذا من أبنيتهم ، وعدلوا إلى الضمة دون الفتحة لئلا يلتبس بإخبارك عن نفسك إذا جئتَ به على الوقف فقلت : (أَقْتُلُ) واذا أدرجت سقطت ألف الوصل للغِنَى عنها بلقاء الساكِن مُتَحَرِّكاً مما قبله ، فلما كانت ألفُ الوصل من لواحق الأفعال لم يستحقها من الأسماء إلا ما شابهها ، وهي أسماء قلائل ، جانست الأفعالَ في حذف الأواخر ، وحذفُ الأواخر شيءٌ يلزم الأفعال لكونها متصرفة متقلبة في قواليب الأمثلة ، وكانت أواخرها أخصّ به لا (...)[٤] التعبير بها من جهة كون الاعراب فيها ، ولتطرقه في الجزم عليها ، فلما جانستها هذه الأسماء استحقت [١٦١] ...[٤] لمشاركة في بعض الخصائص ، فزيدت فيها ألف الوصل ، مع دعاء الحاجة إلى ذلك في بعضها أن يكون أولها . فمن تلك الأسماء ا...ؤٌ ، وكان أصله مَرْءٌ[٥] بوزن فَعْلٍ ،

---

(١) فوق (الحراك) كلمة (صح) .

(٢) كلمة غير واضحة .

(٣) بدون نقط .

(٤) كلمات غير واضحة .

(٥) كذا .

والدليل على ذلك تصغيرهم اياه على مُرَيْءٍ ، بوزن فُعَيْلٍ ، قال الشاعر — ويمرُّ خبره مستقصى في (باب مهلهل) إن شاء الله — :

قَتَلْنَا مُرَيْءَ الْقَيْسِ[1] غَضْباً بِرَبِّهِ   بَـوَاءً وأَطْـلَقْنَـا إِلَيْـهـم مهلهلاً

وقد سموا بِمُرَيءٍ ، وفي الديل من عبد القيس رجل اسمه مُرَيءٌ ، وفي الأنصار من الخزرج رجلان اسم كل واحد منهما مُرَيْءٌ ، وليس بشاهد لنا لأنه تصغير مَرْءٍ ، قبل ادخال ألف الوصل ، ولذالك لم نَسُقْ أنسابَهم ، فوقعت الهمزة لامَ الفعل وهي تَعْتَلُّ كاعتلال حروف المدّ واللين ، مع ما فيها من الضعف [١٦٢] بكونها أخيراً ، ومن الاستعداد للتغيير بالتخفيف وغيره ، فقلَّ احتمالها للإعراب ، وكان ضعفُها وعجزُها عن الإعراب الذي هو حَلْيُ الكلمة وقِيِّمُ معناها كَعَدَمِها ، وحضورها عندهم كمغيبها ، فعَدُّوا هذا الاسم مما آخره محذوف ، ورأوا أنه يستحقُّ شيئاً من آلات الأفعال لمشابهته إياها بهذا النقص ، فأعطوه ألفَ الوصل في أوله ، بعد أن اسكنوا فاءه التي هي الميم ، ليزيد عذرهم بياناً في ادخال ألف الوصل ، وليكون مورد ألف الوصل على الميم ساكنةً كموردها على فاءِ الفعل الساكنة ، ولتستوفي في هذا التعويض الذي أُعْطِتَه كُلِّيَةَ المشاكلة . وحركوا الراء لعلتين : إحداهما أنهم لما أسكنوا الميم — كما قلنا — لم يجز بقاءُ الراء ساكنة لئلا يلتقي ساكنان ، وليس يسوغ ذلك [١٦٣] في النطق . والثانية : الاحتراز من تطرُّق التغيير على الهمزة بكونها متحركة قبلها ساكن . واختلف بعد ذلك في حركة الراء ، فبعض العرب يلزمها الفتح ، فيقول : رأيت امْرَأً ، وهذا امْرَأً ، ومررت بَامْرَيءٍ ، ويقول إنه لما اضطر إلى تحريكها ذهب بها إلى الفتح لأنه أخفُّ الحركات . وبعضهم — وهو الأكثر الأشهر — يجعل الراء تابعة للاعراب الواقع على الهمزة ، فيقول : هذا امْرُؤٌ ، ورأيت امْرَأً ، ومررت بامْرِيءٍ ، وذلك لأن الهمزة على ما قدمنا من الضعف ، فعضدوها بمشاركة الراء لها ، وتجملها الاعراب معها ، ومن أجل هذا لم يضمُّوا الألف في قولهم : هذا امْرُؤٌ ، ولم يتبعوها ضمة الراء ، كما ضموضها في قولك : (أُقْتُل) اتباعاً لضمة التاء ، وذلك لأن [١٦٤] الراء ليست الضمة لازمة لها ، وانما هي أحد وجوه تصاريفها . وبعض الناس يرى أن الاعراب واقع على الراء ، وان حركَةَ الهمزة مقحمةٌ لا يُعْتَدُّ بها مثل قولهم : يا طَلحَةَ أقبل ،

---

(١) في الهامش بخط كاتب الأصل (يعني امرأ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب) .

وهم يريدون : يا طَلْحَ أَقْبل . ولو أرادوا المناداة باسمه من غير ترخيم لقالوا : يا طلحةُ أقْبِل ، بضم الهاء على حكم الاسم المفرد ، وهذا القول غير طائل في قولهم : امْرُوءٌ ، من أجل أنه يحصل الاعراب في وسط الاسم ، وذلك لا يتمكن في كلامهم ، والعلة في ذالك أنه لا يكون في أوله من أجل استحقاق الأول للحركة ، اذْ كان لا يقع الابتداء بِسَاكنٍ ، فلما استحق الحركة اللازمة كان بمنزلة ما استحق البناء فلم يُعْرِبوه في أوله ، لأن الاعرابَ يتغير وينتقل ، ومن رأيهم أن يبنوه ، ولم يَجُزْ أنْ يُعْرِبُوه في وسطه لئلا يَخْتَلَّ نظامُ الأبنية ، فلم [١٦٥] يبق غير آخره فأعربوه فيه ، ووجه آخر : أنَّ الاعرابَ يستحقه الاسم بعد تمام الاسمية فيه ، فكان الوجه على هذا أن يُعْرَبَ في آخره على نحو قولهم : امْرُؤٌ ، واتباعهُمُ الراءَ حركة الهمزة ، أجروا قولهم ابْنُمٌ ، وقد استقصينا شرحَهُ بعلله وشواهدهِ في غير هذا الكتاب .

وأما قولنا : امْرَأَةٌ فحركت الراء بالفتح ، لأنه أخَفُّ الحركات ، وتَحَصَّنَتْ عن أَنْ تَتْبَعَ حركةَ الإعراب ، لأنَّ الهمزة استغنتْ عن حرفٍ يُعِيْنُها في حَمْل الإعراب ، لانتقاله عنها إلى الهاءِ الْمُوْرَدَةِ للتأنيث مع استفادتها — أعني الهمزة — بَعْضَ القُوَّة لتوسطها واحتجازها عن التطرف بالهاء التي بعدها . والكلام في هذه المسألة يتسع لأكثر مما قلناه ، ولكنا نرى الاختصار .

واذا نسبوا إلى امريء القيس [١٦٦] قالوا : امْرِئِيٌّ بوزن امِرْعِيٍّ بكسر الراء ، واقتصروا بالراء على الكسر لمكان يَاءَيِ النِّسْبَةِ واستدعائهما الكسرَ في المشاكلة ، هذا القياس عند أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، سِيْبَوَيْهِ ، مولى بني الحارث بن كعب ، من مذحج ، وعند عامة النحويين ، والذي تكلمت به العرب مَرَئِيٌّ ، بوزن مَرَعِيٌّ ، وهو عند أهل العربية على الشذوذ ، وقال ذو الرُّمَّةِ غيلانُ بنُ عقبة بن بُهَيْشٍ — بالشين معجمة — بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن مِلْكَانَ — في قضاعة مَلَكانُ وفي السَّكُون[1] مَلَكُانُ والباقي كله مِلْكَانُ — بن عَدِيٍّ بن عَبْدِ مَنَاةِ بن أُدِّبن طابخة — واسمه عامر — بن الياس بن مضر ، في هجائِهِ هشامَ بنَ قَيْسٍ الْمَرَئِيَّ :

(١) فوق السين من السكون ضمة وفتحة وفوقها (معاً) اشارة إلى جواز الأمرين .

ويَسْقُط بينَها الْمَرَئيُّ لَغْواً كما أَلْـغَـيْتَ في الـدِّيَـة الـحُوارا
[١٦٧] إذا مَـرَئِـيَّـةٌ ولـدَتْ غَلاما فَـألأُمُ نـاشِـيءٍ نُشِغَ[١] المَحَارا

وكرر ذكر الْمَرَئيّ في أبيات كثيرةً لا نرى الإطالة بإنشادها ، ويجوز أن تُنْشَدَ بالتخفيف فتكون ألزمَ لطريق القياس ، على أنه منسوب إلى مَرْءٍ من قولك مَرْءُ الْقَيْس .

قال أبو بكر بن الأنباريٍّ : [١] يجوز في اللفظ به أربعُ صيغ : تقول هذا امْرُؤُ القيس — بضم الراء — وهذا امْرَؤُ القيس — بفتح الراء — وهذا مَرْءُ القيس — بفتح الميم وتسكين الراء — وهذا مُرْءُ القيس — بتسكين الراء وضم الميم — فيقال على هذا : الْمَرْئِيُّ ، وليس يُخِلُّ بالوزن إلا أنَّ السماع في هذا البيت وفي غيره من كلامهم مَرَئيٌّ — بالتحريك — ولعلهم حركوه خيفة التباسه بقولهم : رَجلٌ مَرْئِيٌّ ، أي منظور اليه ، وَمَرْئِيٌّ أيضاً من رَأَيْتُهُ إذا أَصَبْتُ [١٦٨] رئتَهُ ، مثل : قَلَبْتُهُ إذا أصَبْتُ قَلْبَه ، ومثل قولهم : قَتَلْتُهُ ، وإنما يعنون أصَبْتُ قَتَالَهُ أي نَفْسَه ، والْقَتَالُ النَّفْسُ قال الشاعر[٢] :

يَـدَعْـنَ الْجَلْسَ نَـحْـلاً قَتَـالُـهَا

وفي نحو منه قولهم : بُحْت بالشَّيْءِ ، إنما يعنون به أظهرت ما في بُوْحي ، والْبُوْحُ النفسُ وقال أبو جعفر محمد بن حبيب مولى بني هاشم : كُلُّ امْرِيءِ الْقَيس في العرب فالنسبة اليه مَرْئِيٌّ كما جاء في شعر غيلان إلاَّ صاحبَ اللِّواء فإنَّ النِّسبة اليه مَرْقَسِيٌّ ، مثل عَبْشَمِيٍّ وعَبْدَرِيٍّ .

وجملة القول اللغوي في هذه الكلمة أنَّ الْمَرْءَ الرجل والمرأة تأنيثه ، وأصل هذا الباب الْجَرْيُ ، فيقال : امرأة كما يقال : جارية ، لأنها تَجْري في النُّمُو والشَّباب ، وكذلك الرجل أيضاً ، ومنه الشَّيْء الْمَرِيء ، يراد به الذي يَجْري في مجاريه [١٦٩] ويسوغ أن يقصد مَصْدَره الْمَرَاءَة ، بوزن المراغة ، ويقال : مرأ الطعامُ يَمْرأُ مَرَاءَةً ، كما يقال : قَمَأَتِ الماشيةُ تَقْمَأُ قَمَاءَةً ، ومَرُؤَ الرجل يَمْرُؤُ ، كما يقال : قَمُؤَ الرجل يَقْمُؤُ ، عن محمد بن زياد الأعرابي . ويقال : استمرأْتُ الطعام وهذا يُمْرِيءُ الطعام أي يُسَهِّلُ جَرْيَه ويُنْفِذُهُ ، ومنه الْمَرِيءُ من

(١) فوق كلمة العين من نشغ (معاً) أي أنها عين وغين .

(٢) هو محمد بن القاسم ، من كبار العلماء له مؤلفات في اللغة وعلوم القرآن وغيرهما توفي في بغداد سنة ٣٢٨ عن ٥٧ سنة .

(٣) في الهامش : (ذو الرمة وصدره : ألم تعلمي يا مي أني وبيننا مساف يدعن) .

الْحَلْق ، وهو الْمُسْتَرَطُ ، الذي يجري فيه الطعامُ والشراب إلى الْمَعِدة ، وجمعه أمْرِئَةٌ على أفعِلة ، ومُرُؤٌ — بوزن فُعُلٍ مضموم الفاء والعين — وأبو أسامة يروى هذا الحرف في «غريب المصنف» مُشَدَّداً غير مهموز قال : هو الْـمَرِيُّ ، وكأنه من مَرَيْتُ الضرع أي مَسَحْتُه ولَيَّنْتَهُ ، وسَهَّلْتَ مجارِيَ اللَّبَنِ فيه . قال أبو أسامة : وقد [١٧٠] رُوِي الْمَرِيْءُ مهموزاً وهو جائز حسن ، فأما أبو الحسين ثابت فرواه بالهمز لا غَيْر ، وقال أبو عبدالله بن الأعرابي في كتابه الذي سماه بكتاب «الإبل» : الْمَرِيُّ — غير مهموز — التي تُحلب على غير ولد ، وإنما سُمِّيت مَرِيَّاً لأنها تُمْرَى بالأَيْدِي فلا تكون مَرِيّاً ومعها وَلَدُها .

ويقال : هَنِيْئاً مَرِيْئاً : أي جارياً لذيذاً سائغاً قال الله عز وجل «فكُلُوه هَنِيْئاً مَرِيْئاً» وقال كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن — بن الأسود بن عامر بن عُويمر بن مُخَلَّد بن سَعِيْدة بن سُبَيْعِ بن جَعْثَمَة بن سعد بن مُلَيْح بن عَمْرو بن ربيعة بن حارثة بن عمروٍ مُزَيْقِيَاء بن عامرٍ ماء السماء بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد — وكان يقال له : ابن أبي جمعة ينسب إلى جده من قبل أمه وهو أبو جُمْعَة الأشيم بن خالد بن عُبيد بن مبشر بن رياح بن سالم بن غاضرة [١٧١] ابن حَبْشِيَة[١] ، وقد رأيت بخطوط رؤساءِ من أشياخ النسب حَبْشِيَّة — مشدد الياء والأول أثبت — وهو قول ابن حبيب . والْحَبْشِيَة[٢] النملة الكبيرة . وحَبْشِيَةُ هو ابن كعب بن عمرو وكعب أخو مليح بن عمرو — :

هَنِيْئاً مريئاً غيرَ داءٍ مُخَامر ... لِعَزَّة من أَعْرَاضِنا ما اسْتَحَلَّتِ

وقد قيل في نسب كُثَيِّر قول آخر ما يَضُرُّنا ذكره : كان بعض قوم كُثَيِّرٍ يقولون : انهم من ولد الصَّلْت بن النضر بن كنانة ، وفي ذلك يقول كُثَيِّر :

أَلَيْس أبي بِالنَّضْرِ أم ليس أسْرَتي ... بكُلِّ هجانٍ من بني النَّضْرِ أزْهَرا ؟

إذا ما قطعنا من قُرَيْش عِصَابة ... فأيُّ قِسيٍّ تَحْمِلُ النَّبْلَ مَيْسَرا ؟

لَبِسْنَا ثيابَ الْعَصْبِ فاخْتَلَطَ السَّدَى ... بِنَا وبهم والْحَضْرَمي الْمُخَضَّرا

[١٧٢] فإن لم تكونوا من بني النَّضْرِ فاتركوا ... أَراكاً بأذْنابِ الْفَوائِجِ أَخْضَرَا[٢]

(١) فوق ياء (حبشية) كلمة (خف صح) أي بتخفيف الياء .

(٢) ديوانه ٢٣٣ والفوائج عيون بأستار — كذا وأراه : أستارة . وفي الأصل : (القرايح) وفسرها في الهامش : (القرائح الآبار الجدد) .

قال هذا الشعر يخاطب به أبا علقمة ميسرة بن حدير بن علقمة بن أبي الجون — واسم أبي الجون عبد العُزّى — بن سعد بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حَبْشيَة[1] بن كعب فقال ميسرةُ يرد عليه في رواية النسَّابة الهاشمي[2] من اهل حلب ، وقال غيره : إنها للأحوص — :

لعمري لقد جاء العراقَ كُثَيِّرٌ   بأحْدُوثَةٍ من وَحْيِهِ الْمُتَكَذِّبِ
أتزعم أني من كنانة والدي   وما ليَ منْ أمٍّ هُنَاك ولا أبِ

ولما ذكر العراق لأن عبد الملك كان دعا كُثَيِّراً إلى هذا النسب فأجابه ، واجابته خزاعة الحجاز (فسار)[3] كُثَير إلى خُزاعة العراق يدعوهم فأبوا ، وبلغ ذلك الأحوص — أو ميسرة — فقال هذا الشعر ، وروى زبيرُ بن بكار عن رجاله أن كُثَيراً ينسب نفسه وقومه [١٧٣] إلى النضر بن كنانة ، وقال لأبي علقمة مَيْسرة :

ابَا عَلْقم أكرم كنانة إنهم   مواليك[4] إنْ أمَر نَبَابك مُقْلِقُ
بنو النَّضْر تَرْمي من ورائك بالْحَصَا   أُولُو حَسَبٍ فيهم حِفَاظٌ ومَصْدقُ
إذا ركبوا ثارتْ عليك عجاجةٌ   وبالأرض من وقع الأسِنَّة أوْلَقُ
هُم ملَّكُوكم من تِهامة منزلاً   ولولاهُمُ كنتم أبَاءٌ يُحَرَّقُ
فلا تكفرنْ قوماً عزتَ بِعِزّهم   أبا علقم فالكفر بالرِّيْقِ يُشْرِقُ

في أبيات . قال الزبير : فأجابه الأحوص بن عبدالله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح — أسم أبي الأقلح قيس — بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

(١) فوق كلمة (حبشية) (خف) أي الياء مخففة .
(٢) في الهامش : (هو أبو هاشم أحمد بن جعفر بن أحمد الهاشمي النسابة صاحب كتاب النسب) .
(٣) كلمة (فسار) غير واضحة في الأصل .
(٤) في الهامش : (الموالي ها هنا بنو العم) .

(فإنك لو أعذرت أو قلت شبهة) لـذي الحق فيها والمخاصم مغْلَقُ
[١٧٤] عذرناك أو قلنا : صدقت وإنما يُصَدَّقُ بالأقوال من كان يَصْدُقُ
(سَتَأْبَى بَنُو عَمْرٍو عَلَيك وينْتهي) بهم حسبٌ في جِذم غسَّان مُعْرِقُ

— يعني بني عمرو مُزَيْقيَاء —

وإنّك لا عَـمْـراً أبَـاكَ حَـفِـظْته ولا النَّضْر إذْ ضَيَّعْتَ شَيْخَكَ تلحقُ
فأصبحْتَ كالمُهْرِيق فَضْلَةَ مائِهِ لبـاقي سراب[١] بـالْـمَلاَ يَتَرَقْرَقُ

وجميع أهل العلم بالنسب يقولون : إنَّ الصَّلْتَ بن النَّضْر دَرَجَ[٢] ، ويبطلون دعوى كُثَيِّرٍ .

وقد قال آخرون : إنَّ خُزَاعة من ولد قَمَعَة — وهو عُمَيْر — بن الياس بن مضر ، وأحسب أن الْقَـتبيَّ[٣] روى ذلك ، والأول هو الصحيح . وكُثَيِّر يُكَنَّى أبا صَخْر ، وكان يُنْسب إلى عَزّة بنت جميل ابن حفص بن اياس بن عبد العُزَّى بن حاجب بن غِفار بن مُلَيْلٍ بن ضَمْرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة .

ونعود إلى سبيلنا الأولى . وقال عبدالله بن هَمَّام[٤] — أحد بني مرة بن صعصعة [١٧٥] ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الناس — بالنون وهو عيلان — بن مضر . وأم ولد مُرَّةِ بن صعصعة سلول بنت ذُهْلِ بن شيبان بن ثعلبة بن عكاية ابن صعب بن علي بن بكر وايل فإلَيْها يُنسبون — :

اشربْ شرابَكَ وانْعَم غيْرَ محسود واكْسِرْهُ بالماءِ لا تَعْصِ ابنَ مسعود
إنَّ الأمِيْرَ لهُ في الْخَمْرِ مأرَبة فاشْرَبْ هنِيئاً مريئاً غير تَصْرِيدِ

يعني عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة . وكان اسم جُمَحِ بن عَمْرو

(١) في الأصل (شراب) .
(٢) درج أي لم يعقب .
(٣) هو عبدالله بن مُسْلم بن قُتَيْبة ، من أئمة الأدب ، وله مؤلفات كثيرة ، توفي سنة ٢٧٦ عن ٦٤ سنة .
(٤) أنظر عن عبدالله بن همام مجلة «العرب» السنة الأولى ص ٦٤٨/٣٧/ ١١٥٤ .

تَيماً ، واسم أخيه سهم بن عمرو زَيداً ، فقعدت يوماً أمها الألوف بنت عديّ بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب ، ومعها أتْرُجَّةٌ من ذَهَب ، وقيل من فِضّة ، فَدَحتْ بها وقال لابنيها : اسْتَبقَا [١٧٦] إليها فمن أخذها فهي له . فأخذها سَهْمُ . فقالت : كأنّك والله يا زَيد سَهْمٌ مَرَق من رَمِيَّتِهِ ، وكأنَّ شيئاً جَمَح بك عنها يا تَيْم ، فَسُمِّي هذا جُمَحَ وسُمِّيَ هذا سَهما .

وعامر بن مسعود هذا كان يلقب دُحْروجة الجُعَل لِقِصَرِه ، وفي ذلك يقول عبدالله بن همام السَّلولي :

واشْفِ الْأَرامِلَ من دُحْرُوجَةِ الْجُعَلِ

واصطلح أهل الكوفة على عامر بن مسعود عند موت يزيد بن معاوية ، وهرب عبدالله بن زياد ، فأمروه عليهم ، فأقره عبدالله بن الزبير اشْهُراً ثم عزله ، وخطب أهل الكوفة في أيام امارته عليهم فقال : إنَّ لكل قوم أشربة ولذّات فاطلبوها في مظانها ، وعليكم بما يحمل منها ويحلُّ ، واكسروا شرابكم بالماء ، وتواروا [١٧٧] عَنِي بهذه الجُدْرات[1] فلذلك قال عبدالله بن همَّام الشعر المتقدم ، وقال فيه غيره من الشعراء :

من ذا يُحَرِّمُ ماءَ الْمُزْنِ خَالَطَهُ ... في قَعْر خابيةٍ ماءُ العناقيد
إنّي لأَكْرَهُ تَشْدِيْدَ الرَّواةِ لنا ... فيها ويُعْجِبُني قولُ ابن مسعود

ولما بلغ ابن مسعود قول عبدالله بن همام قال : قطع الله لسان عِدْلِ الحمار فقد أساء القول . ذهب الى قول الأخطل :

بِئْسَ الْفَوارِسُ عِنْدَ مُخْتَلَفِ الْقَنَا ... عِدْلاَ الحِمَارِ مُحَارِبٌ وَسَلُوْلُ

وقال الآخر ــ أَنْشَدَنِيْهِ محمد بن الحسين عن اسحاق بن اسماعيل الطاهري عن الْمُبَرّد ــ :

كُل هنيئاً وما شَرِبْتَ مَرِيئاً ... ثم قُمْ صاغِراً فغير كريم

(١) كلمة غير واضحة .

لا أُحِبُّ النديمَ يُومِضُ بالعَيْن   إذا ما انتشى لِعِرْسِ النديم

والمروؤة مصدر المَرْءِ كالرجولة مصدر الرجل ، وقال الفرَّاء : انه سمع اعرابياً قيل له : فلان امْرُؤُ سَوءٍ [١٧٨] فقال : وما رأيتَ من مُرُوُؤة سَوْئِهِ ؟ ولا فرق عندي بين أن يقال : في فلان مروؤة وبين أن يقال : فيه رجولة ، أو فيه إنسانية ، إلا أن المروؤة قد نقلت عن أصلها الذي وضعت له إلى صفات خاصة .

وقد أحكمنا أَمْرَ وضع الأسماء ونقلها في كتاب غير هذا .

واختلف الناس بعد في المروؤة ، وأحسن الأقوال فيها ما أُخْبِرْنَا به عن أمير المؤمنين علي — صلوات الله عليه — انه قال : المُرُوؤة موصوفة في كتاب الله عز وجل حيث يقول : «إنَّ اللهَ يَأمُرُ بالْعَدْلِ والإحْسَانِ ، وَإيْتاء ذِيْ الْقُرْبَى ، ويَنْهى عن الفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ وَالْبُغْي» وقال السِّمي[1] القاضي : المروؤة أن لا تصنع شيئاً في السِّرِّ تَسْتَحي منه في العلانية . وقال الحسن بن سهل — وأحسن — : نعم العونُ على المروؤة (١٧٩) احْتِشَام العامَّة . والكلام في هذا طويل لا يقتضيه هذا الموضع .

ويقال للرجل : مَرِيءٌ إذا كان ذا مُروؤة ، على وزن فَعِيْل ، كما يقال له : رَجِيل ، إذا كان ذا رجولة ، قال عبدالله بن غُوَيْث الفقيمي — من فُقَيم بن جرير بن دارم — :

وقدْ عَلِم الجاني الفُقَيْميُّ أنَّنا   مصالِتُ حمَّالون عنه مِئي الدَّمِ
ولا يمنع الإِصْرَامُ منا مُرُوَّة الْـ   ـمَرىء ولا أكْرُومَة المُتَكَرِّمِ

ومنه يقال : امْرُؤُ القيس ، أي رجل القيس ، والقَيْس الشِّدة ، قال الشاعر — أنشدنيه أبو أسامة — :

وأنْتَ على الأعْداءِ قَيسٌ ونَجْدَةٌ   وللطارق العاني هِشَامٌ ونَوْفَلُ

النَّوْفَلُ : كثرة العطاء ، والهِشَام نحوه ، وما أعرف قائل هذا البيت إلى اليوم ، والذي

(١) كذا ولعله يسمي (الحسين بن علي) فهو سمي للمؤلف ولكن هذا القول ينسب للأحنف بن قيس انظر «محاضرات الأدباء» : ٣٠١/٢ ط بيروت .

أعرفه أبياتٌ لِحُرَيْثِ بن عَنَّابٍ[1] الطَّائي يقول فيها :

[١٨٠] إلى طلحةَ الْفَيَّاضِ أعْمَلْتُ نصَّها ... تخبُّ برحلي تارةً ثُمَ تُرْقِلُ
إذا ما أتاه سائل عن جَنابِهِ ... يكون شفيعيه هِشَامٌ ونوفل

في شعر طويل يمدح به طلحة بن عبدالله بن عوف وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف ، وقد استقصينا أنسابهم في مواضعها من كتابنا الكبير.

وأخبرني بعض أهل البحث أنه وجد الْفَرّاءَ يقول في بعض كتبه : أنَّ الْقَيس الذهب ، وأن امرأ القيس قيل له ذلك على مَعنى رَجُلِ الذهب كالتفضيل له ، والقيس مصدر قاس يقيس قيساً مثل القياس .

وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري — رحمه الله — : فيه وجوهاً (؟) ثلاثة غير هذه قال : القيس الْعَرْدُ وهو الذَّكَر ، والقَيْس الجوع ، والقَيْس مثل الرَّيس وهو التبختر . ومن الناس من يقول : ان امْرَأَ القيس [١٨١] لقب ، وان اسم امْرِيءِ القيس بن حجر حُنْدُجُ ، والحُنْدُجُ الرملة ، (.......)[2] قال غَيلانُ :

تَبَسَّمنَ عَنْ غُرٍّ كَأنَّ رُضَابَها ... نَدَى الرَّملِ مَجَّتْهُ الذِّهَاب الْقوالسُ
على اقْحُوَانٍ في حَنَادِيْجِ حَرَّةٍ ... يُنَاصِيْ حَشَاها عانِكٌ مُتَكَاوِسُ[3]

ولا يبعد هذا عندي ، لأنني أرى امْرَأَ القيس اسماً مستعملاً عند العرب للشريف والدَّنِيء ، وهو كعبد القيس ، بل أكثر منه استعمالاً . وقال ثعلب : امرؤ القيس بمنزلة عبد الرحمن وعبدالله ، ولو أحصينا كلَّ من اسمه امْرُؤُ القيس لطال ، وإنما غرضنا من قال الشعر فقط . والله الموفق .

* * *

(١) فوق النون كلمة (صح) ،
(٢) كلمة غير واضحة .
(٣) غيلان هو ذو الرمة — وهو في ديوانه حشاها : ناحيتها ويناصي : يقابل .

فصل في نسب امريء القيس بن حُجْر

وهو المقدم على جميع الْمَرَاقِسَة ، وغيرهم من الشعراء . قالوا : اسمه حُنْدُج [١٨٢] ولقبه امرؤ القيس ، والصحيح عندي أن اسمه امْرُؤُ القيس ، وكنيته أبو الحارث في قول ابن دريد . وقال غيره (...) وقال آخرون : أبو عمرو وقال آخرون : أبو بهشة باسم بنته . وقول ابن دريد أثبت الأقوال عندي .

وكان يقال له ذُو الْقُروح وذُو الْقَرْح ، وفي ذلك يقول عُيَيْنَة بن مرداس بن شُميخ الكعبي[١] — كعب بن عمرو بن تميم — :

عَلاَ الشَّيْبُ أَخْداني وَخلَّى مكانه أَبُو طَـمَـحـانٍ وابـنُ أمِّ دُوَادِ
وذُو الْقَرْح فاخْتَرْتُ القوافي وبَعْدَه تـــراث ثمود الأولين وعـــادِ

أبو الطَّمَحَان الْقَيْنيُّ حنظلة بن الشرقي ، وابن أمّ دُواد : أبو دواد الايادىُّ ، حارثة ابن الحجاج الشاعرين المعروفين . وفي عُقَيْلٍ رجل يقال له ذُو الْقَرْح ، وهو كعب بن خفاجة ، واسم خفاجة معاوية بن عمرو بن عقيل .

وكان يدعى امرؤ القيس [١٨٣] الْمَلِكَ الضِّلِّيْلَ ، وللبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في ذلك قول مشهور[٢] ، ولا نرى التثقيل بذكره .

قالوا : وهو امرؤُ القيس بن حُجْر — الملك الذي قتلته بنو أسد — ابن الحارث الملِك ، بن عمرو المقصور ، الذي اقتصر به على ملك أبيه — عن يعقوب بن السِّكيّت — وقال أحمد بن عبيد : إنما سُمِّيَ المقصور لأنه قصر على ملك أبيه وجدّه ، كأنه كرهه فَمُلِّكَ شاء أو أبى — ابن حُجْر الأكبر ، وهو آكل الْمُرَار وفي تسميته بذالك أقول : قال أبو نصر : انما سمي آكلَ

---

(١) مترجم في «الاغاني» ١٤٣/١٩ ط الساسي .
(٢) مذكور في أول كتاب «جمهرة أشعار العرب» .

المرار لأنه غضب غضبة فجعل يأكل المُرَار ، وهو نبت شديد المرارة[1] ، ولا يَحُسُّ به من غضبه ، وقيل : إنما سمي بذالك لكبره ، والمتكبر كأنه مقلّص الشفة . وقال ابنُ دريد : انما سمي بذلك لأنه كان أفْوَه ، والبعير [١٨٤] إذا أكل المُرَارَ تقلص مشفراه ، فَشُبِّهَ به وهو لقبه ، وقال أحمد بن عُبيد وغيره : إنما سُمِّيَ بذلك لأن ملكا من ملوك اليمن أسر امرأته — وقال قوم : بنته — فقال لها : ما ظَنُّك بِحُجْرٍ ؟ فقالت : كأنك به وقد طلع عليك كأنه جَمَل آكِلُ مُرار . قال : والجمل إذا أكل المرار أزْبَدَ ، وقيل : بل أرادت كَشْرَهُ عن اسنانه .

وهو حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية — والنسابون يسمونه بِكِنْدِيّ الأصغر — بن ثور بن مُرَتّع — وسمي مُرَتِّعاً لأنه كان يأتيه الرجل يسأله ان يقطع له من أرضه قطيعة ليرتّع فيها سائمته من ابله وغنمه فيرتّعه — واسمه عمرو بن معاوية بن كِنْديّ — وهو كندة وهما اسمان له ، قالوا : لأنه كند أباه — أي عَقّهُ وكفره وقالوا : بل كَنَّدَ عَلَى أخيه فقتله وأصل[2] الْكَنْدِ القطع ، وقال الله عز وجل : «إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» أي قطوع لما بينه وبينه بالكفر . نعوذ بالله من سخطه ، ومن حرمان توفيقه ، ومع هذا التأويل فالله أعلم بكتابه .

[١٨٥] وقال الأَعْشَي الكبيرُ :

أَحْدِثْ لَهَا تُحْدِثْ لوصلك إنها كُنُدٌ لِوَصْلِ الزَّائِرِ الْمُعْتَادِ

— أي قَطّاعة — وقال أيضاً :

أمِيْطِي تُمِيطِي بطبّ الفؤاد وصُولِ حِبَالٍ وكَنَّادِها[3]

— أي قَطَّاعها — وقال أيضاً :

ولكنْ لا يَصِيْدُ إذا رماها ولا تُصْتَاد عَاتِيَةٌ كَنُوْدُ[4]

(١) رأيت هذا النبت في حزن كلب (الحزول) على مقربة من المركوز (واحد) وهو يرتفع حول الذراع ذو زهرة صفراء وأغصان يجمعها جذع واحد ، لونه أشهب وورقه صغير شبيه بورق الحواء ، ولكن تأليل أطرافها أكثر وأدق ، واذا كسر الغصن خرج منه لبن ، وطعمه شديد المرارة ، لا ينبت إلا في الربيع .

(٢) كانت في الأصل (وأهل الكند) وفي الهامش بخط كاتب الأصل (كذا وقع بخطه وصوابه : وأصل) .

(٣) في ديوانه تحقيق الدكتور م. محمد حسين : (فيطي تميطي بصلب الفؤاد) .

(٤) في ديوانه : تحقيق الدكتور محمد حسين (غانية) تصحيف . ولم أر فيا بين يديّ من الكتب ذكر لهذا .

أي قَطُوْع للوصل . وقال سوّار بن قطن الهُمَيْمي من هميم بن عبد العزّى بن يَقْدمُ بن عنزة بن ربيعة ويقال : إن هُميماً من قَسْرٍ من بجيلة ، ورأيت ابن الكلبي يثبت ذلك والأول أشهر — :

سَائِلْ حَنِيفَةَ يَوْمَ وَقْعَتِنَا ... بنَحَاةَ[1] إذْ جَارُوا عَنِ الْقَصْدِ
وَتَيَمَّمُوا بِأَمْرِ يَمَامَتِهِم ... وَتَكَنَّدُوْا غَدْراً عَلَى عَمْدِ

— تكندوا : أي أبطنوا الغدر والكفر — وقد سمّت العرب [١٨٦] بِكِنْدِيّ غير هذا ، وفي طيء فارس جليل ، يقال له كِنْدِيُّ بن حارثة بن لأم بن عمرو بن طَرِيف بن عمرو بن ثُمامة بن مالك بن جَدْعا — مقصور مثل سَكْرى ، واسم جدعا لَوْذَانُ — بن ذُهْلِ بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فُطْرة بن طَيّءٍ ، وفي طَيّءٍ أيضاً كِنْدَة بن الضحاك بن هذّيم بن خَبَأَ بن الصَّهْوِ بن باعث بن خُوَيص — وباعث هو الذي أغار على إبل امرىء القيس ، وسيرد خبره ونسبه ان شاء الله .

واسم كِندة ثورُ بن عُفَيْرِ بن عديّ بن الحارث بن مُرة بن ادد ، وأمّ مرّة مُدِلَّة بنت ذي مَنْجَشَان بن كِلَّة بن رَدْمان من حمير — كذا قال الكلبي وغيره ، وما يحضرني صلة نسبها ، والذي اذكره أن في حمير رَدمان بن وائل بن رُعَيْن بن زَيْد بن شَهْل — وكنت رأيته بخط شِبْلِ بن بكير النسابة في عدة مواضع ، شَهْل معجمة ثلاثاً من فوق ، ولا أدري ما صحة ذلك .

وكان أدد تزوج بها فولدت له مُرَّةً هذا ونَبْتاً — وهو الأشعر — [١٨٧] وتزوج بعدها اختها دَلّة[2] بنت ذي منجشان فولدت جُلْهمَة بن أدد ، وهو طَيّءٌ ، ومالك بن أدد . ودلّة هذه هي التي يقال لها مذحج ، باسم أَكَمَةٍ ولدت ابْنَيها عليها . وقال ابن الأعرابي في ذلك قولا هو أعجب إلي من هذا القول ، وذاك أنه قال : اذْحَجَتْ على ولدها فسميت بمَذْحِجِ لذالك ، واذْحَجَتْ : لزمت[3] عند ابن الأعرابي ، وغيره من اللغويين يقول : ذَحَجَتْهُ الرِّيحُ إذا جرّته

(١) في الهامش بخط كاتب الأصل : (نحاه موضع ، رأيته بخط السكري) .
(٢) في الهامش بخط كاتب الأصل : (بعض العلماء يقلب فيقول : ان الأولى دلة ، والثانية مدلة) .
(٣) كذا وفي «اللسان» وغيره : أذجحت : أقامتْ يقال : أذحجت المرأة على ولدها اذا أقامت . وذحجت المرأة بولدها : رَمَتْ بِهِ عند الولادة .

من موضع إلى موضع ، والذَّحْجُ عندهم مثل السَّحْج .

وأدد هو أدد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيْبِ بن زيد بن كهلان بن سَبَا — واسمه عبد شمس — بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال هشام الكلبي : ذكر بعض النساب أنَّ كِنْدَةَ بنَ ثَوْر بن عفير بن معاوية بن حَيْدة بن مَعَدَ بن عدنان ، ويحتجون بقول امرىء القيس :

[١٨٨] تَاللهِ لا يَذْهَبُ شَيْخي باطلاً خَـيْـرَ مَـعَـدٌّ حَسَـبـاً ونَـائِلاً

ومن غير هذه الرواية :

يـا خير شَيْخٍ حَسَباً ونائِـلاً

وقال آخرون : إن كندة من ولد عامر بن ربيعة بن نزار بن معد ، قالوا : ولذلك كانت مَحَلَّةُ كِنْدَةَ وربيعة ودارهما في الجاهلية الجهلاء واحدةً ، ومناخهم في المواسم معاً ، وكانوا متحالفين ، متعاقدين ، ومما يحقق هذا عندهم قول أبي طالب بن عبد المطلب :

وكِـنْـدَةُ إذ تَـرْمِـي الجمارَ عَشِيَّةً يُـجَوِّزُها حُجَّاجُ بكر بن وائلِ
حَلِيْفَانِ شدًّا عِقْدَ ما اخْتَلَفَا لَه وَرَدًّا عـلـيـه عـاطـفاتِ الْوَسَائِلِ

قالوا : يعني بعاطفات الوسائل ها هنا الأرحام ، والله أعلم بالصحيح ،

وأُمُّ امْرِىءِ القيس في قول الحُذَّاق من رواة الشعر فاطمة بنت ربيعة ، أُخْتُ مُهَلْهِلِ بن ربيعة . فأما النسابون فقالوا : أمه قُتَيْلَةُ بنت [١٨٩] يزيد بن امْرِىءِ القيس بن عَمْرِو بن حُجْرٍ الأكبر والله أعلم .

فصل : يتعلق بهذا الفصل المفرد لذكر نسب امْرِىءِ الْقَيْس : ذكرنا عندَ ذِكْرِ ذِي الْقَرْحِ لقب امريء القيس شِعْرَ عُيَيْنَةَ بن مِرداس الذي يقول فيه :

وذي الْقَرْحِ فَاخْتَرْتُ القوافِيَ بَعْدَه ... تُـراثَ ثَـمودِ الْأَوَّلِـيْـنَ وَعَـادِ

وعلمنا أنَّ قارىء الكتاب ستتطلع نفسه إلى الوقوف على مقدار هذا الشاعر من الشعر لسعة دعواه ، وتجاوزه مداه ، فأوردنا أبياتاً من شعره لِيستدلّ بها على قدره ، وبالله التوفيق .

قال عُيَيْنَة[1] بن مرداس بن شُمَيْخٍ الكعبيُّ — كعب بن عمرو بن تميم — ويقال له ابن فَسْوَةَ وانما قيل له ذلك لأنه كان في قومه رجل آخر يقال له ابن فسوة فأتى عيينة فباعه الّلقَبَ فاشتراه [١٩٠] منه فلصق به ، وقال ذلك الرجل :

الا رُبَّ مَوْلىً ناقِص غَيْرِ زَائِدِ ... حَوَّلَ مولانا عليه اسْمَ أُمِّنَا[2]

أعاذل إن أهْلِكْ فلم أقض لَذَّةً ... من الدين والإسلام والمرءُ تالِفُ

من الْبِيْضِ أَجْياداً كأنَّ خدودَها ... دنانيرُ يجلوها لِتَـنْـفُـقَ شَائِفُ

وإنَّـا لـقـوَّامون وسـطَ رحـالـنـا ... إلى الصَّفِّ قارٍ في الاناءِ ولاحِفُ

ولا نُنْكِرِ الأضيافَ إن ينزلوا بنا ... وكـلُّ كـريـم لـلـنـزالـة عـارفُ

ومن قوله يهجو بني سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وكان نزل عليهم بأرضهم — وهي زُمُّ فلم يحمدهم :

إذا ما لَقِيْتَ الْحَيَّ سَعْدَ بْنَ مالك ... عَلَى زُمَّ فَارْحَلْ خائِفاً أوْ تَقَدَّمِ

أنـاسٌ أجـارونـا فـكـان جوارُهُم ... شُـعَـاعـاً كَلَحْمِ الْجَازِرِ الْمُتَقَسِّمِ

---

(١) في الأصل (عتيبة) وانظر ترجمته في «الأغاني» ١٤٣/١٩ ط : الساسي .

(٢) كذا ولعل صوابه ما في «الاغاني» : ونسبه لعيينة : وحول مولانا علينا اسم أمه .

ومن قوله :

تحنُّ إلى برق بنعمان بعدما مضتْ أربعٌ يُعْدَدْنَ من أوَّلِ الشَّهْرِ
[١٩١] فحنّت حنيناً مِثْله هَيَّجَ الذي به الشوقُ مشغوفَ الفؤاد وما يَدْري

ومن قوله — وكان هَجَّاءً[1] خَبِيْثاً يذم عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بقصيدة أولها :

ذكرت لِبَرْقٍ آخر الليل ضَوْءُهُ يُضِيء حَبِيَّ المُنْجِدِ المتغوِّر
يَسُوْر ويَرْقَى في رَوَاءٍ غَمامُهُ ركامٍ تصدَّاهُ الجنوب وتَمْتَري
إذا سَنَحَتْ نَجْدية بَرَحتْ لها صَباً فأَدَرَّتَ ودْقَ أوطْفَ مُمْطِرِ

ثم قال :

أتيتُ ابنَ عبَّاسٍ أُرَجِّي حِبَاءَهُ فلم يرج معروفي ، ولم يَخْشَ منكري
وقال لِبَوَّابِيْه : لاَ تُدْخِلُنَّهُ وسُدُّوا خَصَاصَ الباب من كُلِّ مَنْظَرِ
وتسمع أصواتَ الخصوم وراءَهُ كصوت الحمامِ في الْقَلِيْبِ الْمُغَوَّرِ
ولو كُنتُ من زَهْرانَ لم تُقْصِ حاجَتِي ولكنَّني مولَى جَمِيلِ بْنِ مَعْمَر
أُتيحَ لعبدالله يوم لقيته شُمَيْلَةُ تُرْمَى بالحديث الْمُفْتَرِ
وما أنا إذْ زاحمتُ مِصْراعَ بابِهِ بِذِي ضُؤْلَةٍ فانٍ ولا بِحَزَوَّرِ
[١٩٢] فَلَيْتَ قَلُوصِي عُرِّيتْ أَوْ رَحَلْتُها إلى حَسَنٍ في داره وابْنِ جَعْفَرِ
إلى معشرٍ لا يَخْصِفُونَ نِعالَهُم ولا يَلْبَسُونَ السِّبْت ما لم يُخَصَّرِ
وما زلتُ في التَّسْيارِ حتَّى أَنَخْتُها إلى ابْنِ رسول الأُمَّةِ الْمُتَخَيَّرِ
وقامت تصدَّى في العقال فواجَهتْ بِيَ الصبح وَرْداً كالرِّدَاءِ الْمُحَبَّر
فما قُمْتُ حتَّى رَاعَني ثُوَباؤها وصَوْتُ مُنَادٍ بالصلاة مُكَبِّرِ

---

(١) والكلمة غير واضحة .

زهران بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن نصر بن الأزد . وكان ابن عباس تزوج شُمَيلة بنت أبي حِنَّاءة بن أبي أزَيهر — حليف قريش — بن أنيس بن الخيسق بن مالك بن كعب بن سعد بن كعب بن الغطريف الأصغر — وهو الحارث — بن عبدالله بن عامر — وهو الغطريف — بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران ، وكان عداد أبي أزيهر في دَوْس ، فكان يقال له الدَّوْسي[1] ، فكانت شميلة هذه عند مجاشع بن مسعود السلمي من بني سَمَّالِ بن عوف[2] .

(.................)(.................)

(١) أنظر عن دَوْسٍ وزهران وخبر أبي أزيهر وكتاب «في سراة غامد وزهران» تأليف حمد الجاسر من (منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٢) بعد هذا هنا خرم في الأصل اذ ترقيم الورقات ينتهي برقم ٩٥ ثم ٩٧ — أي أن الورقة الـ٩٦ هي المفقودة — وقد يكون النقص أكثر اذ الترقيم حديث .



[١٩٣] ويقال له محرّق لأنه حرَّقَ بَني تميم . يُنْسَبُ إلى هِنْدٍ ، عمة امرىء القيس ، وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن الحارث الملك بن عمرو بن حُجْرٍ الأكبر .

وهو عمرو[١] بن المنذر ذي القَرْنَين المعزو إلى أُمّهِ ماءِ السماءِ ، وهو المنذر بن امرىء القيس وأبوه امرؤ القيس كان يقال له مُحَرِّقٌ ، وهو أول من عذب بالنار — في قول الكلبي — وامرؤ القيس بن النعمان[٢] بن امرىءِ القيس بن عمرو[٣] بن امرىء القيس بن عمرو ، وهو الذي يقال له : كَبُرَ عَمْرٌو عن الطَّوق — هذا أول من تَنَصَّرَ من ملوك آل نَصْرٍ في قول محمد بن جرير — بن عديّ بن نَصْرِ بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عَمَم بن نمارة بن لخم — واسمه مالك — بن عديّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد .

وعَمْرو بن هند هو عَمُّ أبي قابوس النعمان بن المُنْذِرِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، لِأَنَّ هنداً ولدت لِلْمنذر ابن امرىء القيس عمراً أبا المنذر ووالد النعمان .

[١٩٤] وقد قيل : انهم من ولد قنص بن مَعَدٍّ ، وكان هاشِمِيُّنَا الحلبيُّ النسابةُ يقول : عَمْرو بن قنص بن معد . والحكاية عن جُبَيْرٍ لِعُمَرَ في ذلك معروفة[٤] ، لم نر الاطالة بها . وكان محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي يقول : قُنُص — بضم القاف والنون .

وكان السبب في نكاح المنذر ذي القرنين هند بنت الحارث أن قُبَاذ لما ملك[٥] — وهو قباذ

(١) في الهامش : (لمضي ثمان سنين وثمانية أشهر من ولاية عَمْرٍو هذا على الحيرة كان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم) .
(٢) في الهامش : (هذا النعمان بن الشقيقة) .
(٣) في الهامش : (عمرو هذا أول ملوك لخم) .
(٤) هو جبير بن مطعم بن عدي القرشي كان من أكابر قريش ، سأله عُمر عن نسب النعمان ابن المنذر ، فقال : من أشلاء قنص بن مَعَدٍ . وجبير من أصحاب رسول الله (ص) وكان نسَّابة ، وتوفي سنة ٥٧ هـ تقريباً .
(٥) حرك لها حوارها تحن . هذا موضع هذا المثل فابن المغربي يوصل نسبه إلى ملوك الفرس هاؤلاء ، ولعله فعل ذلك تقرباً للبويهيين أو مضاهاة لهم ، ولهذا أفرغ ما في جعبته عند ذكر نسبهم وفوق كل اسم منهم كلمة (ملك) بخط كاتب الأصل .

بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يَزْدَجرد الأثيم بن نيسابور بن سابور ذي الأكتاف بن هرمس بن نَرْسي بن بهرام الأوسط بن بهرام الأكبر بن هرمز البطل بن سابور الجنود بن أردشير بابكان سمي بذالك لكثرة من يسمي في عصره بابك ، وأرْدَشير بابكان هو أردشير بن بابك بن ساسان بن بهمن (الملك الأعظم) بن اسفيدياذ [١٩٧] وقال محمد بن جرير : اسفنديار وهو الملقب بالشديد بن بَشْتاشِبْ — ويقال : استاسف ، وعلى زمانه ظَهَر زَرَدُشْتْ الذي تزعم المجوس أنه نبيٌّ ، وروى المؤرخون أنه كان أثيراً عند بعض تلاميذ أرْميا النَّبيّ — عليه السلام — فكَذَبَ عليه وخافه فدعا عليه فبَرِصَ ، ولحق ببلاد أذربيجان ، فشرع بها دين المجوسية ، وتبعه قوم كثير ممن هناك ، وقال لي أبي عن أبيه أنه زَرَدُشتَ بن بُورشَسْم ، وأنْ ماني الذي تُنسب إليه المانوية هو ماني بن فَتّق[(١)] ، ويَشْتَاشِبُ هو ابن لُهْرَاسِب بن قَيُوْجَى بن كَيْمِشْ بن كَيْباشيْنْ بن كُيَانِيَهْ — وقيل : كينيْه بن كيقباذ بن زاب[(٢)] ، وقيل زاع [١٩٥] بن تَوْذكَاب بن ماني شَوَىْ بن تُوْذَرْ بن مَنُوشِهْر بن مَنْشَخُورْجِرْ — وقيل : مَنْشَخُوريز — بن تِيرك بن نيروسَنْج بن بَابِرْنْج ، بن ثرْت بن فَزْرُش بن زُشَّ بن فَركُوْن بن كُرْزك — أو كوزك — بن جُوزَك بن ايرج بن أفريذُوْن بن أَثْفِيَانَ بن جمَّ شِيْد بن وَيْجهانَ بن إيْستجهذ بن أوْشَهَنْج بن فَرْواك بن سامك بن نَرْسِي بن جُيُومَرَث — وتفسير ذلك حيٌّ ناطق مَيت ، فالحيّ (جِي) والناطق (يُو) والميت (مَرَث) وقد يسمَّى كِلْشاه ، وتفسير ذلك فيما قيل : ملك الطين .

وإلى جُيُوْمَرْث يرجع نسب الفرس كله ، والفرس تزعم أنه آدم أبو البشر عليه السلام [١٩٦] ونُسَّابُ العَربِ يزعمون أنه حامِر بن يافث بن نوح عليه السلام ، وحَامَرُ غير مذكور في التوراة ، والذي خبرني به أهل العلم بها أنّها دلت على أن الفرس من ولد يافث مُحْماً (؟) وأن في أولاد يافث ولد اسمه ثِيراس ، يقول المفسرون أنه الفرس ، وأن الفرس ولده ، ولعله حَامَرُ بالعربية أو بلغة أخرى . فأما هشام بن محمد فقال : وَلَدَ فارسور بن سام بن نوح — عليه السلام — بَيَرس به سُمِّيَت فارس . وقال آخرون : الفرس ولد فارص بن يهوذا بن يعقوب — عليه السلام — فأما جرير بن عطية فإنه نسب فارس والروم إلى اسحاق فقال :

---

(١) فوق (فتق) كلمة صح .

(٢) تحت (زاب) : زاي .

وأبناءُ إسحاق الليوث إذا ارتدوا محامــلُ موتٍ لابسين السـنوَّرا
إذا افْتَخَرُوا عدُّوا الصَّبَهْبَذَ منهمُ وكِسْرَى وآل الـهُرْمُزَان وقَيْصَرا
وكــان كــتــابٌ فيهـم ونُـبُـوَّةٌ وكـانـوا بِـإصْـطَـخْرَ الملوكَ وتُسْتَرا

[١٩٧] والله أعلم بالصحيح .

فكان[١] قباذ لما ملك ضعيفاً فوثبت ربيعة على عامله بالحيرة ، وهو النعمان بن الأسود بن المنذر بن النعمان بن امريء القيس بن عَمْرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عديٍّ ، فخرج منهم هارباً حتى نزل بِإِيَاد ، فمات فيهم ، وكان معه المنذرُ بن ماءِ السَّماءِ ، وهو أقرب منه في قُعْدُدِ النَّسب ، وسنذكر نسب أمه وخبرها بعد هذا الفصل إن شاء الله — وكان مع المنذر بن ماءِ السماء ابنه عمرو بن هند .

وانطلقت ربيعةُ إلى كِنْدَةَ وكان الناس في الزمن الأول يقولون : إِنَّ كِنْدَة من ربيعة — على ما قدمنا ذكره — فجاؤوا بالحارث بن عمرو بن حُجْرِ آكِلِ الْمُرار فملَّكوه على بكر بن وائل ، وحشَدُوا له ، وقاتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق ، وأَبَى قُبَاذُ — لضعفه — أن يُمِدَّ المنذر بجيش فكتب المنذر إلى الحارث بن عمرو [١٩٧] إنني في غير قومي ، وأنت أحق من كنفني فحوله إليه ، وزوجه ابنته هند بنت الحارث فولدت له عَمْراً المذكور ، ومُنْذِراً — في قول هانيء بن المنذر البهيلي النسابة — وقابوساً في قول غيره .

فلما هلك قباذ وملك ابنه كِسْرى — وهو أَنُو شِرْوَان — مَلَّكَ المنذرَ بْنَ ماء السماء على الحِيْرة ، فأساءَ مكافأة بني آكِلِ المرار ، وطلبهم وسفك دماءهم ، وجرى من ذلك ما ذكرناه في موضعه .

والمنذر بن ماء السماء هو الذي قتله الحارث بن أبي شِمْرٍ الغسَّاني ، وجرى من أولاد الحارث أعمام امْرِئِ القيس ما سنذكره في موضعه إن شاء الله .

وملكت بنو أسَدٍ عليها حُجْرَ بنَ الحارث بن عمرو ، وقيل : إن أباه كان ملَّكَه عليها وهو أشبه ، وتمليك ربيعة للحارث بن عمرو عليها قول خراش بن إسماعيل العِجْلي ، وغيره يقول : إن قُبَاذَ هو الذي مَلَّكَ الحارث بن عمرو على العرب ، [١٩٩] وليس ذلك بثبت .

---

(١) كل الكلام المتعلق بالفرس استطراد لا محل له ، فإنه قال (ان قباذ لما ملك) ثم شرع في ذكر آبائه .



ذكر نسب ماء السماء وسياقة خبرها :

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب — بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد العُزّى وقد قيل الحارث بن عبد الحارث بن عبد العزّى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدَوّدٍ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة — غزا امرؤُ القيس بن النعمان قبائلَ من ربيعة فأصاب منهم ، وأخذ ماء السماء وهي ماوِيةُ بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر بن سعد بن الخزرج بن زيد مناة بن النَّمِر بن قاسط . وكانت امرأة أبي حوط النَّمَريّ — وهو كعب بن الحارث بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضَّحْيان بن سعَد بن الخزرج بن تيم الله بن النَّمِر بن قاسط . وقد كانت ولدت لأبي حوط جابراً ، فجابر هو أخو المنذر بن امرئ القيس لأمه ، فلما سبى [٢٠٠] امرؤ القيس السَّباءَ أعجبته ماوية وهي ماء السماء فتزوجها ، وجعل من أصاب من الناس في حظائر ، وأراد إحراقهم ، وكان يُدْعَى مُحَرِّقاً لشده تحريقه ، فأتاه أبو حَوْطٍ فأمنه وقربه ، فسأله أن يَرُدَّ عليه امرأته ماءَ السماء . فقال امرؤ القيس : اذهب إليها فهي بالخيار ، فإن اختارتك فهي لك ، وان اختارتني فهي لي . فانطلق أبو حَوط اليها فأخبرها بالذي قال له . فقالت : إنه غير فاعل الذي سألت ، واعلم انه لا سبيل إليَّ لما أرى من موقعي عنده ، ولكن قل له : اني قد خَيَّرْتُها فاختارت الأطيب عَرَقاً والأكثر مَرَقاً ، فكان للملك الخيار فإنَّهُ يُسَرُّ بذلك ، وتصيب به عنده المنزلة والكرامة ، ولا تسأله حاجة إلا أَعطاكها . ففعل أبو حَوْطٍ ذلك كما قالت له . فقال امرؤ القيس — حين سمع مقالته — : لا تسألني اليوم شيئاً إلا أعطيتكه . فقال له أبو حوط : فإني أسألك أهْلَ الحظائر . قال : قد وهبتهم لك ، فسمي بذلك أبا حَوْطِ [٢٠١] الحظائر . وفيه يقول ابو نعجة صالحُ بن شُرَحْبِيْلَ النَّمَرِيُّ :

ومالِك كالضَّحْيَان شَيْخٌ نَعُدُّهُ ... ولاَ كَأَبِي حَوْطِ الْحَظَائِرِ والبِشْرِ

يعني بِشرَ بن قيسٍ ، أحد رؤساء النَّمر بن قاسط ، كان جليلاً ، وكانت له ردافة مع الملوك .

فأما الضحَّيان فسيمرٌّ بك خبره وخبر رؤساء ربيعة مستقصىً في موضع اقتضت الحال إيراده فيه ، من كتاب بني ضبيعة رهط الْمُسَيَّبِ بْنِ عَلَس إن شاء الله .

يتلوه فصل من كلام المؤلف .

الحمدلله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وسلم تسليماً[1] .

(1) ثم في الهامش (أحمد الله تعالى : التقط من فوائده الجليلة محمد بن المخلطة المالكي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه) . وهذا آخر هذا الجزء الذي عثرنا عليه من كتاب «أدب الخواص» .



الفهـارس :





١ ــ أهم مباحث الكتاب

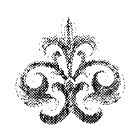
مقدمة محقق الكتاب : (من ص ٩ / ٦٠)

صفحة

مقدمة المؤلف (من ص ٦١/ ٨٦)

٢ ــ الاعلام (الأفراد والجماعات)

(أحذف ابن ــ أبو ــ أل ــ عند البحث عن الاسم)



٣ ـــ المواضـــع

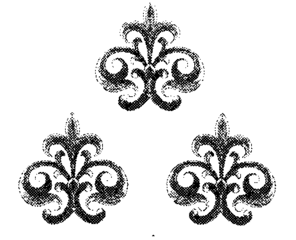
يبرين : ٩٥ .

يثرب : ٩٦/٩٧/٩٨ .

اليمامة : ٨٩/٩٥ .

اليمن : ٩٣/٩٥ .

يندد : ٩٦ .



٤ — الشعر :

٥ — الكتب :

